

ملف العدد:

المرأة وعاشراء الحسين

# رسالة الْهُجُم

إسلامية ثقافية شاملة



٢٥

السنة السابعة - العدد الخامس والعشرون - محرم ١٤٣٢ هـ - ديسمبر ٢٠١٠ م

اقرأ في أفق العالم

- ♦ دور الأنصار والسبايا .. في حوار مع العلامة الشيخ سويدان
- ♦ الإخلاص للقضية الحسينية (أم البنين نموذجاً)
- ♦ فضة النوبية .. شخصية تنفست عبق الرسالة
- ♦ المنهج الصحيح في قراءة الثورة الحسينية
- ♦ الإعلام العاشورائي .. بين الحقيقة والتضليل
- ♦ الشباب وحياتهم العلمية

Resalat Alqalam



# رسالة القلم

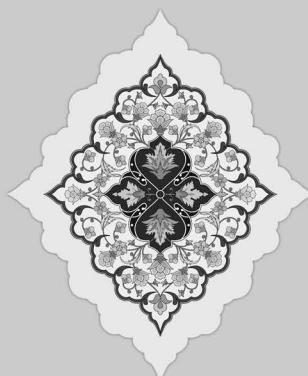
## إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن  
طلاب البحرين في الحوزة العلمية  
بمدينة قم المقدسة

برعاية  
مكتب البيان للمراجعات الدينية

- المشرف العام والمدير المسؤول:  
عبد الله علي الدقاد
- رئيس التحرير:  
عزيز حسن سلمان
- مدير التحرير:  
عبد الرؤوف حسن الريبع
- رئيس هيئة التحرير:  
خازبي عبد الحسن إبراهيم
- هيئة التحرير:  
حسين علي أبو رويس  
حسين فؤاد المرزوقي  
محمد باقر خليل الشيخ  
محمد علي خاتم





٢٥

# اقرأ في هذا العدد

## كلمة العدد

**مع الحسين**

٣

رئيس التحرير =

## حوار العدد

٤

**دور الانصار والسبايا**

حوار مع سماحة العلامة الشيخ حسان سويدان (حفظه الله)

٢١

**الإخلاص للقضية الحسينية (أم البنين نموذجاً)**

غازي عبد الحسن السمّاك

**زينبنا**

٣٥

قصي الشيخ علي العربي

**نساء بكين على الحسين**

٦٤

عزيز حسن الخضران

## ملف العدد: الحج وآدابه

٨١

**فضة النوبية.. شخصية تنفست عبق الرسالة**

علي أحمد الكريبايدي

٩٣

**المنهج الصحيح في قراءة الثورة الحسينية**

محمد علي عيسى قاسم

١٢٠

**الإعلام العاشورائي.. بين الحقيقة والتضليل**

جعفر علي المالكي

**مفهوم الحرية**

١٣١

علي ابراهيم عبد العال

**الشباب وحياتهم العلمية**

١٤٥

حسين علي أبو رويس

**المستشرق جولديزير وآلية الشريفة (نقد وتحليل)**

عبد الرؤوف حسن الريبي

١٧٤

**تحقيق نسخ تفسير القمي ونسخ مختصراته (القسم الثاني)**

محمد علي العربي

١٩٤

علي فاضل الصدقي

**وقوع الطلاق بالكتابة .. وردة**

## مع الحسين (عليه السلام)

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صل على محمد وآل محمد.

أبدعْتَهُ يَدُ السَّمَاءِ، وَوَلَدْتَهُ الْأَنْبِيَاءُ، وَأَرْضَعْتَهُ الزَّكِيَّةُ  
الْزَّهْرَاءُ، وَتَرَيَّسَ فِي حَجَرِ خَيْرِ الْأَوْصِيَاءِ؛ لِيَكُونَ الْمُنْقَذَ لِلْأَمَمَةِ  
الْمَرْحُومَةِ مِنَ الْضَّلَالِ، وَالْهَادِي لَهَا لِطَرِيقِ الْهُدُوِّ وَالصَّلَاحِ.  
بَعْدَ أَنْ تَرَى الْفَيْرَانِيَّةَ وَالْفَسَادَ عَلَى قُلُوبِ النَّاسِ، فَأَصَبَّ الْدِينَ  
فِيهِمْ غَرِيبًا، وَاسْتَولَى الْمُفْسِدُونَ وَالظَّالِمُونَ عَلَى مُقَالِيدِ الْأَمْوَارِ.  
فَلَمْ يَتَرَكُوا حَرْمَةً إِلَّا وَهَتَّكُوهَا، وَلَا مُؤْمِنًا صَالِحًا إِلَّا وَلَاهَقُوهُ.  
وَصَارَ الْإِيمَانُ وَالْتَّدِينُ جَرْمًا عَظِيمًا لَا يَغْتَفِرُ، فَقَامَ أَبُو  
الْأَحْرَارِ عَلَيْهِ فَاسْتَفْرَغَ كُلَّ الْجَهْدِ لِهَذَا الْهَدْفِ الْعَظِيمِ، وَبَذَلَ  
الْمَيْسُورَ وَالْمَعْسُورَ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْأَمْرِ الْجَسِيمِ، فَضَحَّى بِأَهْلِهِ  
وَأَوْلَادِهِ وَأَخْوَتِهِ، ثُمَّ بَدَمَهُ الزَّاكِيُّ، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِإِصْلَاحِ الدِّينِ  
وَأَهْلِهِ، وَإِرْجَاعِ النَّاسِ إِلَى دِينِ جَدِّهِ عَلَيْهِ الْحَمْدُ، وَكَانَ نَدَاوَهُ وَلَا يَزَالُ: (أَلا  
مَنْ نَاصَرَ يَنْصُرُنَا)، فَهَلْ نَسْتَجِيبُ لِنَدَاءِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِنَكُونَ  
شَرِكَاءَ فِي أَجْرِهِ، وَمَنْ الْمَعْدُودُنَّ فِي أَنْصَارِهِ؟ فَلَنَكُنْ كَذَلِكَ،  
وَلَنَكُنْ مَعَ الْحَسَنِ عَلَيْهِ الْحَمْدُ.

رئيس التحرير

# دور الأنصار والسبايا

حوار مع سماحة العالمة

الشيخ حسان سويدان (حفظه الله)

حاوره: عزيز حسن الخضران

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد وآل محمد.

لأنصار الإمام الحسين عليه السلام وقافلة السبايا دور عظيم ومهم في الثورة الحسينية الخالدة والتي لا زالت تلهم الناس العزة والكرامة والإباء، وللتتعرف على بعض أدوارهم وما يرتبط بتأثيرهم في استمرار الأهداف الحسينية كان لنا هذا الحوار مع أستاذة المدرسة العلمية المباركة، وهو سماحة العالمة الشيخ حسان سويدان (حفظه الله تعالى ورعاه)، فإليك نص الحوار.

✿ سماحة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❖ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

✿ سماحة الشيخ جاء في خطبة الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء مخاطباً أصحابه: «...وأتم في حلّ من يعي، ليست لي في أنفاسكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشىكم فاتخذوه جلا، وتفرقوا في سواده، فإن القوم إنما يطربونني، ولو ظفروا بي لذهبوا عن طلب غيري»<sup>(١)</sup>. والسؤال المهم هنا، ما هو هدف الإمام عليه السلام بهذا الخطاب، وهل هو جادٌ فعلاً في أنه لا توجد بيعة في

## أعناقهم له عائلة؟

❖ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، لا سيما بقية الله في الأرضين وحجة الله علىخلق أجمعين، عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الحقيقة أنَّ هذا الكلام المنسوب إلى الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام في ليلة عاشوراء، أولاً لم يثبت صدورُ هذا الكلام بإسناد صحيح عن الإمام صلوات الله وسلامه عليه، وثانياً بناءً على صدور هذا الكلام، لا بد أن نسجل هنا مطلباً هاماً، وهو أن تكليف الإنسان المسلم تجاه إمامه الحق المعصوم، البيعة فيما يرتبط بنصرة الإمام وطاعة الإمام والانضواء تحت لواءه، هي في الحقيقة بيعة لله تَعَالَى، وعلى هذا الأساس، فلا مجال للقول(هذا خط عريض، وككبير وقاعدة كليلة) لا مجال للقول بأن بعض الناس أو جملة من الناس يمكنهم أن لا ينتصروا لله بنصرة حجة الله عزوجل في أرضه، ومن هنا فإن الكلمات التي قالها الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام في مدينة جده، وفي مكة المكرمة، وفي الطريق، وفي كربلاء قبل يوم عاشوراء وليلة عاشوراء، وفي يوم عاشوراء أيضاً ينسب إليه كلام شبيه بهذا الكلام، إنما هو لأنَّ الإمام الحسين من جهة لم يرد أن يلتتحق به أحدٌ على أساس الإجبار، أو على أساس الإكراه، أو حتى على أساس الإحراج، وذلك لأنَّ التوراة من أوكلاها ومن قبل بدايتها من الواضح عند صاحبها عليه آلف الصلاة والسلام أنه إنما هو ذاذهب لأجل ثورة بالدماء، لأجل ثورة ستنتهي إلى الشهادة، والسيجي من سيتخلف بعد الاستشهاد، وعلى هذا الأساس الإمام صلوات الله وسلامه عليه بلحاظ أهداف الثورة وبلحاظ مجرياتها، لن يقدم أو يؤخر كثيراً العدد، سواء كان العدد مائة مثلاً من الأنصار أو سبعين من الأنصار، من الواضح جداً أن التأثير المركزي والأساسي في القضية هو دم

الحسين عليه السلام ودماء أهل بيته بالدرجة الأولى والثانية، ويأتي الأصحاب (رضوان الله تعالى عليهم) بعد ذلك، من هنا أراد الإمام متنخرج معه في هذه الثورة أن يكون خارجاً بـ«اختياره» قد قرر الشهادة، وقد قرر التضحية بين يدي ابن رسول الله ليتضرر لنفسه في الحقيقة ليفوز بمحبته للحسين عليه، وباستشهاده بين يدي الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

وعلى هذا الأساس فبناء على صدور هذا الكلام، يمكن أن يكون الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام، والذي كرر وقال بمقتضى كونه الإمام عليه السلام، وبمقتضى حجية كلامه على الخلق أجمعين، فضلاً عن المسلمين، «هل من ناصر ينصرنا» أو إلى ما هنالك، كان سلام الله عليه بصدق إقامة وإتمام الحجة على المسلمين من جهة، وكان أيضاً على المقلب الآخر يريد أن يقول هؤلاء: حذار أن يكون شخصاً منكم قد توجه معه إلى محراب الشهادة، وهو غير مقرر للشهادة، لأن يحتمل أن تنقلب موازين القوى مثلاً، أو أن تنتهي القضية إلى نتيجة يُسمح لنا فيها بأن نذهب إلى بعض أطراف العالم الإسلامي، ولا نخier حينئذ بين السلة والذلة، حذار أن يكون شخص من هذا القبيل.

ومن الواضح أيضاً أن السمعاب ببريق السيوف غير رؤيتها مرأى العين فوق الرقاب، من هنا كان الإمام الحسين عليه السلام يريد أن يسجل للأصحاب، ومن في المعسكر معه، أنه لا أريد لشخص أن يكون مكرهاً، أو أن يكون محراً في بذل دمه غداً في سبيل الله تعالى.

وهذا في الحقيقة يمثل رسالة للبشرية جماء في خط المهدى، وأن الجهاد في سبيل الله ولو كان دفاعياً لن يكون إكراهياً، بل إن هذه الصفة الإلهية الربانية التي عرضها الله تعالى على عباده فاشترى بها منهم أموالهم وأنفسهم قائمةً على اختيار هذا الإنسان، بدءاً وانتهاءً، وعلى هذا الأساس فإن الإمام صلوات الله

وسلامه عليه في بهذا الكلام وبما يشبهه من كلمات تنسب إليه قد خط خطأ وهو أن قضيتنا لن يكون فيها إلا من قرر باختياره الكامل أن يكون فيها شهيداً في يوم غد، في يوم عاشوراء، وعلى هذا الأساس، لم يقل الإمام صلوات الله وسلامه عليه فقط بأنكم تستطيعون أن تذهبوا أكثر من هذا قال، قال في بعض ما ينسب إليه: «إن هذا الليل قد غشياكم فاختنوه جملاً، وتفرقوا في سواده»، على هذا الأساس حينئذ الإمام قد يقال بأنه في مثل هذا الكلام، يوجد لهم شيئاً من المبررات أيضاً للذهاب.

أما على المقلب الآخر، فهل كان هؤلاء على مستوى التكليف والوظيفة الشرعية يجوز لهم أن يسلموا إمامهم المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، وأن يتركوه وحيداً فريداً يستشهد، من الواضح جداً أنَّ التكليف الشرعي يقضي بالدفاع عن الحق، بالدفاع عن الدين، بالدفاع عن الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه حتى الرمق الأخير، وهؤلاء بطبيعة الحال كان يجب عليهم أن يدفعوا وينبذوا وأن يقاتلوا بين يدي الإمام، وأن ينعوا أن يُوصل إليه بسوء ما دام فيهم رمق، وما دام فيهم عرق ينبع، وعلى هذا الأساس فمن الواضح جداً أنَّ التكليف الإلهي الرباني بالنسبة لهم يقضي بالبقاء.

نعم قد يكون الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام أشار هنا إلى جنبة شخصية في القضية، وهي أنه لا يكونَ أحداً محجاً تجاهي على الصعيد الشخصي لأنَّه سايرنا في الطريق، أو مشى معنا، أو وصل معنا إلى هذا الوطن، فإنَّ من كانت بيته الله فهو أعرف بتتكليفه فيما بينه وبين الله، أما من كانت بيته معي كزعيم للقتال بعزل عن الجانب الإلهي والرباني في القضية فلا يكون في حرج من جهة أنه بایعني على المستوى الشخصي في خصوص هذا المسير، فيمكن بهذا أن نوفق بين هذا الكلام والتكليف الشرعي الذي كان حتماً يقضي بعكس هذا.

وهؤلاء نتيجة الوعي الشرعي الذي كانوا يتلذبونه، من الواضح جداً أنهم عندما واجهوا مثل هذا الموقف لم نجد منهم إلا التفاني في إمامهم صلوات الله وسلامه عليه على مستوى النظرية وعلى مستوى التطبيق في يوم عاشوراء.

### ﴿ هل يعني أنه لم يترك أحد منهم الإمام عَلَيْهِ الْكُلُوبُ بَعْدَ هَذَا الْخُطَابِ؟ ﴾

❖ نحن لم يثبت لدينا ليس فقط في ليلة عاشوراء، بل قبل ليلة عاشوراء أن أحداً من أصحاب الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكُلُوبُ الذين جاؤوا معه وكان مجئهم باختيارهم جميرا، لم يثبت أن أحداً قد تخلف عن نصرة أبي عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، طبعاً البعض منهم جرح في يوم عاشوراء ولم يستشهد وهذا أمر طبيعي يحصل في كل قتال وفي أي ثورة، بل العكس تماماً، كان هناك أصحاب مكتوبين في اللوح المحفوظ في أصحاب الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد جاؤوا وزادوا العدد في يوم عاشوراء كالحر بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالى عليه.

### ﴿ إِذْنُ كَيْفَ نُوقِّقُ بَيْنَ خُطَابِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ الْكُلُوبُ فِي إِبْرَاءِ ذَمَّتِهِمْ فِي الْذَّهَابِ وَبَيْنَ دُعْوَتِهِ لآخَرِينَ لِنَصْرَتِهِ، فَهُلُّ الْهُدُفُ هُوَ فَقْطُ فِي إِقَامَةِ الْحَجَةِ عَلَيْهِمْ أَمْ هُنَاكَ سَبَبٌ آخَرُ؟ ﴾

❖ أنا أستطيع أن أقول بأن الإمام (إذا صرحت به) يتم الحجة في الكلمين معاً، فمن جهة يدعون المسلمين إلى نصرته؛ لأنَّ المسلمين جميعاً يجب عليهم أن ينتصروا لقضايا الحق، ويجب عليهم أن ينتصروا لإمام الحق، هذا في الظروف العادية وفي أي معركة، فكيف إذا كان أساس الدين في خطر، «على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة برابع مثل يزيد»<sup>(٢)</sup>، فالقضية هنا ليست قضية شخصية، نحن إذا عرفنا ببعضها من أبعاد القضية يمكن للجواب على مثل هذه التساؤلات، القضية أن أساس الإسلام وأساس الدين في خطر، القضية ليست مجرد أخذ الخلافة من أهل

البيت عليه السلام، علي عليه السلام أخذت منه الخلافة فصبر، «فصبرت وفي العين قدى، وفي الحلق شجى»<sup>(٣)</sup>، والإمام الحسن عليه أفضل الصلاة والسلام -ولم يكن مسار الأحداث قد وصل في المخطورة على الإسلام وعلى تعاليم الإسلام إلى هذا المستوى- عندما رأى سلام الله عليه برؤيته الثاقبة المعصومة أن من مصلحة الإسلام والمسلمين حقن الدماء، صالح معاوية في الصلح المعروف، ووفى سلام الله عليه، بل حتى الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام بعد استشهاد الإمام الحسن أيضاً وفي بعقد الصلح الذي قد أقامه الإمام الحسن عليه السلام.

على هذا الأساس القضية برمتها هي قضية أن دين الإسلام في خطر، أن أساس هذا الدين في خطر، ومن الواضح جداً أنه دعاهم الحسين أو لم يدعهم الحسين، كان يوجد بين ظهرياتهم إمام معصوم مفترض الطاعة أو لا يوجد، يجب على جميع المسلمين أن يهبو لنصرة دينهم، وأن يحافظوا على البقية الباقية من هذا الدين، بعد تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، في وجه شخصية لو تسنى لها أن تصبح خليفة ظاهرية للأمة الإسلامية، وأن يستتب لها الأمر من دون معارضة فإن أساس الدين برسمه (لا بتعاليمه فقط) سيكون في معرض الخطر الحقيقي.

والإمام الحسين لا يجامل عندما يقول: «وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براب مثل يزيد»، وعلى هذا الأساس فمن الواضح جداً، أن كل مسلم كان يجب عليه أن يقوم بنصرة دين الإسلام، بالانضواء تحت لواء الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام.

ومن هنا الإمام أتم الحجة بدعوه للنصرة وبالأسلوب الحكيم أيضاً في الحركة؛ فإن الإمام عليه السلام اتخذ في مكة يوم التحرك يوم التروية، اليوم الذي يتوجه فيه الناس إلى عرفات، بما يعني من معزى هذا اليوم، في الإحرام لله، وإبراز غاية العبودية والتذلل والخضوع لله تعالى، ليقول لهم إن إحرامكم في هذا العام،

إحرامكم في هذا اليوم، لا بد وأن يكون بالاتجاه المعاكس، هذا هو الإحرام الحقيقى، هذا هو الترجمة العملية والحقيقة لتعاليم الحج بما تشتمل عليه من إبراز العبودية والخضوع والتذلل المطلق لله تعالى.

وعلى هذا الأساس فإنَّ مثل هذا الشعار يمثل تذكيراً وليس إخباراً، تذكيراً للأمة بواجبها وتکلیفها تجاه دینها، وتجاه إمامها المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، وعندما يقول مقالته الأخرى في ليلة عاشوراء فهو في الحقيقة أيضاً يتم الحجة على جميع المسلمين، من جهة أن هذه الطائفة والفئة القليلة لن تنصره، بمعنى أنه لن تنتصر جغرافياً في يوم غد، ولكنه صلوات الله وسلامه عليه، وبعد أن دعاهم للنصرة وجاؤوا، يريد أن يقول لهم إن يوم غد هو يوم بذل الدماء في سبيل الله، ورأس الهرم في القضية والذي على أساس استشهاده وبذل دمه سوف تتحقق أهداف الثورة الإلهية الربانية الكربلائية في إحياء ضمائر أبناء الأمة، وإخراج الإسلام من دائرة الخطر الشديد، ليوضع على السكة الصحيحة لتعود الأمة من جديد إلى تعاليم نبيها وتعاليم قرآنها، فالإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام كأنه يريد أن يقول لهم، أنتم تعرفون تکلیفکم الشرعي أمام الله، ولكن على الصعيد الشخصي أنا أستطيع أن أقول لكم إن الأمور قد حسمت، وأن يوم غد هو يوم الشهادة، فمن يتوقع أن تتغير موازين القوى أو إلى ما هنالك، ويريد أن يخرج فإنه يستطيع أن يخرج، ومن هنا الإمام لم يأمر أحداً أن يترك القتال، ولم يطلب من أحد بعينه أو لا بعينه أن يترك القتال، كل ما طلبه الإمام منهم أن يرفع عنهم غالباً رجباً شعر أحدهم أنه في يديه، وأنه لا خط رجعة بالنسبة له، وهذا في الحقيقة يسجل على المستوى القيمي والمعنوي خطأ عريضاً في الثورات، لأنه من المعلوم أن الثورات عندما يقل عتادها أو يقل عدیدها، تصبح أكثر حرضاً على أفرادها، وترى (لأن هدفها الانتصار جغرافياً) أن تبقى

هؤلاء في داخل معسکرها ولو بالقوة، حتى أن من يروم الخروج منهم يرمى بالخيانة العظمى، وقد يكون حکمه الإعدام وقد يعدم على الفور، حتى يتعلم من فعلته الآخرون، وأن لا يتراجعوا.

الإمام الحسين على الجانب القيمي يريد أن يقول هذا ليس منهج الإسلام، منهج الإسلام وإن حرّم الفرار من الزحف بأعلى وأشد عبارات التحرّم، لكن منهج الإسلام يريد أن يقول أن هذه المجهة جهة يختار الإنسان فيها إن كان يريد أن يطيع الله تعالى أو كان لا يريد ذلك، ولو أن الإمام الحسين يرى أن بقائهم وقتلهم واستشهادهم بين يديه لا يمثل تكليفا شرعاً بالنسبة لهم، وأن بقائهم لا يفيد الدين ولا يفيد الإسلام بشيء لكان أوجب عليهم الذهاب، ولو كان يرى صلوات الله وسلامه عليه أن الهدف الأقصى والأعلى من ثورته المباركة يتوقف على استشهاده منفرداً وحده هنالك، ولم يكن أي داع لبذل دمائهم، لا على صعيد القرابة لله بالنسبة لهم، ولا على صعيد تأجيج ضمير الأمة الإسلامية في القيام والانتصار للحق بعد ذلك من خلال الثورات التي تتالت بعد وقعة كربلاء المباركة، والتي لا تزال تستقي معنوياتها إلى يومنا هذا، بل إلى يوم القيمة، من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، لكان قد منعهم من البقاء ولكان قد أجرى عليهم تكليف الخروج والذهاب، قوله عليه السلام: «إن القوم لا يريدون غيري، وإذا ظفروا بي ذهلاً عن غيري» هذا بيان وتسكين للنفوس؛ ليكون القرار -الذي هو قرار التكليف الشرعي أيضاً بالبقاء- الذي يتخذه كلُّ واحد منهم قراراً مستقلاً مستقراً، مأخذًا عن سابق إصرار وتصميم على ضوء وضوح الرؤية فيما يرتبط بالجهاد وبذل النفوس بين يدي ابن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

✿ سماحة الشيخ بالنسبة إلى تأثير استشهاد أنصار الإمام عليه السلام، أنت أشرتم إلى ذلك بعض الشيء، ولكن نريد توضيحاً أكثر، بمعنى أنه لو أن

الإمام الحسين عليه السلام استشهد لوحده من دون أن ينصره أحدٌ لا من أهل بيته ولا من الأنصار، فهل كانت أهداف الثورة الحسينية سيقل تأثيرها، أو لن يتحقق الهدف الكامل منها؟ وكذلك ما هو دور السبابايا في تلك الأهداف المقدسة؟

❖ إذا نظرنا إلى الأهداف الاجتماعية من الثورة، الأهداف على مستوى الأمة، تارة يتحدث عن التخطيط الرياني والهدف الرياني والتوفيق الرياني، من الواضح جداً أن التوفيق الذي وفق له الإمام الحسين على قاعدة ما نسب لرسول الله ﷺ: «إِنَّ لَكَ دَرْجَةً لَنْ تَنْهَا إِلَّا بِالشَّهَادَةِ»<sup>(٤)</sup> لا يفرق فيه شيء، وجود أحد أو عدم وجود أحد، فإنَّ دم الحسين المبارك في حد نفسه، من الواضح جداً أنه سيكون بعين الله تعالى، وسوف ينميء الله تعالى، لكن إذا نظرنا على الصعيد الاجتماعي والأهداف القريبة للثورة، يعني إذا نظرنا بالرؤى التي يراها الطرف الذي يعيش الأحداث، الإنسان العادي الذي يعيش في الكوفة والبصرة وفي مختلف بلاد الإسلام، من الواضح على هذا الصعيد وعلى هذا المستوى أن استشهاد الإمام الحسين هكذا وحده في الصحراء بلا خبر ولا حس ولا إلى ما هنالك لن يتحقق الأهداف الاجتماعية المتعارفة وحده.

فلكل شخص في كربلاء من العرب والعجم والأحرار والعيبيد - وكلهم أحرار بمعنى الحرية البشرية، وكلهم عبيد بمعنى عبوديتهم لله تعالى - من الواضح أنَّ كلَّ واحد منهم قد أدى دوراً، إما من خلال التأثير على قبيلته، كاستشهاد أمثال حبيب رضوان الله تعالى عليه ومسلم بن عوسجة أو ابن القين أو إلى ما هنالك وتطول القائمة، فكلهم أبناء عشائر، أبناء قبائل، المجتمع العربي كثير من عاداته وتقاليده تغلب عليها الجهة والجنبة العشائرية كما هو معلوم، وحينئذ باستشهاد كل واحد واحد منهم كان له تأثير هام، في إحياء جنبة من جوانب الإحياء في

أطراف الأمة الإسلامية الكبيرة، والتي يراد لها أن تكبر يوماً بعد يوم على أساس تعاليم الإسلام.

وأما وجود النساء وأهل البيت فهو أيضاً مما لا شك ولا ريب فيه كان يمثل فيما يمثل من جهة أهل البيت زيادة فظاعة فيما يعتدى على حرمات الله، وحرمات رسول الله عليهما السلام، فمن جهة النساء من الواضح أن البيان العاشرائي والرسالة العاشرائية، وموكب السبايا هو الذي حملها في البلاد الإسلامية والأفاق الإسلامية، وبدأت الأمور تنقلب أساساً في الكوفة ثم في الشام، وفي الأحداث التي جرت في الكوفة والشام من خلال الضغوطات المعنوية التي مورست بحق من قبل السيدة زينب سلام الله عليها، أو من قبل النساء الزينبيات.

هذا يعني فيما يعني بشكل واضح، أن مقوله الإمام الحسين عليهما السلام «شاء الله أن يراني قيلاً، وشاء الله أن يراهن سبايا» توضح أن الثورة كانت ذات جناحين هامين، الجناح الأول هو استشهاد الإمام الحسين عليهما السلام لاستشهاد أهل بيته وأصحابه، والجناح الآخر هو حمل الرسالة العاشرائية والبيان العاشرائي في بلاد الإسلام في الحاضر الإسلامي أساساً، الكوفة الشام مكة المدينة، من الواضح جداً أن موكب سبايا آل محمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام كان هو التثمير العملي للدماء الحسينية، وإلا (والإعلام بيد السلطة كما هو معلوم من حيث المبدأ) لو لا هذا وذلك لربما قيل بأن الإمام الحسين عليهما السلام كان في الصحراء وهاجمه لصوص الصحراء وكان ما كان، ولكن التعتيم الإعلامي انتهى بالقضية إلى محل آخر، هذا الأمر نحن ندركه في عصرنا الحاضر أكثر مما يدركه ربما أهل العصور السابقة؛ لأننا في عصرنا الحاضر نعلم كيف أن الإعلام يحور ويحول الحقائق ويقلبها رأساً على عقب، البيان الإعلامي العاشرائي هو البيان الذي حمله الموكب

الذي حمل جزئاً من رسالته الإمام زين العابدين ع، وحمل الجزء الآخر السيدة زينب والزينبيات رضوان الله تعالى عليهن جيما.

### ✿ هل هناك من النساء من استشهدن في يوم عاشوراء؟

❖ في الحقيقة هذا الأمر غير مثبت تأريخياً بشكل قطعي، من الواضح أن الإمام الحسين ع كلمته التي تكررت في يوم عاشوراء للنساء اللواتي أردن القتال والاستشهاد، أنه ليس على النساء قتال، طبعاً يوجد مسألة هنا فقهية، وهذا جانب من جوانب فرادة واقعة عاشوراء، في المسألة الفقهية إذا كان المجاهد جهاداً دفاعياً، وكان المجاهد الدفاعي جهاداً عن أساس الدين، والذي يتباهى الإمام المعصوم ع بلا شك ولا ريب، فإنه في حال الهجوم على الإمام المعصوم يجب على كل مسلم ومسلمة أن يدافعاً ويدافعاً إلى الرمق الأخير، ومن الواضح بحسب موازين القوى والأحداث، وبحسب إخبارات الإمام الحسين ع أنه قاتل قوسين أو أدنى من الشهادة، ومع ذلك الإمام الحسين ع يؤكد كثيراً في يوم عاشوراء أنه ليس على النساء قتال، هذا جانب آخر من جوانب الفرادة في ثورة عاشوراء، أو ما يمكن أن أسميه ضرورة النظر إلى الجوانب والظروف الزمنية والموضوعية لواقعة عاشوراء، يوجد تكليف عريض وهو لزوم الدفاع عن الإمام المعصوم حتى الرمق الأخير، وهذا بالأصل هو تكليف الرجال ما دام يكتفى بالرجال، أما وقد كان العدد قليلاً، أو استشهد أكثر الرجال، فينتقل التكليف على مستوى القاعدة الأولية للنساء.

ومع ذلك هنا الإمام الحسين جاد وبشكل واضح نظرياً وعملياً فيما يرتبط بهذه الجهة، وأنه ليس على النساء قتال، ولو كان الأمر سينتهي إلى استشهادي شخصياً، لماذا؟ لأنَّ استشهادي هو المطلوب في هذا المجال؛ لأنَّه بدمائي ستتحقق الثورة الحقيقية والعارمة، وستتحقق أهداف الثورة في القضاء على أمل من يؤمل

في أن يقضي على الإسلام، وعلى دين الإسلام الأساسي، هذه جنحة، والجنحة الأخرى هي أن جزءاً مهماً كما أشرنا قبل قليل وأساسي من ثورة عاشوراء في الحقيقة كان هو حمل البيان العاشوري، والإعلام العاشوري والذى كان يتوقف على أن تحمل النساء بالدرجة الأولى هذا البيان، ويوصلنه إلى كل آفاق العالم الإسلامي، سواء من مشى في موكب النبي منهن، أو من لم ترض قبيلتها في أن تمشي في موكب النبي وأخذت إلى قبيلتها، فإن هذه أيضاً ستحدث عن مجريات الأحداث، ستحدث عن وقائع الأيام الأخيرة، ستحدث عن وقائع ليلة عاشوراء، ستحدث وهي الناقل الصادق عن وقائع يوم عاشوراء، عن أخلاق العسكريين، وعن شعارات العسكريين، وعن وقائع القضايا، وعن كيفية استشهاد الإمام الحسين، فستكون كل واحدة سفيرة، سواء في موكب النبي أو في غير موكب النبي، من هنا كان يجب حفظ رقم النساء في هذا المجال لأجل أن يؤدين الجزء المتمم لثورة كربلاء وعاشوراء الحسين عليه السلام.

نعم موجود في نص تأريخي، عن امرأة واحدة وهي أم وهب وأنها خرجت وحملت عمود الخيمة، وإلى ما هنالك من قضايا، ومنقول عن امرأة ثانية في بعض النصوص أنها أم وهب وفي بعض النصوص أنها غيرها أنها خرجت لأجل زوجها هذه المرة، ومنقول أن المرأة قد اغتالتها العسكرية الآخر، وهذا ما نقله السيد المقرم في مقتله للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ص ٢٤٢، والحديث هذه المرة عن أم وهب وأنها كانت مع زوجها في كربلاء، حيث يقول النص التأريخي بأنَّ هذه المرأة قد خرجت لا شعورياً عندما رأت زوجها يستشهد، وعندما قطعت أطراف أصابع يده اليسرى، فكيف أن زوجته قد خرجت، والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هذه المرة أرجعها إلى الخيمة، وهذه إحدى المرات التي قال فيها بحسب النص ص ٢٣٨، بأنه ليس على النساء قتال، فرجعت هذه المرأة،

ويقول النص في التتمة، أن الشمر حمل في جماعة على ميسرة الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام، وقاتل عبد الله بن عمير الكلبي، فقتل تسعه عشر فارساً واثني عشر راجلاً، وشد عليه هاني الحضرمي إلى أن يقول النص: فمشت إليه زوجته أم وهب وجلست عند رأسه تسخن الدم وتقول هنيئاً لك الجنة، أسل الله كذا وكذا، فقال الشمر لغلامه رستم: "اضرب رأسها بالعمود، فشدخه وماتت مكانها"، لم تقاتل بحسب هذا النص، بل قتلت في ساحة كربلاء بين الشهداء، وإلا فلا توجد لدينا معلومات مؤكدة عن استشهاد امرأة في كربلاء سوى هذا النص التاريخي عن استشهاد أم وهب.

لكن هذا لا يعني أن دور النساء في عاشوراء وقف عند هذا الحد، فإن موقف النساء قبل يوم عاشوراء، وفي يوم عاشوراء وبعد عاشوراء جلي جداً فيما يرتبط في هذا المجال، وفي صور رائعة لوقف المرأة في عاشوراء، إنأخذنا كنموذج ليس الكلام الآن من السيدة زينب، فهي أهل البيت، ومن الواضح أن موقفها وموقف نساء أهل البيت سواءً نسباً أو سبباً كزوجات الإمام الحسين عليه السلام، أو بعض أصحاب الإمام الحسين من أهل البيت سيكون واضحاً، لكن موقف امرأة مثل زوجة زهير بن القين التي قلبت الرجل رأساً على عقب بقوتها: "يدعوك ابن رسول الله، وتختلف عن دعوته، اذهب واسمع كلامه"، أو موقف أم وهب سواءً الزوجة أو أم وهب الأم لأنه يوجد لنا نصوص تأريخية من الطرفين، وصور ناصعة ورائعة حدثنا عنها التاريخ فيما يرتبط بواقف النساء، سواءً قبل يوم عاشوراء أو في نفس واقعة يوم عاشوراء، فضلاً عن الأحداث التي تلت الواقع كما هو واضح.

✿ بالنسبة للسبايا هل الذين أخذناوا كلهم من أهل البيت عليهم السلام أم معهم من نساء الأنصار الذين استشهدوا مع الإمام الحسين عليه السلام، وهل كانت عقيدة يزيد لعنه الله هو جواز السبي بالمعنى الحقيقي والشرعى كما

## تسبى الكفار، أو هو مجرد أسر لهؤلاء النساء؟

❖ في الحقيقة نحن لا نستطيع أن نؤكد الموقف فيما يرتبط بأهداف النبي، قيادة الجيش الأموي وأنهم كانوا يريدون سبياً حقيقياً أو أنه مجرد الأسر والتنكيل بأهل البيت عليهما السلام، لكن كل شيء ممكن؛ فإن الذين كانوا في الطرف المقابل قد فقدوا ليس فقط قيمهم الإسلامية، لأنهم لم يكونوا في يوم من الأيام مسلمين بأكثر من الاسم فقط، كانوا أيضاً قد فقدوا بجمل قيمهم الإنسانية، وأحداث عاشوراء واضحة سواء كان مع الرجال أو مع النساء أو مع الأطفال، فإن ما انتهك من قوانين العرب -لا أقول قوانين الإسلام- في واقعة عاشوراء يمكن تسجيله الآن من الذكرة، من دون مراجعة المصادر، أصل المنع من الماء ليس شيمة عربية كما هو واضح، ولا يلتقي مع أي قيمة إنسانية، منع الماء عن الأطفال على وجه الخصوص، أو قتل الأطفال كما حصل مع رضيع الحسين صلوات الله وسلامه عليه، أدبيات الجيش المقابل، حرق الخيام ولم يبقَ في الخيام إلا النساء تقريباً، رض الصدور بالحيوال، قضية قطع الرؤوس ومداليتها، إلى ما هنالك من قضايا.

على كل حال، نحن لا نستطيع أن نقول بأن هؤلاء لم يأخذوا النساء بقصد النبي -والحال أن النبي بإجماع أهل الإسلام إنما يكون للكوافر-؛ لأن هؤلاء أساساً لا نستطيع أن نحرز أنهم كانوا يعلمون هذا الحكم من دين الإسلام أساساً، لبعدهم الشديد عن تعاليم الإسلام، ثمَّ لو كانوا يعلمون هل كانوا يطبقون؟ من يجترئ على قتل ابن بنت رسول الله، سبط رسول الله وهم يعلمون ما يمثل من رسول الله، وما يمثل من دين الإسلام، هل سيمنعهم أو يحجزهم شيءٌ عن النبي النساء حتى نساء بنى هاشم؟!

ليس بعيداً على مستوى الإمكان أن يكون في فترة من الفترات، في أوائل ما بعد وقوع الفاجعة أن يكون قصدهم السبى الحقيقى، وقد يكون قصدهم التنكيل، ويكون كلام الإمام الحسين «شاء الله أن يراهن سبايا» بمعنى الأسر، وأن ما سيحدث معهم يشبه ما يحدث مع السبى في القتال مع الكفار من جهة وضع الأغلال في أيديهん، وتسيرهن إلى الجهة التي انتصرت في القتال، لكن أنا في تقديري في الدرجة الأولى لا مانع من حمل الكلام على ظاهره، وحمل الفعال على ظواهرها، فإن العرب في القتال فيما بينهم، وكذلك في دين الإسلام المفروض أن المرأة ليس فقط لا تسبي لا تأسر أصلاً، ويترك لها ما بعد القتال أن تذهب وتتوجه إلى حيث تشاء، وهذا ما لم يحصل في كربلاء، فلا مانع من أن يكون في بداية الأمر كان قصد القوم أن يتعاطوا معهم كالذى توقعه بعض أهل الكوفة أو بعض أهل الشام عندما رأوا أن هذا سبى الروم، أو سبى الدليم، كما ورد في النصوص التاريخية، لكنه من الواضح جداً أنه عندما بدأت تتردد أصوات ثورة كربلاء، ومن الأيام الأولى كانوا مضطرين لتغيير قرارهم على تقدير وجوده؛ لأن هذا سيعجل كثيراً في تأييد حركتهم وفي تأييد حكمهم الانقلابي على دين الإسلام، وحكمهم الانقلابي على الخلفاء الشرعيين لهذا الدين، فلا يمنع أن يكون قصدهم السبى الحقيقى في البداية، ثم إن خطب السيدة زينب وموافقتها، وموافق الإمام زين العابدين، وإلى ما هنالك قد قلبت الأمور، حتى في عقر دورهم كما تحدثنا بعض الواقع التاريخية أن بعض زوجات يزيد لم تتحمل الموقف فوقفت في وجهه، فيكون الإسراع في التخلّي عن السبايا وموكب السبى والإسراع في إظهار ولو بمستوى من المستويات - احترامهم في الآونة الأخيرة وتكرميهم، إنما كان من جهة الحفاظ على حكمهم، على ما تبقى من حكمهم المتهاري والمتهاوي والمتزلزل.

❖ فيما يتعلق بالمرأة المعاصرة، كيف يمكن أن تشارك في إحياء شعائر الإمام سلام الله عليه، وتأثير في استمرار أهداف الثورة الحسينية؟

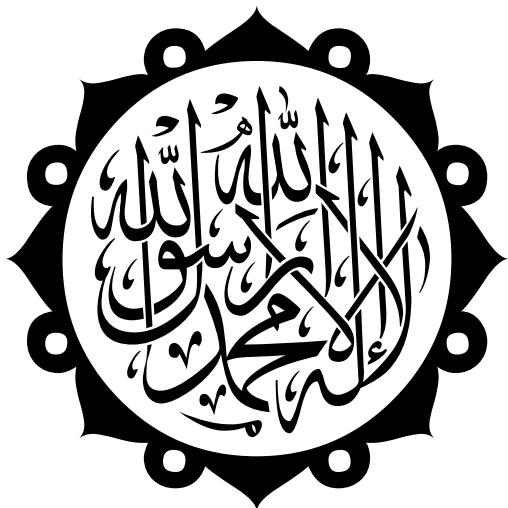
❖ الحقيقة أن الإسلام دين لم يميز في أسسه وأحكامه وتكاليفه بين الرجال والنساء إلا بقدر ما تتميز الطبيعة والتركيبة الفسيولوجية بين الرجل والمرأة، وإلا فإنه في مقام حفظ الدين والذب عن الدين، وحفظ شريعة الإسلام، وحفظ تعاليم الإسلام التكليف للرجال والنساء على حد سواء، نعم المرأة تصنع الرجل، والرجل يصنع ما يكن له أن يصنعه في ساحات الجهاد بالمعنى الأوسع للكلمة والقيام بالتكليف والواجب الشرعي.

ومن نافلة القول أن نقول بأن الخط البزيدي والخط الذي يكيد للدين، الخط الذي يقاتل أهل الدين ويقف في وجه الدين سواء من داخل الأمة الإسلامية عبر تكفيريين هنا، وعبر حركات منحرفة هناك، أو من خارج الأمة الإسلامية وقد تكالبت على الإسلام والمسلمين قوى الشر في شرق الأرض وغربها، الحركات الماسونية الصهيونية العالمية، الولايات المتحدة الأمريكية إلى ما هنالك من معسكر للكفر وقد يصدق في هذه الحالة مقوله "أن الكفر ملة واحدة" في عدائه للدين وفي عدائه للإسلام من الواضح أن المعركة لن تقف عند حد، وستبقى مستمرة إلى أن يخرج صاحب الحق الأصلي صلوات الله وسلامه عليه، حتى يقود الحركة بنفسه، من الواضح أن الحركة فيها تحليات، أحد أهم تحلياتها في عصرنا الحاضر الجانب الثقافي، ومن الواضح أن الجانب الثقافي، كما أن الرجل يلعب دوراً فإن المرأة تلعب دوراً أساسياً وأساسياً وأساسياً جداً، في تربية وتنقيف الأبناء والبنات على حمل الروح الإسلامية الصحيحة وعلى حمل الرؤية الصحيحة للإسلام وفهم الإسلام، هذا جانب والجانب الآخر هو فيما يرتبط بجهاد المرأة في تركيز وتثبيت الخط الحسيني فيما بين النساء، هذا أيضاً جانب مهم لا يستهان به، ولا يغض

الطرف عنه، خصوصاً في مجتمع يرجح للمرأة وتقول سيدته الأولى: «خير للمرأة أن لا ترى الرجال، ولا يراها الرجال» من الواضح جداً أنه سيكون للمرأة دور هام وحساس وأساسي فيما يرتبط بهذا المجال<sup>(٥)</sup>.

### المواهش:

- (١) أمالى الصدق، ص ٢٢٠.
- (٢) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٦.
- (٣) نهج البلاغة، ج ١، ص ٣١.
- (٤) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٨.
- (٥) كان سماحة الشيخ عليه السلام يريد أن يكمل الحديث لولا مجيء بعض الضيوف.





## الإخلاص للقضية الحسينية

«أم البنين نموذجاً»

غازي عبد المحسن استاذ

### أم البنين ونسبها

هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن الناس بن مصر<sup>(١)</sup>.

ومصر هو الجد الذي يلتقي فيه نسب أم البنين بنسب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث لم يكن مصر غير رجلين، أحدهما «إيلاس»، والثاني «الناس»، وإليه ينتهي نسب أم البنين عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٢)</sup>.

هذا ما يرتبط بنسبيها من جهة الآباء، وأمّا من جهة الأمهات، فأمّها ثامة بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب. وأمّها عمرة بن الطفيلي بن مالك الأحزم بن جعفر بن كلاب. وأمّها كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب. وأمّها أم الخشف بنت أبي مغولة ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وأمّها فاطمة بنت جعفر بن كلاب. وأمّها عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. وأمّها آمنة بنت وهب بن عمير بن نصر بن قعين بن الحرت بن دوادن بن أسد بن خزية. وأمّها بنت جحدر بن ضبيعة الأغر بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار. وأمّها بنت مالك بن قيس بن ثعلبة. وأمّها بنت ذي الرياستين ابن أبي عصم بن شمخ بن فزاره. وأمّها بنت عمرو بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بعيسى بن ريث غطفان<sup>(٣)</sup>.

فأم البنين تنحدر من أشرف القبائل العربية نسبياً، وأعلاها شرفاً، وشجاعة، وكرمًا، وفصاحة. وكان بنو عامر من «الخمس»، وخمس -كفرح- من اشتدّ، وصلب في الدين والقتال<sup>(٤)</sup>.

فإنّ من قومها أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، جد ثامة والدة أم البنين، وهو الجد الثاني لأم البنين، قيل له ملاعب الأستنة؛ لفروسيّته وشجاعته، لقبه بذلك حسان لما رأه يقاتل الفرسان وحده، وقد أحاطوا به، فقال حسان: ما هذا إلا ملاعب الأستنة<sup>(٥)</sup>.

وقيل إنّ أوس بن حجر قال فيه:

يلاعب أطراف الأستنة عامر فراح له حظ الكتاب أجمع<sup>(٦)</sup>

ومن قومها عامر بن الطفيلي بن مالك بن جعفر بن كلاب، وهو أخو عمرة، الجد الأول لأم البنين، كان عامر أود أهل زمانه وأشهر أهل العرب بأساً

ونجدة<sup>(٧)</sup>.

ومن قومها عروة الرّحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، والد كبšeة، الجدة الثانية لأم البنين، كان عروة الرّحال وفاداً على الملوك، وله قدر عندهم، ومن هنا سُمي الرّحال<sup>(٨)</sup>.

ومن قومها الطفيلي، فارس قرزل، وهو والد عمرة الجدة لأم البنين، كان معروفاً بالشجاعة والفروسية، وهو أخو ملاعب الأسنة<sup>(٩)</sup>.

### ولادتها

لم يُحدّد المؤرّخون تاريخ ولادتها، بيد أنّهم ذكروا أنّ تاريخ ولادة ابنها الأكبر العباس عليه السلام كانت في السنة السادسة والعشرين من الهجرة<sup>(١٠)</sup>. وقيل إنّها ولدت في العام الخامس بعد الهجرة<sup>(١١)</sup>.

### كنيتها

الأصل في كنية فاطمة العامرية «أم البنين» هو أنّ العرب تكثي بها المرأة التي تلد ثلاثة أولاد فأكثر، وقد تكثي بها بناتها عند ولادتهنّ على سبيل التفؤل هنّ بالبنين<sup>(١٢)</sup>.

وحينما وضعتها أمّها ثامة سمّاها أبوها فاطمة، وكتّاها «أم البنين»، أسوة بجدّتها أم البنين ليلى بنت عمرو بن عامر بن ربعة بن عامر بن صعصعة، وهي المعنية يقول لبيد -الشاعر المعروف- للنعمان ملك الحيرة:

نحن بنو أم البنين الأربع  
ونحن خير عامر بن صعصعة  
المطعمون الجفنة المدعدة  
الضاربون الهام وسط الجمدة

حيث كانت جدّتها ليلى العامرية تكثي بأم البنين، وكان كلّ ولد من

أولادها سيداً في قومه، حتى ضرب بها المثل، فقالت العرب: «أنجب من أم البنين»<sup>(١٣)</sup>.

### الإعداد لنصرة الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف

تزوج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة ابنة حزام العامريّة إماً بعد شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، كما يراه بعض المؤرخين<sup>(١٤)</sup>، أو بعد أن تزوج بأمامة بنت زينب بنت رسول الله عليه السلام، كما يراه البعض الآخر<sup>(١٥)</sup>، والمشهور أنها الزوجة الثالثة من زوجات الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام.

فقد دعا أمير المؤمنين عليه السلام أخيه عقبلاً - وكان نسابة عالماً بأخبار العرب وأنسابهم: «إغنى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب، لأن تزوجها قتل لي غلاماً فارساً، فقال له: أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابيّة، فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس»<sup>(١٦)</sup>.

وقيل: إن الإمام علي عليه السلام قال لأخيه عقيل: «انظر لي امرأة ولدتها الفحولة من العرب، من ذوي البيوت والنسب والحسب والشجاعة؛ لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً، ينصر ولدي هذا - وأشار إلى الحسين عليه السلام - يواسيه في طف كربلاء»<sup>(١٧)</sup>.

وقيل: إن زهير بن القين أتى العباس عليه السلام في يوم الطف، فقال له: اعلم يا أبا الفضل، إن أباك أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد أن يتزوج بأم البنين، بعث إلى أخيه عقيل، وكان عارفاً بأسباب العرب، فقال له: يا أخي، أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوي البيوت والنسب والحسب والشجاعة، لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً، ينصر ولدي هذا - وأشار إلى الحسين عليه السلام - يواسيه في طف كربلاء، وقد أدخلك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تتحسر عن حلائل أخيك وعن أخواتك»<sup>(١٨)</sup>.

## أولادها

### العباس بن علي بن أبي طالب

ولد العباس سنة ست وعشرين من الهجرة، وكان يلقب «قمر بنى هاشم» و<sup>(١٩)</sup> ويُكنى «أبا الفضل».

روي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه نظر يوماً إلى عبيد الله بن العباس بن علي عليه السلام فاستعبر ثم قال: «ما من يوم أشد على رسول الله من يوم أحد قتل فيه عمّه حزرة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم (مؤته) قُتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب، ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة، كلّ يتقرّب إلى الله بِرْبَرَةً بدمه، وهو يذكّرهم بالله فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً. ثم قال عليه السلام: رحم الله العباس، فلقد آثر وأبلى وفدى أخيه بنفسه، حتى قطعت يداه، فأبدله الله بِرْبَرَةً منهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيمة».

وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً».

عاش العباس مع أبيه عليه السلام أربع عشرة سنة، حضر بعض الحروب، فلم يأذن له أبوه بالنزال، وعاش مع أخيه الحسين عليه السلام أربعاً وثلاثين سنة، وذلك مدة عمره <sup>(٢٢)</sup>.

شارك في قتله زيد بن الرماد الجهني، وعاونه على ذلك حكيم بن الطفيلي السنّبي <sup>(٢٣)</sup>.

وقد استشهد معه في طفّ كربلاء اثنان من أولاده، وهما محمد والقاسم <sup>(٢٤)</sup>.

### عبد الله بن علي بن أبي طالب عليه السلام

وُلد بعد أخيه العباس بنحو ثمان سنين، وبقي مع أبيه ست سنين، ومع أخيه الحسن عليه السلام ست عشرة سنة، ومع أخيه الحسين عليه السلام خمساً وعشرين سنة، وذلك مدة عمره، ولم يعقب.

قال أصحاب السير: إِنَّه لَمَا قُتِلَ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَجَمْلَةُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، دَعَا الْعَبَّاسُ إِخْوَتَهُ الْأَكْبَرَ فَالْأَكْبَرُ، وَقَالَ لَهُمْ: تَقْدِمُوا، فَأَوْلَى مَنْ دَعَاهُ عَبْدُ اللَّهِ، أَخْوَهُ لَأَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَقَالَ: تَقْدِمْ يَا أَخِي حَتَّى أَرَاكَ قَتِيلًاً وَاحْتَسِبْكَ، فَإِنَّهُ لَا ولَدَ لَكَ، فَتَقْدِمْ بَيْنَ يَدِيهِ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ قُدْمَهُ وَيَجُولُ فِيهِمْ وَيَقُولُ:

أَنَا ابْنُ ذِي النَّجْدَةِ وَالْأَفْضَالِ ذَاكُ عَلَيِّ الْخَيْرِ ذُو الْأَفْعَالِ  
سِيفُ رَسُولِ اللَّهِ ذُو النَّكَالِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ظَاهِرُ الْأَهْوَالِ

قتائل قتالاً شديداً فاختلق هو وهاني بن ثبيت الحضرمي، فقتله هاني لعن الله <sup>(٢٥)</sup>.

وجاء فيزيارة المروية عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام، والتي رواها المجلسي في بحار الأنوار: «السلام على عبد الله بن أمير المؤمنين مibli البلاء»، والمنادي بالولاء في عرصة كربلاء، والمضروب مقبلاً ومدبراً، لعن الله قاتله هاني بن ثبيت الحضرمي <sup>(٢٦)</sup>.

### عثمان بن علي بن أبي طالب عليه السلام

وُلد بعد أخيه عبد الله بنحو سنتين، وبقي مع أبيه نحو أربع سنين، ومع أخيه الحسن نحو أربع عشرة سنة، ومع أخيه الحسين عليه السلام ثلاثة ثلات وعشرين سنة، وذلك مدة عمره.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إِنَّمَا سَمِّيَتِهِ عُثْمَانٌ بِعُثْمَانٍ بِمَضْعُونِهِ أَخِي» <sup>(٢٧)</sup>.

قال أهل السير: لَمَا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَيِّ الْعَبَّاسَ عُثْمَانَ، وَقَالَ لَهُ: تَقْدِمْ يَا

أخي، كما قال لعبد الله، فتقدّم إلى العرب يضرب بسيفه ويقول:

إِنِّي أَنَا عُثْمَانُ ذُو الْمَفَاحِرِ شِيخِي عَلَيْهِ ذُو الْفَعَالِ الطَّاهِرِ

فرماه خولي بن يزيد الأصبهي بسهم فأوهظه<sup>(٢٨)</sup>، حتّى سقط لجنبه، فجاءه  
رجل من بني أبان بن دارم فقلته واحتزّ رأسه<sup>(٢٩)</sup>.

وجاء في الزيارة الناحية عن مولانا الإمام المنتظر<sup>عليه السلام</sup>: «السلام على عثمان بن  
أمير المؤمنين سمي عثمان بن مضعون، لعن الله راميه بالسهم خولي بن يزيد الأصبهي  
الأيدي والأباني والدارمي».

وجاء في زيارته أيضاً: «السلام عليك يا عثمان بن علي بن أبي طالب ورحمة الله  
وبركاته، فما أجمل قدرك، وأطيب ذكرك، وأبين أثرك، وأشهر خيرك، وأعلى مدحك،  
وأعظم مجده»<sup>(٣٠)</sup>.

### جعفر بن عليّ بن أبي طالب<sup>عليه السلام</sup>

ولد بعد أخيه بنحو سنتين، وبقي مع أخيه نحو سنتين، ومع أخيه الحسن<sup>عليه السلام</sup>  
نحو اثنتي عشرة سنة، ومع أخيه الحسين<sup>عليه السلام</sup> نحو إحدى وعشرين سنة، وذلك  
مدة عمره<sup>(٣١)</sup>. وروي أنّ أمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> سماه باسم أخيه جعفر لحبّه إياه<sup>(٣٢)</sup>.

قال أهل السّير: "لما قُتل أخواه العباس لأمه وأبيه عبد الله وعثمان، دعا جعفراً،  
فقال له: تقدّم إلى العرب حتّى أراك قتيلاً كأخويك، فأحسبك كما احسبتّهما، فإنه  
لا ولد لكم. فتقدّم وشدّ على الأعداء يضرب فيهم بسيفه، وهو يقول:

إِنِّي أَنَا جَعْفَرُ ذُو الْمَعَالِيِّ ابْنُ عَلَيِّ الْخَيْرِ ذُو الْأَقْضَالِ

вшدّ عليه هانئ بن ثبيت الحضرمي الذي قتل أخاه فقتله<sup>(٣٣)</sup>.

جاء في الزيارة الناحية: «السلام على جعفر بن أمير المؤمنين، الصابر بنفسه  
محتبساً، والنائي عن الأوطان مغترباً، المستسلم للقتال، المستقدم للنزال، المكثور بالرجال،

لعن الله قاتله هانئ بن ثبيت الحضري»<sup>(٣٤)</sup>.

### إخلاص أبناء أم البنين للقضية الحسينية

لما كتب ابن زياد كتابه إلى عمر بن سعد بالتعجيز لحرب الحسين عليه السلام، وبعده شمر بن ذي الجوشن، قام هو وعبد الله بن أبي محل بن حزام الكلابي. فقال عبد الله: أصلح الله الأمير؛ إنّ بني اختنا أم البنين: العباس وعبد الله وجعفرًا وعثمان مع الحسين، فإن رأيت أن تكتب لهم أمانًا فعلت. قال ابن زياد: نعم، فأمر كاتبه فكتب لهم أمانًا. بعث به عبد الله بن أبي محل مع مولى يُقال له «كzman». ولما قدم عليهم «كzman» مولى عبد الله بن أبي محل دعاهم فقال: هذا أمان بعث به خالكم. فلما قرأوه قالوا له: أقرأ خالنا السلام، وقل له: أن لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن سمية<sup>(٣٥)</sup>.

وروي أنّ شمراً وقف في يوم العاشر ناحية فنادي: «أين بنو اختنا، أين العباس وإن خوته؟ فلم يجده أحد. فقال لهم الحسين عليه السلام: «أجيروه ولو كان فاسقاً». فقام إليه العباس فقال له: «ما تريدين؟» فقال: أنتم آمنون يا بني اختنا. فقال له العباس: «لعنة الله ولعن أمانك، لئن كنت خالنا، أتومننا وابن رسول الله لا أمان له؟» وتكلم إخوته بنحو كلامه ثم رجعوا<sup>(٣٦)</sup>.

### إخلاص أم البنين للقضية الحسينية

#### الموقف الأول:

يقول المؤرخون: «كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يُكثر من تقبيل ولده العباس في طفولته، وقد أجلسه يوماً في حجره، فشمر عن ساعديه، فجعل الإمام عليه السلام يقبل كفيه وهو غارق في البكاء، فبهرت أم البنين، وراحت تتغول للإمام عليه السلام: ما يُبكيك؟ فأجابها الإمام عليه السلام: «نظرت إلى هذين الكفين وتذكرت ما يجري عليهم». فقالت أم البنين:

وماذا يجري عليهم؟ فقال الإمام عليهما السلام: «إنهم يقطعان من الزند في نصرة الإسلام والذبّ عن أخيه الحسين عليهما السلام حامي شريعة الله وريحانة رسول الله». فأجهشت أم البنين في البكاء، وشاركتها من كان معها من النساء لوعتها وحزنها. وخلدت أم البنين إلى الصبر، وحمدت الله تعالى في أن يكون ولدتها فداءً لسبط رسول الله وريحانته<sup>(٣٧)</sup>.

### الموقف الثاني:

قال ابن طاووس في اللهوف: "ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة، قال بشير بن حذل: فلما قربنا منها، نزل علي بن الحسين عليهما السلام فحطّ رحله وضرب فساطاته وأنزل نساءه وقال: «يا بشير! رحم الله أباك، لقد كان شاعرًا، فهل تقدر على شيء منه؟» فقلت: بلى يا بن رسول الله إني شاعر. فقال عليهما السلام: «ادخل المدينة وانع أبا عبد الله». قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي عليهما السلام رفعت صوتي بالبكاء فأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها      قُتل الحسين فادمعي مدرار  
الجسم منه بكرباء مضرج      والرأس منه على القناة يدار

قال: ثم قلت: هذا علي بن الحسين عليهما السلام مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم وزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه. قال: فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن، مكسوفة شعورهن، مخمسة وجوههن، ضاربات خودهن، يدعون بالويل والثبور، فلم أر باكيًا أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً أمر على المسلمين منه<sup>(٣٨)</sup>.

قال بشير: "رأيت امرأة كبيرة تحمل على عاتقها طفلاً، وهي تشقّ الصفوف نحوى، فلما وصلت قالت: يا هذا أخبرني عن سيدى الحسين عليهما السلام، فعلمت أنها ذاهلة، لأنّي أنادي «قتل الحسين عليهما السلام» وهي تسألني عنه، فسألت عنها، فقيل لي: هذه أم

البنين، فأشفقت عليها، وخفت أن أخبرها بأولادها مرة واحدة. فقلت لها: عظم الله لك الأجر بولدك عبد الله. قالت: ما سألك عن عبد الله، أخبرني عن الحسين عليهما السلام. فقلت لها: عظم الله أجرك بولدك عثمان. قالت: ما سألك عن عثمان، أخبرني عن الحسين عليهما السلام. فقلت لها: عظم الله لك الأجر بولدك جعفر. قالت: ما سألك عن جعفر، فإن ولدي وما أظلت السماء فداءً للحسين عليهما السلام، أخبرني عن الحسين عليهما السلام. قلت لها: عظم الله لك الأجر بولدك أبي الفضل العباس. قال بشير: لقد رأيتها وقد وضعت يديها على خاصرتها، وسقط الطفل من على عاتقها، وقالت -والله- قطعت نياط قلبي، أخبرني عن الحسين عليهما السلام. قال: فقلت لها: عظم الله لك الأجر بمصاب مولانا أبي عبد الله الحسين عليهما السلام".<sup>(٣٩)</sup>

يقول المامقاني معلقاً على هذه الحادثة: "إن شدة حبها للحسين عليهما السلام يكشف عن علوّ مرتبتها في الإيمان وقوّة معرفتها بمقام الإمامة، بحيث تستهل شهادة أولادها الأربعـة -وهم لا نظير لهم أبداً- في سبيل الدفاع عن إمام زمانها".<sup>(٤٠)</sup>

### الموقف الثالث:

لما دخل بشير إلى المدينة ناعياً الحسين عليهما السلام، وخرج الرجال والنساء، خرجت من جملتهن أم البنين، فلما سمعت بقتل الحسين عليهما السلام خرت مغشياً عليها. ولما دخلت السيدة زينب عليهما السلام تلك الدّيار التي تتعى أهلها وتنجذب الرياح النابية جدرانها، قالت: "لا أريد أحداً يدخل عليّ في هذا اليوم إلا من فقدت لها عزيزاً في كربلاء، وجلست في مترالها، وجعلت فضة خادمة الزهراء عليهما السلام على الباب. فلما أفاقـت أم البنين من غشيتها سـألـتـ عنـ الحـورـاءـ زـينـبـ عليهـماـ السـلامـ وعنـ العـائلـةـ، فـأخـبرـوهاـ بذلكـ، فـبـينـماـ هـنـ فيـ البـكـاءـ وـالـعـوـيلـ إـذـاـ الـبـابـ تـطـرقـ. فـقـالـتـ فـضـةـ:ـ مـنـ بـالـبـابـ،ـ فـإـنـ سـيـدـتـيـ زـينـبـ عليهـماـ السـلامـ لـاـ تـرـيدـ أـحـدـاـ يـدـخـلـ عـلـيـهاـ إـلـاـ مـنـ فـقـدـتـ لـهـاـ عـزـيزـاـ فـيـ كـرـبـلـاءـ. فـقـالـتـ:ـ قـوـلـيـ لـسـيـدـتـكـ زـينـبـ عليهـماـ السـلامـ إـنـيـ شـرـيكـتـهاـ فـيـ هـذـاـ الـعـزـاءـ،ـ وـأـرـيدـ أـنـ دـخـلـ عـلـيـهاـ".

لأساعدها، فإِي مثلها في المصاب. فلما أخبرت فضَّة زينب عليها السلام قالت: سليها من هي التي تكون مثلي في المصاب، ثم قالت عليها السلام: إن صدق ظنِّي فإنَّها أمُّ البنين. فرجعت فضَّة وقالت لها: تقول سيدتي من أنت التي مثلها في المصاب؟ قالت: إِي الثاكلة أمُّ المصيبة العظمى. فقالت فضَّة: أوضحت لي؟ قالت: الحزينة صاحبة الفاجعة الكبرى. قالت: أوضحت لي من تكونين؟ قالت: أومًا عرفتني، إِي أمُّ البنين. قالت فضَّة: لقد صدقت سيدتي في ظنِّها، وإنَّك -والله- كما تقولين، أمُّ المصيبة العظمى والفاجعة الكبرى، ثم فتحت لها الباب. فلما دخلت استقبلتها زينب عليها السلام واعتنت بها، وبكت وقالت عليها السلام: عظُم الله لك الأجر في أولادك الأربع. قالت أمُّ البنين: وأنت عظُم الله لك الأجر في الحسين عليه السلام وفيهم، وبكت وبكي من كان حاضرًا<sup>(٤١)</sup>.

ويذكر الملا حبيب الكاشاني في تذكرة الشهداء: فجاءتها أمُّ البنين، فاعتنت بها، وقالت: يا ابنة أمير المؤمنين عليه السلام، ما خبر أولادي؟ فقالت زينب عليها السلام: قُتلوا أجمعين. فقالت أمُّ البنين: روحى وأرواح الجميع فداءً للحسين عليه السلام، وما خبر الحسين عليه السلام؟ فقالت زينب عليها السلام: قتلوه عطشاناً. فشبكت أمُّ البنين عشرها على رأسها، ونادت: واحسيناهم. فقالت زينب عليها السلام: يا أمُّ البنين عندي لك ذكرى من ولدك العباس. فقالت: وأيَّ شيءٍ هو؟ ففتحت زينب عليها السلام ملحتها، وأخرجت لها درع العباس ملطخاً بالدماء. فلما نظرت إليه أمُّ البنين صاحت ووسمت مغمىًّا عليها. فالتفتت زينب عليها السلام إلى قبر الصديقة فاطمة عليها السلام وقالت: وجئتك يا أمَّاه بهدية من كربلاء، ثم أخرجت قميص الحسين عليه السلام الممزق من أثر الضرب والطعن والمضرج بالدماء<sup>(٤٢)</sup>.

#### الموقف الرابع:

كانت أمُّ البنين دائمَة العويل والبكاء على قتلى كربلاء، فقد اتَّخذت من أسلوب النَّدب والنياحة سبيلاً لنشر مظلومية الحسين عليه السلام، والتذكير بقصاصه عليه السلام.

يقول أبو الفرج الإصفهاني: "وكانت أم البنين -أم هؤلاء الأربعه الأخوه القتلـ تخرج إلى البقيع فتذهب بناتها أشجى ندبـ وأحرـها، فيجتمع الناس إليها يسمعون منها، فكان مروان يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبـتها ويبكي" <sup>(٤٣)</sup>.

### وفاة أم البنين

أغلب المصادر لا تتعرّض لوفاة أم البنين، إلا أنه ورد في كتاب «أم البنين سيدة العرب» ذكر مصدرين تعرّضاً لذلك:

\* المصدر الأول: كتاب «كنز المطالب» تأليف العلامة السيد محمد باقر القرباغي الهمداني، حيث قال: «وقد توفيت -أي أم البنين- بعد مقتل الحسين عليهما السلام، ودُفنت في البقيع، بالقرب من فاطمة الزهراء عليها السلام».

ففي الاختيارات عن الأعمش قال: "دخلت على الإمام زين العابدين عليهما السلام في الثالث عشر من جمادى الثاني، وكان يوم الجمعة، فدخل الفضل بن العباس وهو بالي حزين، وهو يقول: لقد ماتت جدّي أم البنين" <sup>(٤٤)</sup>.

\*المصدر الثاني: كتاب «واقع الشهور والأيام» للبير جندي، حيث قال: "وفيه يقصد الثالث عشر من شهر جمادى الثاني- توفيت أم البنين الكلابية سنة (٦٤هـ) عن الأعمش" <sup>(٤٥)</sup>. والحمد لله رب العالمين.

### المواهش:

(١) عمدة الطالب، الداودي، ص ٣٢٣

(٢) أم البنين والدة حامل لواء الحسين عليهما السلام، سيد علي جمال أشرف، ص ٧٢.

(٣) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الإصفهاني، ص ٥٢.

(٤) الفايق في غريب الحديث، الزمخشري، ج ١، ص ٢٧٤.

(٥) العباس عليهما السلام، السيد عبد الرزاق المقرّم، ص ١٢٨.

(٦) رسالة بن زيدون بهامش الصافي على لامية العجم، ج ١، ص ١٣٠.



- (٧) الأغاني، ج ١، ص ٣٥.
- (٨) بلوغ الأربع، ج ١، ص ١٤٢.
- (٩) العباس عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرّم، ص ١٣٠.
- (١٠) تنقیح المقال، المامقانی، ج ٢، ص ١٢٨.
- (١١) قصة أم البنین، محمد باقر الناصري، ص ٨.
- (١٢) أم البنین، السيد السویج، ص ١٢.
- (١٣) العباس عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرّم، ص ١٣٠ – قصة أم البنین، محمد باقر الناصري، ص ١٢.
- (١٤) الطبری، ج ٦، ص ٨٩ – ابن الأثیر، ج ٣، ص ١٥٨.
- (١٥) مناقب ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ١١٧ – الفصول المهمة ١٤٥.
- (١٦) عمدة الطالب، الداودي، ص ٣٢٤ – تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ١٣٦.
- (١٧) تنقیح المقال، المامقانی، ج ٢، ص ١٢٨ – بطل العلقمي، المظفر، ج ١، ص ٩٧.
- (١٨) أسرار الشهادة، الفاضل الدربيدي، ج ٢، ص ٤٩٧ – معالي السبطين، ج ١، ص ٤٣٤ – بطل العلقمي، المظفر، ج ١، ص ١٢٠.
- (١٩) بطل العلقمي، المظفر، ج ٢، ص ٨.
- (٢٠) أمالی الصدوق، ص ٥٤٧ – بحار الأنوار، الجلسي، ج ٤٤، ص ٢٩٨.
- (٢١) عمدة الطالب، الداودي، ص ٣٥٦.
- (٢٢) إبصار العین في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد بن طاهر السماوي، ص ٥٧.
- (٢٣) مقتل الحسين عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرّم، ص ٢٦٩.
- (٢٤) بطل العلقمي، المظفر، ج ٣، ص ٤٨٩.
- (٢٥) أم البنین، علي ربّاني الخلخالي، ص ١٢٧.
- (٢٦) بحار الأنوار، الجلسي، ج ٩٨، ص ٢٤٥.
- (٢٧) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الإصفهاني، ص ٨٨.
- (٢٨) أضعفه وأخذه بالجراحة، وصرعه صرعة لا يقوم منها.
- (٢٩) إبصار العین في أنصار الحسين عليه السلام، السماوي، ص ٣٥.
- (٣٠) بحار الأنوار، الجلسي، ج ٩٨، ص ٢٤٥.

- (٣١) تفريح المقال، المامقاني، ج ١، ص ٢١٩.
- (٣٢) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الإصفهاني، ص ٨٨.
- (٣٣) تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ٣٣٢.
- (٣٤) بحار الأنوار، المجلسى، ج ٩٨، ص ٢٤٥.
- (٣٥) مقتل أبي مخنف، ص ١٨٨.
- (٣٦) تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ٣١٣.
- (٣٧) العباس قائد الكرامة والفاء، الشيخ باقر شريف القرشى، ص ٣٧.
- (٣٨) اللهوف لابن طاووس، ص ١١٥.
- (٣٩) تفريح المقال، المامقاني، ج ٣، ص ٧٠.
- (٤٠) المصدر نفسه.
- (٤١) مولد العباس، محمد علي الناصري، ص ٤٤.
- (٤٢) تذكرة الشهداء، الملا حبيب الكاشانى، ص ٥١٧.
- (٤٣) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الإصفهاني، ص ٩٠.
- (٤٤) أم البنين سيدة نساء العرب، السيد مهدي السويف، ص ٨٤.
- (٤٥) المصدر السابق.



# ذینبنا

قضی اشیخ علی الحسینی

بداية أود القول: ان المرأة شاركت في الحركة الحسينية، وأترك هذا الأمر إلى معلومات قارئي الكريم التاريخية، فهي شاركت سواءً في صنع الثورة كما شاركت في صيانة الثورة. إن المرأة المؤمنة والأخوات المجاهدات هن بنات لفاطمة الزهراء عليها السلام ولزينب الحوراء عليها السلام شريكة الإمام الحسين عليه السلام في ثورته العظيمة ضد الظلم والطغيان.

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ﴾. أي: أما المؤمنون والمؤمنات فبعضهم يتولى بعضًا في النصرة والموالاة وسائر مظاهر الحياة. وبتعبير آخر: إنهم يتفاعلون مع بعضهم في القيم السامية، فهم يتماسكون بأصواتهم

الولاء الواحد، والثقافة المشتركة، حيث ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَر﴾<sup>(١)</sup>.

من هنا، فإن القرآن الكريم يهيب بالمرأة المؤمنة أن تكون شريكة الرجل المؤمن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن مسؤولية المرأة المسلمة في تغيير الواقع السيء بإبطال الباطل وإحقاق الحق مسؤولية إسلامية خطيرة وتكليف شرعى مقدس.

ولا يخفى على قارئي النبى ما للأخوات المؤمنات من أدوار بالغة الأهمية والخطورة في مكافحة الظلم والظالمين، وهنا يمكن الإشارة لامرأة زهير بن القين<sup>(٢)</sup> وهو رجل جليل الشأن، عظيم القدر، حينما امتنع من الاستجابة للحسين عليه السلام دعاه، أقبلت إليه زوجته وقالت: "يا زهير إن ابن بنت رسول الله يدعوك ثم لا تأتيه؟! ما ضرك أن تذهب وتسمع ما يقول ثم ترجع"، هذه الكلمة كانت نقطة تحول عظيم عند زهير بن القين، فبدلاً من أن يكون من المتخلفين عن نصرة الحسين عليه السلام وإذا به يصبح من أنصار الحسين عليه السلام ومن الدرجة الأولى، وهذا تحول عظيم صنعه المرأة الحسينية.

نعم، ففي اللحظات التاريخية الحساسة وعندما طلب الإمام الحسين عليه السلام النصرة من أصحابه وأنصاره، قام زهير من بين الأصحاب وخطب الحسين عليه السلام قائلاً: "وَاللَّهِ لَوْدِدْتُ أَنِي قُتِلْتُ حَتَّى يَفْعَلَ بِي هَذَا أَلْفَ مَرَّةٍ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلَ عَنْ نَفْسِكَ، وَعَنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ الْقِتَانِ مِنْ أَهْلَ بَيْتِكَ"<sup>(٣)</sup>.

عاش زهير في هذه الأيام القلائل انقلاباً روحيًا عميقاً إلى درجة أنه أصبح معتمد أصحاب الحسين وأنصاره، بحيث انتخبه الإمام عليه السلام في يوم عاشوراء ليكون قائداً على ميمنة جيشه، وهذا تحول عظيم.

## المرأة شريك مهم للرجل في صيانة الثورة:

أنتم تعرفون أن أهل الشام استقبلوا السبابيا بالطبول والدفوف، ولكن دور الإمام زين العابدين عليه السلام وزينب الكبرى عليهما السلام بعد خطبتهما أحدث تغييرًا وانقلاباً في الشام، حيث خلق أجواءً مناهضةً للجهاز الأموي الحاكم، حتى اضطر يزيد بن معاوية - في ظل هذه الظروف - إلى أن يعقد مأتماً حسينياً تقام فيه مراسيم العزاء في قصره لمدة أسبوع حتى اشتركت فيها نساء بني أمية وهذا من الغرائب في التاريخ، لكن هو حقيقة حيث إنه في قصر يزيد الذي لم يمض على قتله للحسين إلا عشرون يوماً عقد مجلساً حسينياً لمدة سبعة أيام في داخل القصر، وبعد أن كان رأس الحسين عليه السلام معلقاً قبل أيام على باب القصر الآن أصبح قصر يزيد بن معاوية موشحاً بالسواد ويزيد يقول: "لعن الله ابن مرjanة فقد عجل بقتل الحسين عليه السلام".<sup>(٤)</sup>

هذا هو دور العقيلة زينب عليه السلام في صيانة الثورة حتى لا تصادر وتشوه ولا يقال هؤلاء خوارج أُقتلوا لهم لأنهم خرجوا على إمام زمانهم.

## مائتم زوجة الإمام الحسين عليه السلام:

جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أن زوجة الإمام الحسين عليه السلام وهي الرباب بنت أمرء القيس الكلبي أم سكينة عليهما السلام<sup>(٥)</sup> أقامت مراسيم العزاء وشاركتها النسوة وخادماتهن، "لما قتل الحسين أقامت امرأته الكلبية عليه مائماً و...".<sup>(٦)</sup>

## المرأة شريك للرجل في إرتداء الزي الأسود:

إعتاد الناس على ارتداء الثياب السوداء على وفاة أحبتهم حيث عدوا هذا اللون علامة على الماتم والعزاء، وعليه فأحد أساليب العزاء على خامس آل العباء

ارتداء السواد أيام محرم ذكرى شهادة الحسين عليه السلام، فقد جاء في الخبر: «لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَبِسَ نِسَاءُ بْنِي هَاشِمَ السُّوَادَ وَالْمُسُوحَ»<sup>(٧)</sup>.

كما تقدم في بعض الروايات أن يزيد أذن لآل هاشم بإقامة العزاء في دمشق إثر خطبتي الإمام السجاد والعقيلة زينب عليهما السلام: «فَلَمْ تَبْقَ هَاشِمِيَّةً وَلَا قُرْشِيَّةً إِلَّا وَلَبِسَتِ السُّوَادَ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ وَتَدْبُوهُ عَلَى مَا نُقْلَ سَبْعَةً أَيَّامٍ»<sup>(٨)</sup>.

والجدير ذكره أن الفقهاء مع أنهم أفتوا بناءً على بعض الروايات بكراهة لبس السواد خاصة في الصلاة، غير أن هذه الكراهة ترتفع في لبس السواد على الإمام الحسين عليه السلام، ولعل لبس السواد حزنا على الحسين عليه السلام - كما عند أستاذنا الفقيه آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي دام ظله - راجح حيث يغلب عليه جانب تعظيم الشعائر، عندما استفتته في هذه المسألة.

### المرأة وسقطات يزيد:

”لَا سمعت زوجة يزيد بن معاوية، وهي هند بنت عبد الله بن عامر أَنَّ رأس الحسين عليه السلام معلق على باب دارها شقت الستر ودخلت مجلس يزيد وهي حاسرة وقالت: أَرَأَسَ ابْنَ فاطمة بنت رسول الله مصلوب على قناء داري؟ ففطاحا يزيد وقال: نعم، فاعولي يا هند وابكي على ابن بنت رسول الله وصريحة قريش، فقد عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله“<sup>(٩)</sup>.

ومن أجل التخفيف من وطأة الرأي العام، كان يزيد لا يتغذى ولا يتعرش حتى يحضر معه علي بن الحسين عليهما السلام<sup>(١٠)</sup> وأذن لزينب ونساء بني هاشم بإقامة العزاء على الحسين عليه السلام، فأقامت زينب الكبرى عليهما السلام مائةً لأنبياء الحسين عليه السلام وأهل بيته لمدة سبعة أيام، وحضر في ذلك المأتم نسوة الشام حتى بلغ الأمر بأن أوشك الناس على الهجوم على قصر يزيد وقتله، فأمر يزيد بتعطيل مجلس

العزاء<sup>(١١)</sup> وقد سعى بإلقاء اللائمة على عبيد الله بن زياد واتهمه بأنه المحرر الأصلي لهذه الفاجعة الكبرى.

يقول السيوطي وهو العالم السنوي المعروف: "فَسُرَّ -يَزِيدُ- بِقَتْلِهِمْ أَوَّلًا، ثُمَّ نَدِمَ لَمَّا مَقْتَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَبْغَضَهُ النَّاسُ وَحَقَّ لَهُمْ أَنْ يُعْفَضُوهُ".<sup>(١٢)</sup> وينقل الطبرى: أنّ يزيد لعن ابن مرجانة، وقال: "بَفَجَضَتِي الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ بِمَا اسْتَعْظَمَ النَّاسُ مِنْ قَتْلِي حُسْيَنًا".<sup>(١٣)</sup>

ومن المعلوم أنّ هذا التراجع المصلحي ليزيد وتغيير موقفه السياسي، كان نتيجة الخطيبين للحوراء زينب عليها السلام والإمام زين العابدين عليه السلام في الشام ويقطنه أهالي الشام، وإلا فإنّ يزيد مع سابقته السيئة وكلماته وأشعاره الذي يظهر فيها الفرح والشماتة لم يكن نادماً على هذا العمل، ولذلك لم يعاقب عبيد الله بن زياد والمتورطين في الفاجعة الألمية بل أبقاهم في مناصبهم.<sup>(١٤)</sup>

### زينبنا عليها السلام وحرق الخيام بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام

ومن الحوادث المفعجة التي وقعت في غروب عاشوراء حرق الخيام، وهذه الحادثة المؤلمة وقعت عندما كانت أجساد الشهداء للإمام الحسين عليه السلام وأصحابه متنتشرةً في الصحراء، وقبل ذلك أغارت الجيشه على الخيام وسلب ما فيها من ثياب وزينة للنساء من آل الرسول عليه السلام، وقد شهدت الشمس في ذلك اليوم حوادث عجيبة فأسرعت إلى المغيب وأسدل الليل بظلاله على تلك المنطقة، وبقي آل بيت الرسول عليه السلام بهذه الحالة المؤلمة وهجم الأعداء على المخيم لغرض حرق الخيام في حين وقف أحد أفراد جيش ابن سعد يقول: "أَحْرِقُوا بُيُوتَ الظَّالِمِينَ". وأسرعت النار في الخيام وسرعان ما تحولت الخيام إلى حطام ورماد وخرجت بناة رسول الله عليه السلام من الخيام هرباً من النيران ولاذ بعض صغار الأيتام بمعتهم الحوراء زينب عليها السلام والبعض الآخر فروا إلى الصحراء واختفوا عن الأنظار.

إن استعراض هذه الذكرى المؤلمة كانت تشير الحزن والغم عند آل البيت عليهما السلام وكان الإمام زين العابدين عليهما السلام عندما يتذكر حوادث عاشوراء يبكي ويقول: «وَاللَّهُ مَا نَظَرْتُ إِلَى عَمَّاتِي وَأَخْوَاتِي إِلَّا وَخَنَقْتِي الْعَبْرَةُ وَتَذَكَّرْتُ فِرَارَهُنَّ مِنْ خَيْمَةٍ إِلَى خَيْمَةٍ، وَالْمَنَادِي يُنَادِي: احْرُقُوا يُبُوتَ الظَّالِمِينَ»<sup>(١٥)</sup>. وكذلك سائر الأئمة المعصومين عليهما السلام كانوا عندما يتذكرون حادثة إحراق خيام الإمام الحسين عليهما السلام فإنهم يشعرون بالحزن والألم.

ونقرأ في رواية أن المنصور الدوانيقي عندما أمر بإحراق بيت الإمام الصادق عليهما السلام جاء بعض الشيعة إلى الإمام فرأه باكيًا حزيناً فسألوه عن ذلك فقال: «لَمَّا أَخَذَتِ النَّارُ مَا فِي الدَّهْلِيزِ نَظَرْتُ إِلَى نِسَائِي وَبَنَاتِي يَتَرَاكَضُنَّ فِي صَحْنِ الدَّارِ فَتَذَكَّرْتُ فِرَارَ عِبَالِ جَدِّي الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ يَوْمُ عَاشُورَاءِ مِنْ خَيْمَةٍ إِلَى خَيْمَةٍ وَمِنْ خِيَاءٍ إِلَى خِيَاءٍ»<sup>(١٦)</sup>.

إن حرق خيام النساء والأطفال الصغار يحكي عن أن غرض العدو القضاء على ذريته رسول الله عليهما السلام وطمس معالم الرسالة، وهذه الحوادث تشير إلى قساوة قلوب هؤلاء الأعداء وشدة مظلومية أهل البيت عليهما السلام، والحمد لله على أن هذه الأعمال الوحشية والسلوكيات المجرمة قد كشفت النقاب عن نياتهم المشوومة وفضحتهم أمام الملائكة والتاريخ.

### زينبنا عليهما السلام والأسر، مع النساء من بنى هاشم ومن غير بنى هاشم

بعد أن انتهى عمر بن سعد من دفن أجساد قتلى جيشه، أمر عند الظهر من يوم الحادي عشر الجيش بالحركة إلى الكوفة، فحملوا نساء وبنات رسول الله عليهما السلام والحرم الحسيني على الإبل بدون أقتاب وأخذوهم إلى الكوفة يقادون كأسرى الكفار.

يقول ابن عبد ربه في العقد الفريد: وأسر اثنا عشر غلاماً من بني هاشم، وفيهم محمد بن الحسين، وعلي بن الحسين<sup>(١٧)</sup>.

ومن جملة النساء اللواتي أخذن أسرى في كربلا من بني هاشم:

١ - زينب الكبرى عَلَيْهَا السَّلَامُ بنت أمير المؤمنين عَلَيْهَا السَّلَامُ.

٢ - أم كلثوم أو زينب الصغرى بنت أمير المؤمنين عَلَيْهَا السَّلَامُ.

٣ - فاطمة بنت الإمام الحسين عَلَيْهَا السَّلَامُ<sup>(١٨)</sup>.

٤ - سكينة بنت الإمام الحسين عَلَيْهَا السَّلَامُ<sup>(١٩)</sup>.

٦ - رقية بنت الإمام الحسين عَلَيْهَا السَّلَامُ التي تبلغ من العمر أربع سنوات<sup>(٢٠)</sup>.

٧ - الرباب بنت امرئ القيس زوجة الإمام الحسين عَلَيْهَا السَّلَامُ<sup>(٢١)</sup>.

٨ - رملة أم القاسم وزوجة الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهَا السَّلَامُ<sup>(٢٢)</sup>.

٩ - رقية زوجة مسلم بن عقيل<sup>(٢٣)</sup>.

١٠ - شهر بانو أم الطفل الرضيع الذي رماه هاني بن ثبيت بسهم فقتله، وهي غير شهر بانو أم السجاد عَلَيْهَا السَّلَامُ<sup>(٢٤)</sup>.

١١ - ليلى بنت مسعود بن خالد التميمي، أم عبدالله الأصغر، وهي من زوجات أمير المؤمنين، وهي غير ليلى أم علي الأكبر<sup>(٢٥)</sup>.

١٢ - فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهَا السَّلَامُ وأم محمد الباقر عَلَيْهَا السَّلَامُ جاءت مع زوجها زين العابدين عَلَيْهَا السَّلَامُ<sup>(٢٦)</sup>.

هذه بعض سبايا وأسرى من بني هاشم.

وأما السبايا من النساء من غير بني هاشم:

١ - حسنية خادمة زين العابدين عَلَيْهَا السَّلَامُ جاءت مع ابنها منجح الى كربلاء الذي نال شرف الشهادة في كربلاء<sup>(٢٧)</sup>.

- ٢ - زوجة عبدالله بن عمير الكلبي التي جاءت مع زوجها إلى كربلاء وكانت تحت زوجها على القتال بين يدي أبي عبدالله الحسين عليهما السلام <sup>(٢٨)</sup>.
- ٣ - فكية أم قارب بن عبدالله بن اريقط، حيث جاء قارب مع أمّه فكية - خادمة رباب زوجة الامام الحسين عليهما السلام - من مكة إلى كربلاء واستشهدت في الحملة الأولى <sup>(٢٩)</sup>.
- ٤ - بحرية بنت مسعود الخزرجي والتي جاءت مع زوجها جنادة بن كعب وابنها عمرو بن جنادة إلى كربلاء، وقد استشهد زوجها وابنها في المعركة <sup>(٣٠)</sup>.
- ٥ - جارية مسلم بن عوسجة الأسيدي والتي صرخت بعد شهادة مسلم بن عوسجة: "يا بن عوسجتاه، يا سيداه" <sup>(٣١)</sup>.  
وذكر البعض أنها أم خلف زوجة مسلم بن عوسجة <sup>(٣٢)</sup>.
- ٦ - فضة خادمة الزهراء عليها السلام حيث ذكر البعض حضورها في كربلاء <sup>(٣٣)</sup>.  
إنّ الأسر في تاريخ الإسلام لم يقع بين المسلمين، والأسرى الذين كانوا يتواجدون في المجتمع الإسلامي هم من نتاج الحروب بين المسلمين وغير المسلمين، وهذا العمل الذي قام به بنو أمية يعتبر أكبر إهانة توجه للمقام الشامخ لذرية رسول الله عليه السلام وهذا عندما كانوا يرون بالأسرى من ذرية الرسول في المدن المختلفة، فإنّ أهالي تلك المدن كانوا يتصورون أن هؤلاء الأسرى من الكفار، ولكن عندما علموا بحقيقة هؤلاء الأسرى وأنهم من نساء الحسين عليه السلام وبناته وأهل بيته وصبيته وجواريه وعيالات الأصحاب، وكنّ عشرين امرأة، وسيّرهن سيايا على أقتاب الجمال بغير رحل ولا وطاء، ومعهنّ الامام زين العابدين عليه السلام وعمره - يومئذ - ثلث وعشرون سنة، وهو على بغير ظالع بغير وطاء، وقد أنهكته العلة وأنضاه المرض ومعه ولده الامام الباقر عليه السلام وله من العمر سنتان وأشهر.

هؤلاء هم الأسرى من عترة رسول الله عليه وآله الأطهار الذين لم يحفظ عمر بن سعد وجيشه حرمة النبي الأكرم عليه وآله في حقهم، وأخذهم مع جيشه يقادون كأسرى الحرب وهم موثوقين بالحرب يقودهم الأجانب إلى الكوفة.

أدّت هذه المأساة بأهالي المدن التي يبرأ بها الأسرى إلى أن يرتفع صرائحهم واعترافهم ويتساءلون: هل يعقل أن تؤخذ نساء وبنات الرسالة أسرى يطاف بهن من بلد إلى بلد وبهذه الحالة التي يرثى لها، وبعد ما عايشوا المصائب المتالية.

### زينبنا عليه وآله وداعهم لأجساد الشهداء المقطعة

إنّ من أشد لحظات تاريخ كربلاء صعوبة ومائاوية بحيث ثقلت على جميع السماوات والأرض تتمثل في حالات وداع الأسرى أجساد الشهداء المتناثرة هنا وهناك الملقاء على رمضاء كربلاء، فقد مرّ الأعداد بالأسرى من ذرية الرسول الأكرم عليه وآله على أجساد الشهداء المقطعة والغارقة في الدماء، وهنا تتلخص مظلومية أبطال هذه الواقعة وتتجلى عزّتهم.

وقد ورد في الروايات أنّ الأسرى هم الذين طلبوا من الأعداء أن يرروا بهم على أجساد أعزائهم الشهداء ليودعوهم الوداع الأخير.

حيث قالت النسوة للموكلين بهم: بالله عليكم إلا ما مررتُم بنا على مصرع الحسين والقتلى من أهل بيته وأصحابه؟ فمرّوا بهنّ على مصارع القتلى.

فلما نظرن إليهم مقطّعي الأوصال، قد طعمتهم سرُّ الرماح، ونهلت من دمائهم بيضُ الصفاح وطحنتهم الخيلُ بسنابكها صحن وولون ولطمَن الحدود<sup>(٣٤)</sup>.

وغمي عن البيان أن ترك أرض كربلاء في تلك الحالة المؤلمة والموحشة كانت صعبة جدًا على هذه القلوب المحترقة للنساء والأطفال، وخاصة أنّ الأعداء دفعوا أجساد موتاهم وتركوا أجساد الشهداء من ذرية الرسول الأكرم عليه وآله وأصحاب

الحسين عليهما السلام ولا سيما الجسد الطاهر لسيد شباب أهل الجنة بدون غسل ولا كفن في صحراء كربلاء، الأعداء الحاقدون لم يقدموا على دفنهم ولا سمحوا لأحد أن يدفنهم. إن مشاهدة هذه الأجساد المقطعة والتي وطأتها أقدام الخيول بحيث لا يمكن تشخيصها، من شأنها أن تثير في قلب كل ناظر عاصفة من التحرق والألم، ولكن السكينة التي تعمت بها الحوراء زينب بنت علي عليهما السلام أعادت إلى الأذهان صبر واستقامة الإمام علي عليهما السلام وصلابته في مواجهة التحديات الصعبة التي يفرضها الواقع المتازم، وقد برع صبر الحوراء زينب عليهما السلام وعظمتها في كلماتها المعبرة حيث كسرت ذلك الفضاء الثقيل الذي كان يخيم على قلوب آل الرسول عليهما السلام.

فلما كانت الحوراء زينب عليهما السلام تدرك أن العدو يراقب حركات الأسرى وهو مستعد لإظهار الشماتة لدى رؤية أدنى ضعف واهتزاز وندم في سلوكيات أهل بيته النبوة، فإنها عندما نظرت إلى جسد أخيها الحسين عليهما السلام المضرج بالدماء وقفت عنده بخشوع وتأمل، وأخذت تُثْرِي عنْه قطع السيوف وحطم الرماح وفُلُول السهام، رفعت يديها بعد أن بسطتها تحت الجثمان ورفعته إلى السماء وقالت: «اللهم تقبل هذا القرابان»<sup>(٣٥)</sup>.

وهذه العبارة وقعت كالصاعقة على رؤوس الأعداء وفضحتهم وأبانت وجههم القبيح.

يقول الراوي: لا أنسى أبداً كلمات بنت فاطمة الزهراء عليهما السلام فأبكته والله كل عدو وصديق<sup>(٣٦)</sup>.

قالت الحوراء زينب عليهما السلام بقلب مجريح وصوت حزين:

«وَمُحَمَّدَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلِيكُ السَّمَاوَاتِ، هَذَا حُسَيْنٌ مُرْمَلٌ بِالدَّمَاءِ، مُقْطَعٌ الأَعْضَاءِ، يَا مُحَمَّدَاهُ بَنَائُكَ سَبَايَا وَذَرِيتُكَ مُقْتَلَةً، تَسْفِي عَيْنَاهَا رَيْحُ الصَّبَابِ، هَذَا حُسَيْنٌ بِالْعَرَاءِ،

**مَحْزُوزُ الرَّأْسِ مِنَ الْفَقَا، مَسْلُوبُ الْعِمَامَةِ وَالرِّداءِ**<sup>(٣٧)</sup>. فَأَبْكَتْ بِذَلِكَ كُلَّ عَدُوٍّ  
وَصَدِيقٍ<sup>(٣٨)</sup>.

لقد كان الجميع يعيش حالة الاضطراب والتوتر، وعلى حد تعبير دعبدل  
الهزاعي شاعر أهل البيت عائلاً:

كَيْفَ الْقَرَارُ؟ وَفِي السَّبَايَا زَيْنَبُ لَنَا  
هَذَا حُسَيْنٌ بِالسُّيُوفِ مُبْضَعٌ مُتَخَضِّبٌ بِدِمَائِهِ مُسْتَشْهُدٌ

واستمرت الموراء زينب عائلاً في نطقها في تلك الحالة العجيبة وقالت:

«بِأَيِّ مَنْ أَضْحَى عَسْكَرًا فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ نَهَيَا»<sup>(٣٩)</sup>، «بِأَيِّ مَنْ فُسْطَاطُهُ مُقَطَّعُ الْعُرَى»،  
«بِأَيِّ مَنْ لَا هُوَ غَائِبٌ فَيُرْتَجِي وَلَا جَرِيحٌ فَيُدَاوِي»، «بِأَيِّ مَنْ نَفْسِي لَهُ الْفِداءُ»، «بِأَيِّ  
الْمُهُومُ حَتَّى قَضَى»، «بِأَيِّ الْعَطْشَانَ حَتَّى مَضَى»، «بِأَيِّ مَنْ شَيْتُهُ تَقْطُرُ بِالدَّمَاءِ»<sup>(٤٠)</sup>.

وكادت القلوب أن تنخلع من الصدور والدموع المنهممة لم تدع لأحد مجالاً  
للاستقرار، وخاصة عندما سمعوا زينب تخاطب جدها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَوْلُ: «يا  
حُزْنَا، يا كَرْبَلَا، الْيَوْمَ ماتَ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ يا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، هُؤُلَاءِ ذُرْيَةُ  
الْمُصْنَفَى، يُسَاقُونَ سَوْقَ السَّبَايَا»<sup>(٤١)</sup>.

سكنينة تلقى بنفسها على جسد الحسين عائلاً:

وهنا تقدمت سكينة إلى جسد أبيها الطاهر، وألقتُ بنفسها عليه واعتنقته  
وهي تندبه وتبكيه وتودعه، ولم يستطع أحد أن يرفعها أو أن يفصلها عنه، حتى  
اجتمع عليها عدةً من الأعراب كما تقول الرواية فجرّوها عن الجسد الشريف:  
«ثُمَّ إِنْ سُكِّينَةً اعْتَنَقَتْ جَسَدَ الْحُسَيْنِ عَائِلَةً فَاجْتَمَعَ عِدَّةً مِنَ الْأَعْرَابِ حَتَّى جَرُوهَا  
عَنْهُ»<sup>(٤٢)</sup>.

طبعاً كما يعلم قارئي الكريم أن المراد من «الأعراب» هم أهل البادية الذين يعتبرون نوعاً خاصاً من المنافقين وهم الذين ينافقون بسبب جهلهم وعدم رسوخ أو دخول الإيمان في قلوبهم، وذلك لتراتك الرواسب الجاهلية على قلوبهم، لهذا عبر الله تعالى عنهم بأنهم: ﴿أَشَدُّ كُفُراً وَنِفَاقاً﴾<sup>(٤٣)</sup> فبيّن فيهم صفتين: الشدة في الكفر والنفاق، وربما لأن طبيعة الباذية شديدة، لهذا يعتبر ساكنوها أشد كفراً ونفاقاً من أهل المدن لغاظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن ومخاطلة العلماء، فهم - وذلك لطبيعة وجودهم في الصحراء - بعيدون عن مراكز العلم، وعن فهم حقائق الدين، والالتزام بشرائعه، فهم أولى وأجدر وأحرى بالجهل بالأحكام الشرعية وبما يتعلّق بها مما أنزل الله على رسوله من المعارف الأصلية من فرائض وسنن وحلال وحرام التي يسمّيها القرآن الكريم بالحدود في أكثر من مناسبة.

وهنا أود إلقاء نظر قارئي الكريم إلى هذه الملاحظة: أنه بالرغم من نظرة الإسلام السلبية إلى البقاء في الباذية فإنه لا يحكم على أهلها جميعاً حكماً مطلقاً بل حسب إيمانهم وعملهم، لهذا فهناك طائفة من الأعراب تؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً حقيقياً، أي: من غير شرك، بل تؤمن بالله وتوحده، وتؤمن باليوم الآخر وتصدق بالحساب والجزاء، لهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَابٍ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(٤٤)</sup>.

واحد (الأعراب) أعرابي، وهذا غير العربي الذي معناه: المنتسب إلى بلاد العرب.

اتضح لنا مما سبق أن الذين سحبوا سكينة عن جسد أبيها الطاهر بقوة وبلا رحمة يعتبرون من العناصر الضعيفة والمنهزمة، حيث كشفتهم هذه الأفعال المشينة تجاه ذرية النبي محمد ﷺ و يوجد امتداد لهذه العناصر - المقترفة للأخطاء - في عصرنا الحاضر، ولا شك أن الله تعالى أعلم بعواقب الأمور، وواقع هؤلاء

الناكثين<sup>(٤٥)</sup>، وأنهم سوف يظهرون للنبي ﷺ من الأعذار والتبريرات غير الذي يضمرون، ولكن الله تعالى أكَّدَ لنبيه ﷺ أنه سيكون بالمرصاد لكل من تسول له نفسه الخيانة. ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قوته وقدرته أعلى من كل أحد. ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾<sup>(٤)</sup> (نكث) أي: نقض العهد، والبيعة. فمن نقض العهد فإنه سوف يضع نفسه في موضع المحارب لله ذي القوّة والطول، وسيكون مورداً لعودة الضرر - ضرر نقض العهد - عليه، فلن تقتصر خسارته على الآخرة وحسب، بل سوف يخسر في الدارين.

وهل ما فعلته تلك الشرذمة الأعرابية بفتنة الحسين الشهيد علیه السلام يعتبر عذراً مقبولاً في مثل تلك الفترة الحاسمة وامتداداتها من حياة الأمة الإسلامية؟ إن هؤلاء يقترفون الأخطاء، ثم يحاولون خداع القيادة واسترضاءها بمجموعة من الأعذار الواهية لتستر خلفياتهم، وهم بذلك يرتكبون خطأ آخر بالإضافة إلى نكثهم وهو نفاقهم عبر تبريراتهم الكاذبة، ولكن الله يفضحهم، ويبيّن لرسوله واقعهم، وأنهم ليسوا صادقين في توبتهم، بل ولا في أعذارهم.

وعوداً إلى قصة سكينة حين اعتناقها لجسد أبيها، وهي تودعه وتبكيه، إنها

قالت: بينما كنت في تلك الحال سمعت صوت أبي يقول:

شَيَعَيْتَ مَا إِنْ شَرِبْتُمْ عَذْبَ ماءِ فَادْكُرُونِي      أَوْ سَمِعْتُمْ بَغْرِيبٍ أَوْ شَهِيدٍ فَاندُبُونِي

زَيْنُبُ بْنَتُ عَلِيٍّ وَالإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينُ عَلِيُّهُمَا السَّلَامُ

لما نظر الإمام زين العابدين علیه السلام إلى أبيه مقطعاً على رمضاء كربلاء ومن حوله القتلى من آل بيته، مجذّرين على وجه الأرض، مرملين بدمائهم.

قالوا: فعظم عليه ذلك المنظر المؤلم، واشتد قلقه، وعظم عليه الحزن والمصاب، وقد تغير لونه وهو يجود بنفسه تکاد روحه أن تخرج من بدنها، فهنا التفتت إليه

الحوراء زينب عليها السلام الصابرة وتقدمت إليه وقالت: «مالِي أَرَاكَ تَجُودُ بِنَفْسِكَ يَا بَقِيَّةَ جَدِّي وَأَبِي وَإِخْوَتِي؟ فَأَجَابَهَا الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام: «لَا اصَابَنَا بِالْطَّفْ ما أَصَابَنَا، وَقُتِلَ أَبِي الْحَسِينِ، وَقُتِلَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ وَلَدِهِ وَإِخْوَتِهِ وَسَائِرِ أَهْلِهِ، وَحُمِّلَتْ حَرَمَهُ وَنَسَاؤُهُ عَلَى الْأَقْتَابِ، يُرَادُ بِنَا الْكُوفَةُ، فَجَعَلَتْ أَنْظَرَ إِلَيْهِمْ صَرْعَى وَلَمْ يُوَارِوا، فَعَظِمَ ذَلِكُ فِي نَفْسِي، وَاشْتَدَّ لِمَا أَرَى مِنْهُمْ قُلْقِي، فَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ. وَكَيْفَ لَا أَجْزَعُ وَأَهْلِمُ وَقَدْ أَرَى سَيِّدِي وَإِخْوَتِي وَعُمُومَيِّ وَوَلَدُ عَمِّي وَأَهْلِي مُضَرَّجِينَ بِدَمَائِهِمْ، مُرْمَلِينَ بِالْعَرَاءِ مُسْلِمِينَ لَا يُكَفِّنُونَ وَلَا يُوَارَوْنَ، وَلَا يَعْرُجُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ وَلَا يَقْرَبُهُمْ بَشَرٌ كَانُوهُمْ أَهْلُ بَيْتِ مِنَ الدِّيْلَمِ وَالْخَرَرِ».

فَأَجَابَتِ الْحَوْرَاءُ زَيْنَبَ عليها السلام بِجَوابِ عَجِيبٍ: «لَا يُجْزِعُنَّكَ مَا تَرَى فَوْاللهِ إِنَّ ذَلِكَ لِعَهْدِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه إِلَى جَدِّكَ وَأَبِيكَ وَعَمِّكَ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِثَاقَ أَنَّاسٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا تَعْرِفُهُمْ فَرَاعِنُهُ هَذِهِ الْأَرْضُ، وَهُمْ مَعْرُوفُونَ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ، إِنَّهُمْ يَجْمِعُونَ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِيَوْارُونَهَا، وَهَذِهِ الْجُسُومُ الْمُضَرَّبَةُ وَيَنْصُبُونَ بِهَا الْطَّفَّ عَلَيْهَا لِقَبِيرِ أَبِيكَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ لَا يُدْرِسُ أَثْرُهُ وَلَا يُعْفَى رَسْمُهُ عَلَى مُرُورِ الْلَّيَالِ وَالْأَيَّامِ وَلِيَجْتَهَدَنَّ أَئِمَّةُ الْكُفَّرِ وَأَشْيَاعُهُمُ الضَّلَالِ فِي مَحْوِهِ وَتَطْبِيسِيهِ فَلَا يَزِدُّ أَثْرُهُ إِلَّا ظَهُورًا وَأَمْرُهُ إِلَّا عَلَوًا» (٤٧).

نعم هكذا نرى أنّ زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام بهذه الصلاة والشجاعة أخذت تسلّي ابن أخيها وتزيل غبار الهمّ والحزن عن قلبها بإخبارها عن مستقبل كربلاء وعاشوراء وهو ما نراه اليوم متجلساً أمام أنظار العالمين بعد أربعة عشر قرناً من الزمان، أجل، إنّ قلب الحوراء زينب عليها السلام المفعّ بالعواطف، والآخر بالإعيان كان يعلم منذ بداية هذه النهضة بمستقبلها المشرق بالرغم من أن الأعداء من بني أمية والمنافقين كانوا يحسبون أنّ هذه الواقعة هي نهاية حركة الرسالة والدعوة الإلهية.

ولكن هيئات فإن الشهور والسنين تقضى على هذه الحادثة المفجعة والدامية، الحادثة التي تبلورت فيها من جهة جميع القيم الأخلاقية والمُثل الإنسانية، ومن جهة أخرى تجسست فيها جميع معالم الوحشية والبربرية في الطرف المقابل، ولكن على العكس مما تصوره الأعداء، فكلما مرّ الزمان على هذه الواقعة الأليمة تبيّنت آثار هزيمة الطرف المنتصر عسكريًا وتجلت ملامح الانتصار الحقيقى للحسين وأصحابه المخلصين.

وهذه الحادثة، وخلافاً للحوادث الطبيعية الواقعة في التاريخ البشري التي يصير فيها الجديد قدّيماً ويطوى سجلّ الحوادث القديمة في زاوية التسليان، فإن هذه الحادثة تزداد إشراقاً في كل يوم وتتجدد على مرّ الزمان والدهور، إلى أن أضحت نموذجاً يقتدى به ونبراساً خالداً يعكس معالم العزة والشرف لحياة الأمة، ويفرض على الوعي العام حقيقة أنَّ الموت مع العزة أشرف وأفضل من الحياة مع الذلة، وهكذا كسبت هذه القضية صبغة الخلود طيلة المسار التاريخي للبشرية.

وكيف لا تكون كذلك؟ مع أنَّ حياة وشهادة هؤلاء العظام اقترنت مع المفاهيم الإنسانية الحالية، أي مفاهيم العزة، والكرامة، والعدالة، والتصدي للظالمين، والاستقامة في طريق التضحية من أجل الأهداف المقدسة والسير في خط الرسالة والإيان والافتتاح على الله.

إنَّآلاف الكتب والمقالات والقصائد الشعرية التي ألفت وأنشئت على امتداد تاريخ الإسلام تعكس هذه الحقيقة الحاسمة، وهي أنَّ واقعة كربلاء تجسّد في طياتها معالم الإيثار والإنسانية لجميع الأجيال البشرية.

وفي عالمنا المعاصر الذي تهيمن عليه قوى الظلم والاستكبار والاحرف التي تسير في خط يزيد وحكومته وترتكب من الجرائم بحق البشرية أكبر بكثير مما ترتكبه قوى الظلم في الماضي، فإنَّ طريق النجاة من سيطرة هذه القوى الجائرة

والاستكبارية هو طريق الإمام الحسين وأنصاره، فصلوات الله وبركاته في كل صباح ومساء على رواد تلك النهضة الإلهية<sup>(٤٨)</sup>.

### زينبنا عليه السلام خطبها الملتهبة في الكوفة:

يقول حذيم بن شريك الأسدى<sup>(٤٩)</sup>: نظرت إلى زينب بنت علي عليهما السلام يومئذ ولم أر والله أنطق منها كائناً تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام وقد أشارت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدى الأنفاس وسكتت الأصوات، ثم قالت فيما قالت: «أَنْدُرُونَ وَيَلَكُمْ أَيْ كَيْدَ لِمُحَمَّدٍ فَرَّتُمْ؟ وَأَيْ عَهْدَ نَكَشْتُمْ؟ وَأَيْ كَرِيمَةٌ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟ وَأَيْ حُرْمَةٌ لَهُ هَنَكْتُمْ؟ وَأَيْ دَمٌ لَهُ سَفَكْتُمْ؟ لَقَدْ جَتَّمْ شَيْئاً إِدَاءً، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْقُطُرُنَّ مِنْهُ، وَتَنْشَقُ الْأَرْضُ، وَتَغْرُّ الْجِبَالُ هَذَا..... أَلَا يَسْنَ ما قَدَّمْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذَابِ أَتَقْتُلُ خَالِدُونَ.. فَتَعْسَأْ تَعْسَأْ، وَنُكْسَأْ نُكْسَأْ، لَقَدْ خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَتِّلَ الْأَيْدِي، وَخَسِرَتِ الصَّفَقَةُ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الْذَّلَّةُ وَالْمَسْكَةُ». ثم قرأت زينب الكبرى عليه السلام هذه الأشعار:

ما ذا تَقُولُونَ إِذَا قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ  
ما ذا صَنَعْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأَمْمِ  
بِإِهْلِ بَيْتِي وَأَوْلَادِي بَعْدَ مُفْتَدِي  
مَنْهُمْ أَسْارِي وَمِنْهُمْ ضُرْجُوا بُدْمِ  
ما كَانَ ذَاكَ جَزَائِي إِذَا نَصَحْتُ لَكُمْ  
أَنْ تُخْلِفُونِي بِسُوءِ فِي ذَوِي رَحِمِي

وبعد هذه الخطبة أعرضت زينب الكبرى عليه السلام بوجهها عن القوم.

قال الراوي: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حياري يبكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيئاً من قدماء أهل الكوفة واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته بدموعه وهو يقول صدق المرأة: «بِأَبِي وَأَمِّي كُهُوكُمْ خَيْرُ  
الثَّمُولِ، وَنِسَاؤُكُمْ خَيْرُ النِّسَاءِ، وَشَبَابُكُمْ خَيْرُ الشَّبَابِ، وَنَسْلُكُمْ نَسْلُ كَرِيمٍ، وَفَضْلُكُمْ  
فَضْلٌ عَظِيمٌ».

ثم أنسد يقول:

كُهُولُكُمْ خَيْرُ الْكُهُولِ وَنَسْلُكُمْ إِذَا عَدَ نَسْلٌ لَا يَبُورُ وَلَا يَخْزَى

والتفت الإمام زين العابدين عليه السلام إلى عمته زينب الكبرى عليها السلام: «يا عمة أُسْكِتِي فِي الْبَاقِي مِنَ الْمَاضِي اعْتَبَرْ، وَأَنْتِ بِحَمْدِ اللَّهِ عَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلَّمَةٍ، فَهِمَةٌ غَيْرُ مُفَهَّمَةٍ».

ولما سمعت زينب الكبرى عليها السلام كلام الإمام زين العابدين عليه السلام هدأت وسكتت<sup>(٥٠)</sup>.

وهذه الخطبة المثيرة الغراء لزينب الكبرى عليها السلام تعتبر من المسائل الحيرية في قصة كربلاء، لأنها من امرأة فقدت الكثير من الضحايا وهي الآن تساق أسرية إلى الشام، والمفروض أنها بهذا الحال من الضعف والصيبة لا تقدر على الكلام العادي لشدة ما بها من ألم المصاب، ولكننا نرى أنها تحدثت للناس كالأسد المقدام وكال العاصفة المدوية وأخذت تلوم القوم الذين خانوا أخاها الحسين عليه السلام واستطاعت تسخير قلوبهم وعواطفهم وغرست بذرة الثورة ضد حكومة بنى أمية الجائرة، فالعجب كل العجب من هذه الشهامة الفائقة والروحية العالية ونعلم أنها بنت علي أسد الله عليه السلام وبنت فاطمة الزهراء عليهما السلام سيدة نساء العالمين.

وإحدى الحماقات العجيبة لبني أمية أنهم بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهما السلام وأصحابه عليهما السلام أخذوا أهل بيته وحرمه أسرى مع رؤوس الشهداء وطافوا بهم في المدن وفي الشوارع والأزقة ليوصلوا بذلك رسالة عاشوراء العظيمة معهم إلى كافة المناطق حتى أوصلوها إلى قلب عاصمة العدو، واستطاعت قافلة الأسرى استنهاض الهمم وإيقاظ الضمائر النائمة ونشر رسالة كربلاء في كل مكان، وبذلك أشرقت أكبر حماسة في التاريخ على ربوع المجتمعات البشرية.

## فاطمة الصغرى عليها السلام وخطبتها المدوية:

ينقل أحد أبناء الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنه سمع من أبيه يروي عن آباءه الكرام أن فاطمة الصغرى<sup>(٥١)</sup> بعد خروجها من كربلاء أوردت خطبة أمام الناس في الكوفة، أذكر مقطوفات صغيرة منها:  
 «وَأَنْ أُولَادَهُ - أَيْ: وَأَنْ أُولَادَ رَسُولِ اللَّهِ ' قَدْ - دُبِحُوا بِشَطَّ الْفُرَاتِ مِنْ غَيْرِ  
 ذَنْبٍ وَلَا تَرَابٍ»<sup>(٥٢)</sup>.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقْتَرِيَ عَلَيْكَ الْكَذَبَ، وَأَنْ أَقُولَ خَلَافَ مَا أَنْزَلْتَ عَلَيْهِ مِنْ  
 أَخْذِ الْعَهُودِ لِوَصِيَّهِ عَلَيْيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام الْمَسْلُوبِ حَقَّهُ، الْمَقْتُولِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ -  
 كَمَا قُتِلَ وَلَدُهُ بِالْأَمْسِ - <sup>(٥٣)</sup> فِي بَيْتِ مِنْ بَيْوَتِ اللَّهِ».

ثم خاطبت أهل الكوفة قائلة بكل شجاعة:

«وَيَكُمْ! أَتَدْرُونَ أَيْهَا يَدِ طَاعَتَنَا مِنْكُمْ، أَوْ أَيْهَا نَفْسٌ نَرَعَتْ إِلَى قَتَالِنَا، أَمْ بِأَيْهَا رِجْلٍ  
 مَشِيتُمْ إِلَيْنَا؟ تَبْغُونَ مُحَارَّبَتَنَا؟ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ، وَغَلَظَتْ أَكْبَادُكُمْ، وَطَبَعَ عَلَى أَقْنَادِكُمْ،  
 وَخُنُمَ عَلَى سَعْكُمْ وَبَصَرَكُمْ، وَسَوَّلَ لَكُمُ الشَّيْطَانُ، وَأَمْلَى لَكُمْ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِكُمْ  
 غَشَاوَةً فَأَنْتُمْ لَا تَهْتَدُونَ... تَبَّا لَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، كَمْ تِرَاتِ لِرَسُولِ اللَّهِ عليه السلام قِبَلَكُمْ،  
 وَذُحُولِهِ لَدِيْكُمْ، ثُمَّ غَدَرْتُمْ بِأَخِيهِ عَلَيْيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام جَدِّي، وَبَنِيهِ عِتْرَةُ النَّبِيِّ  
 الطَّيِّبِينَ الْأَخِيَّارِ، وَاقْتَحَرَ بِذَلِكَ مُفْتَحِرٌ فَقَالَ:

نَحْنُ	قَتَلْنَا	عَلَيَا	وَبَنِي	عَلَيِّ	بِسَيْفِ	هِنْدِيَّةٍ	وَرِمَاحٍ
وَسَيْنَا	نِسَاءُهُمْ	سَيِّ	تُرْكٍ	وَنَطَحَنَاهُمْ	فَأَيِّ	نِطَاحٍ	

قالت عليها السلام: بِفِيكَ أَيُّهَا الْقَاتِلُ الْكَثِيرُ، وَفَمُكَ الْأَلْبُ، افْتَخَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمٍ زَكَاهُمُ  
 اللَّهُ وَطَهَرُهُمْ، وَأَذَهَبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، فَاكْظِمْ وَاقِعَ كَمَا أَفْعَى أُبُوكَ، وَإِنَّمَا لَكُلُّ امْرِيِّءٍ  
 مَا قَدَّمْتَ يَدَاهُ، حَسَدَتُمُونَا وَيَلَا لَكُمْ عَلَى مَا فَضَّلَنَا اللَّهُ»<sup>(٥٤)</sup>.

إن هذه الخطبة التي خطبها بنت الإمام الحسين عليهما السلام والتي ارتفع أثنائها أصوات المستمعين بالبكاء والعويل، تعتبر خطبة عمتها زينب الكبرى عليها السلام تذكر بخطب الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام المليئة بالحماسة والشهامة أمام الطاغة والمتكبرين الظلمة.

بحق إن هذه الخطبة ذات المضامين العالية والمثيرة للمشاعر والتعابير المفعمة بالحيوية والبطولية لا يتوقع أن تصدر من بنت أسيرة مفجوعة وكلها ألم وحرقة. إن هذه الخطب العظيمة تتضمن سلسلة من الحقائق التاريخية تكشف الغطاء عن أكاذيب ومزاعم أعداء أهل البيت عليهما السلام وتعريهم عن ادعاءاتهم الواهية وتفضح خيانتهم وسوء حقيقتهم. إن هذه الخطب تكشف الستار عن خواء الإعلام المضاد لبني أمية وتجهض تآمرهم لسنوات مدديدة على الدين. وفي الجملة، فهذه الخطب زرعت نبتة الوعي وسقطت شجرة الشهادة الحمراء لشهداء كربلاء، ولولا هذه الخطب الرائعة لم ينبع عمل الشهداء هذا الأثر العظيم والخالد<sup>(٥٥)</sup>.

### أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليهما السلام وخطبتها:

ومن جملة الأشخاص الذين خطبوا في الناس في أهل الكوفة أم كلثوم<sup>(٥)</sup> بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام. ويدرك المؤرخون أن أم كلثوم رفعت صوتها بالبكاء وأوردت هذه الخطبة، وقالت:

«يا أهل الكوفة، سوءاً لكم، ما لكم خذلتمْ حُسَيْنَا وَقَتَّلْتُمُوهُ، وَاتَّهَمْتُمْ أَمْوَالَهُ وَوَرَثَتُمُوهُ، وَسَبَّيْتُمْ نِسَاءَهُ وَنَكَبَّتُمُوهُ؟ فَبَأْلَكُمْ وَسَحْقًا. وَيَلَكُمْ، أَتَدْرُونَ أَيْ دَوَاهُ دَهَتْكُمْ؟ وَأَيْ وِزْرٍ عَلَى ظُهُورِكُمْ حَمَلتُمْ؟ وَأَيْ دَمَاءَ سَفَكَّتُمُوهَا؟ وَأَيْ كَرِيعَةَ أَهْضَمَّتُمُوهَا؟ وَأَيْ صِبَّةَ سَلَبَّتُمُوهَا؟ وَأَيْ أَمْوَالٍ نَهَبَّتُمُوهَا؟ قَتَّلْتُمْ خَيْرَ رِجَالٍ بَعْدَ

النَّبِيُّ، وَنَزَعَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قُلُوبِكُمْ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَالِيُونَ، وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ.

ثم أنشدت تقول:

قَاتَلْتُمْ أَخِي صَبَرًا فَوَيْلٌ لِأَمْكُمْ  
سَفَكْتُمْ دِمَاءَ حَرَمَ اللَّهُ سَفَكْهَا  
أَلَا فَابْشِرُوا بِالنَّارِ إِنَّكُمْ غَدَى  
وَإِنِّي لَأَبْكِي فِي حَيَاتِي عَلَى أَخِي  
بَدَمْعٍ غَزِيرٍ مُسْتَهْلٍ مُكَفَّكِ  
سَجَزْوَنَ نَارًا حَرَهَا يَتَوَقَّدُ  
وَحَرَمَهَا الْقُرْآنُ ثُمَّ مُحَمَّدٌ  
لَفِي قَعْدَتِ نَارٍ حَرَهَا يَتَصَدَّعُ  
عَلَى مَنْ بَعْدِ النَّبِيِّ سِيُولَدُ  
عَلَى الْخَالِدِيِّ دَاتِبٌ لَيْسَ يَجْمُدُ<sup>(٥٧)</sup>

وهذه الخطبة التي جاءت على لسان إحدى بنات الإمام علي عليه السلام حالها حال الخطبيتين السابقتين من حيث كونها زاخرة بالبلاغة والروعة وتنطلق من روحية إيمانية شجاعية، وتعتبر بثابة رصاصة النهاية على جسد حكومة بني أمية وغرسست في القلوب بذور الثورة على الظلم والظالمين في المستقبل.

إن هذه الخطبة وبهذه البلاغة والمتانة خلقت أثرًا كبيراً في نفوس أهل الكوفة من الرجال والنساء بحيث إنها خلقت هياجاً واضطراباً في صفوفهم وكأنهم قد فقدوا أعزّ أعزّتهم، فارتفع صوت الناس بالبكاء، والعويل والصرخ والنوح حتى قال الراوي، فلم يُر باكيًا ولا باكية أكثر من ذلك اليوم<sup>(٥٨)</sup>، ودعوا بالويل والثبور، واضطربت أمواج الحقد والغضب على بني أمية في قلوب الناس، وبدأت صفحة جديدة من تاريخ الإسلام<sup>(٥٩)</sup>.

زينبنا عليه السلام وقولها: ما رأيت إلا جميلا

جلس عبيد الله بن زياد في قصر الإمارة وهو ممتليء غروراً بالنصر الذي حققه ضد أهل البيت عليهما السلام وأذن للجميع إذنًا عامًا بالدخول إلى قصره، فاجتمع

الناس، ثم أمر بإدخال رأس الإمام الحسين عليهما السلام وأدخلوا بنات رسول الله عليهما السلام إلى مجلس ابن زياد، وأوقفوهم في جانب من القصر.

واحتشد المجلس بعلوج بنى امية ومن الساقطين من أعداء أهل البيت عليهما السلام وقد وضع رأس الحسين عليهما السلام بين يديه - وهو ينكث ثناياه بعود كان في يده - ويهزّ أعطافه شمّاته وفرحاً بقتل سيد شباب أهل الجنة.

قالوا: فانحازت زينب الكبرى عليهما السلام عن النساء وهي متذكرة، وجلست في زاوية من القصر، فالتفت ابن زياد إليها، وسئل من هذه المرأة؟ فقيل له: هذه زينب ابنة علي وابنة فاطمة. فأقبل عليها ابن زياد، وقال: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدو شتكم. فقالت العقيلة زينب عليهما السلام - برباطة جأش - «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد عليهما السلام وطهرنا تطهراً، إنما يفتضح الفاسق، ويكتنُبُ الفاجرُ وَهُوَ غَيْرُنَا». فقال ابن زياد: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟»، فأجابته زينب الكبرى عليهما السلام بصلابة وقدرة: «ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهمُ القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجتمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتحاصل، فانتظر لمن الفرج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة». فغضب عبيد الله ابن زياد من كلامها، وكأنه هم بها - أي أراد أن يقتلها - فقال له عمر بن حرث: إنما هي امرأة، ولا تؤخذ المرأة بشيء من منطقها.

ثم التفت إليها ابن زياد وقد أحس بالعجز عن مواجهتها: لقد شفى الله نفسي من طاغيتك الحسين، والعصاة المردة من أهل بيتك.

فقالت زينب الكبرى عليهما السلام: «لعمري لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعوني، واجتثت أصلني، فإن كان هذا شفاوك فقد اشتفيت».

فقال ابن زياد - لما لم يجد جواباً: هذه سجّاعة، ولعمري لقد كان أبوها شاعراً سجّاعاً.

فقالت زينب الكبرى علیها السلام: «إِنَّ لِي عَنِ السُّجَاجَةِ لَشُغْلًا، وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ يَشْتَفِي بِقَتْلِ أَتَمِّهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ مُتَقْبِلُونَ مِنْهُ فِي آخِرِهِ»<sup>(٦)</sup>.

الحقيقة لو أراد الإنسان مهما بلغ كيانه وعلمه أن يعلق أو يقول تعبيراً تجاه كل هذه الشجاعة والقدرة الروحية العالية، فإنه سيرى نفسه قاصراً، بل ولا يستطيع ولا يدري ماذا يقول أمامها، سوى الإذعان والتصاغر أمام عظمة هذه المرأة الجليلة بنت علي بن أبي طالب علیها السلام، وخاصة في تلك الظروف الحساسة، وفي مقابل رجل سفاك و مجرم عتيد كابن زياد، سوى أن يقول عنها: إِنَّكَ واقعاً ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علیها السلام وأخت الإمام الحسن والحسين علیهم السلام<sup>(٧)</sup>.

### زينبنا علیها السلام ودفاعها عن زين العابدين علیها السلام في مجلس ابن زياد

التفت عبيد الله بن زياد إلى الإمام زين العابدين علیها السلام وقال: من أنت؟ فقال علیها السلام: «أنا علي بن الحسين علیها السلام». قال ابن زياد: ألم يقتل الله علي بن الحسين؟ - في كربلاء - فسكت علیها السلام، حتى غضب ابن زياد وقال للإمام علیها السلام: مالك لا تتكلم؟ فقال الإمام علیها السلام: كان لي أخ يسمى علياً، قتله الناس. قال ابن زياد الملعون: بل الله قتلها. فقرأ الإمام علیها السلام قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾<sup>(٨)</sup> يعني أن الله وإن كان يتوفى الأنفس عند موتها، ولكن أخي قتلها بعض الظالمين. فغضب ابن زياد لهذا الجواب القاطع، فقال: أنت والله منهم، ولك جرأة على جوابي؟ اذهبوا به فاضربوا عنقه.

فعندما رأت زينب الكبرى علیها السلام ذلك، احتضنت الإمام زين العابدين علیها السلام وتوجهت بالخطاب لابن زياد وقالت: «يا ابن زياد، حسبيك من دماتنا»، ثم أضافت: «وَاللَّهِ لَا أُفَارِقُهُ، فَإِنْ قَتَلَهُ فَاقْتَلْنِي مَعَهُ». فنظر ابن زياد إلى زينب علیها السلام والإمام السجاد علیها السلام، وقال: «عجبأ للرحم» ثم أضاف: «والله، لأنهنها ودت أن أقتلها معه، دعوه فإني أراه لما به»<sup>(٩)</sup>.

ويُنقل السيد ابن طاوس في كتابه بعد أن يذكر هذه الحالة - بقليل من الاختلاف - أنَّ الإمام السجاد عَلَيْهِ التفت إلى عمه الحوراء زينب عَلَيْهَا، فقال: «أُسْكُنِي عَمَّةً حَتَّى أُكَلِّمَهُ» ثم أقبلَ على ابن زياد، فقال: «أَبِ الْقَتْلِ تُهَدِّدُنِي يَا ابْنَ زِيَادٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَتْلَ لَنَا عَادَةٌ وَكَرَامَاتِنَا الشَّهَادَةُ؟».

وبعد هذا الحوار المثير أدرك ابن زياد أنه لا يستطيع المواجهة مع آل بيت النبوة، وأيقن بالهزيمة، فأمر بعلي بن الحسين عَلَيْهِ وأهله فحملوا إلى دار جنب المسجد الأعظم وأُسْكُنُوا فيها<sup>(٦)</sup>.

هل يكن لأي قلم أو بيان أن يرسم عظمة هذا الكلام الصادر من الحوراء زينب عَلَيْهَا ومن ابن أخيها عَلَيْهِ في ذلك المجلس الذي اجتمع فيه عدد كبير من الناس، وأمام رموز السلطة الظالمية، ومعلوم أنَّ هذا الكلام انتقل على الألسن وشاع في جميع أرجاء الكوفة وانتقل إلى خارجها وخلف آثاراً كبيرة على عقول الناس وعواطفهم وغير من روئيتهم تجاه أبناء الإمام علي عَلَيْهِ وكشف عن خبث وزيف الأعداء مرة أخرى، وقد زرعت هذه الكلمات بذور الثورة ضدَّ آل أمية وحكومتهم الجائرة<sup>(٧)</sup>.

هذا وقد عرفنا الدور الداعي الذي قامت به زينب عَلَيْهَا لما منعت القتل عن زين العابدين عَلَيْهِ فقد دافعت عنه عَلَيْهِ في مجلس يزيد وابن زياد وفي عرصات كربلاء دافعت عنه أن لا يقتل كما ذكر المؤرخون.

### زينبنا عَلَيْهَا دور المرأة في الحركة التصحيحية

قارئي الكريم: لنأخذ من عاشوراء وعي حرکية الإنسان بأكمله، فلقد عشنا ونحن نفكِّر أنَّ المرأة لا دور لها في حركة الإصلاح، وحركة الصراع والثورة وأصبح ما عشناه شيئاً مقدساً وأصبحت فكرتنا التقليدية أن للمرأة البيت وليس

لها الساحة العامة، ولكن عاشوراء قالت لنا إنَّ للمرأة دوراً قيادياً مع قيادة الرجل وبعد قيادة الرجل.

إنَّ زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت قتيل رمز المرأة التي تملك عقلاً قيادياً وروحًا قيادية وصبراً قيادياً وتحدياً قيادياً. فهي تحتوى الواقع كله لتعرف كيف تخطط له، فلم تتحدث مع ابن زياد حديثاً افعالياً بل كان مدروساً حتى في قوله: «ثكلتك أمك يا ابن مجاهنة» فلقد أرادت أن تسقط عنفوانه في مجتمعه، وكذلك عندما وقفت تخطاب يزيد «كـ كـ يـ كـ وـ اـ سـ عـ يـ وـ نـ اـ صـ جـ هـ دـ كـ فـ وـ اـ لـ لـ لاـ تـ حـ وـ ذـ كـ رـ نـ وـ لـ اـ تـ دـ رـ كـ أـ مـ دـ نـ»<sup>(٦٦)</sup> فلقد كانت تفكر بكل كلمة من كلماتها، كانت إنسانة تعيش التخطيط لكلماتها كما كانت تعيش التخطيط لحركتها، تماماً كأنها الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ في حركتها من أجل الدفاع عن حق علي عَلَيْهَا السَّلَامُ فلقد كانت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ في خطبتها في المسجد النبوي الشريف وفي حديثها مع النساء قد تناولت الموضع الحساسة التي تثير الرجال عندما تنقل لهم نساؤهم ذلك، كانت قتيل التحدي بخطبتي، وكانت تنطلق برساليتها من خلال فهمها للواقع وللذين يتحركون في الواقع، وهكذا كانت أنها خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ في أسلوبها العملي في دعم واقع الدعوة الإسلامية الأول، إنها تنطلق من عمق المسؤولية الإسلامية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قضايا الدعوة والحركة والجهاد في سبيل الله الذي يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٦٧)</sup> سواء كان المعروف سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو امنياً، كما أنها مسؤولة عن النهي عن المنكر في ذلك كله تماماً كما هي مسؤولة الرجل، وعلى المرأة أن تتكامل مع الرجل في عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على خطّ التغيير للواقع.

## كل ما لدينا من عاشوراء:

أما الرجل الذي استطاع أكثر من غيره أن يستوحى من خلال ما يصنعه من عاشوراء تغيير الواقع، فهو الإمام الخميني رض، هذا الإنسان الذي كان يبكي الحسين كأشد ما يكون البكاء، وكان يعيش المأساة كأقوى ما يعيشها الإنسان، لكنه كان يدرس الواقع ويعرف أن قضية عاشوراء تلهم الإنسان أكثر من عاشوراء، وكان يعرف أن عاشوراء تبحث عن جمهورها لتصنع في كل جيل جمهوراً للحسين وجمهوراً للقضية يتحدى ويخاطط ويجاهد ويرفض ويواجه الموقف بكل صلاة، كما واجهه الحسين عليه السلام «لا أعطيكم يدي إعطاء الذليل ولا أفرلكم إقرار العبيد»<sup>(٦٨)</sup> «ألا وإن الدعي قد رکز بين اثنين: بين السلة والذلة وهيئات منا الذلة»<sup>(٦٩)</sup>.

كان الإمام الخميني رض يواجه عاشوراء ويريدتها أن تكون حركة تنتج جمهوراً جديداً لا يضعف أمام التحديات ولا ينهزم في المواجهة ولا يتبع عن خط الإسلام أمام المشاكل والبلاء، كان إنساناً يرصد الواقع ويفهمه ويخاطط له، وعاشوراء أمامه تمثل الصورة الحركية المشرقة للإسلام في جهاد النبي صلوات الله عليه وآله وسالم ولذلك قال: "كل ما عندنا من عاشوراء" لأن عاشوراء كانت في كل خطة من خططه وكل موقف من مواقفه، وكانت صلاة الحسين عليه السلام توحى له بالصلاحة فاستطاع أن ينتج من حركته العاشورائية التي استوحاها من عاشوراء التاريخ حركة تغييرية وواقعًا تغييرًا. والحمد لله رب العالمين.

## المواهش:

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٢) انظر القصة في مقتل الحسين، للمقرن.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٩٣، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠١.

- (٤) انظر نفس المهموم، للقمي، وانظر تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٣٥٣، كما ورد هذا الحادث بصورة مفصلة في بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤٢، مع بعض الاختلافات.
- (٥) انظر الإرشاد للشيخ المفيد، في تاريخ حياة الإمام الحسين عليه السلام، الباب ٥، ص ٤٩١.
- (٦) الكافي، ج ١، ص ٤٦٦.
- (٧) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٨٨.
- (٨) مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٣٢٧.
- (٩) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤٣.
- (١٠) نفس المصدر.
- (١١) نفس المهموم، ص ٢٦٢.
- (١٢) تاريخ الخلفاء، ص ٢٣٢.
- (١٣) تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٣٨٩.
- (١٤) يقول ابن كثير العالم السنى المت指控 والذى يستخدم غالباً عنصر التبرير لأفعال معاوية ويزيد، في هذا الصدد "وَقَدْ لَعِنَ يَزِيدُ ابْنَ زَيْدٍ عَلَى فَعْلِهِ ذَلِكَ، وَشَتَّمَهُ فِيمَا يَظْهَرُ وَيَبْدُو، وَلَكِنْ لَمْ يَعْزِلْهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا عَاقَبَهُ، وَلَا أَرْسَلَ يَعِيبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ" - البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٤.
- (١٥) حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج ٣، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.
- (١٦) مأساة الإمام الحسين عليه السلام، للشيخ الكاشي، ص ١١٧.
- (١٧) العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٨٥، وانظر مقاتل الطالبيين، ص ٧٩.
- (١٨) نفس المصدر.
- (١٩) مقاتل الطالبيين، ص ٧٩.
- (٢٠) نفس المهموم، ص ٢٥٩.
- (٢١) الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٨٨.
- (٢٢) إبصار العين، ص ١٣٠.
- (٢٣) رياحين الشريعة، ج ٤، ص ٢٥٥.
- (٢٤) رياحين الشريعة، ج ٣، ص ٣٠٨.
- (٢٥) نفس المصدر، ج ٣، ص ٣٠٨.

- (٢٦) هذا وقد ذكر الآخرون أسماء آخريات من النساء التي وقعت بالأسر في كربلاء، يرجى من قارئي المشتاق للمعرفة أكثر، مراجعة الموسوعات المختلفة حول عاشوراء الحسين عليه السلام.
- (٢٧) رياحين الشريعة، ج ٣، ص ٣١٨، وفي تفريح المقال، ج ٣، ص ٢٤٧.
- (٢٨) تفريح المقال، ج ٢، ص ٢٠١.
- (٢٩) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٨.
- (٣٠) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٢٧.
- (٣١) نفس المهموم، ص ٢٦٥.
- (٣٢) رياحين الشريعة، ج ٣، ص ٣٠٥.
- (٣٣) الكافي، ج ١، ص ٤٦٥.
- (٣٤) مثير الأحزان، ص ٤١، بتصرف.
- (٣٥) مقتل الحسين، للمقرم، ص ٣٠٧.
- (٣٦) انظر: بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٨، وانظر: مقتل الحسين للمقرم، ص ٣٠٧.
- (٣٧) الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٨١، وانظر: مقتل الحسين للمقرم، ص ٣٠٧، بتصرف.
- (٣٨) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٥.
- (٣٩) نظراً للقول المشهور من أن حادثة عاشوراء وقعت يوم الاثنين لعله إشارة إلى حادثة السقيفة التي وقعت يوم الاثنين، والمراد أن حادثة كربلاء هي نتيجة لما وقع قبل خمسين سنة من التآمر على الإسلام والمسلمين في السقيفة.
- (٤٠) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٨، وفي أعيان الشيعة، ج ٧، ص ١٣٨.
- (٤١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٩.
- (٤٢) نفس المصدر.
- (٤٣) سورة التوبة، الآية ٩٧.
- (٤٤) نفس المصدر، الآية ٩٩.
- (٤٥) ونجد دعوة هؤلاء منذ زمن الرسول صلوات الله عليه وآله للاعتصام بحبل الله كما في قول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ - سورة آل عمران، الآية ١٠٣، وحبل الله هو الرسول صلوات الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.
- (٤٦) سورة الفتح، الآية ١٠.

- (٤٧) مقتل الحسين عليه السلام للمقرن، ص ٣٠٨.
- (٤٨) بتصرف، كتاب عاشوراء، للشيخ ناصر مكارم، ص ٣٨٧.
- (٤٩) ذكر اسمه في الملهوف أو اللهوف، بشير بن خزيم الأسيدي، وفي مستدركات علم الرجال، ج ٢، ص ٣٧، جزيم.
- (٥٠) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٦٢ - ١٦٤ بتصرف.
- (٥١) الظاهر - كما عند بعض المحققين - أن فاطمة هذه، هي فاطمة بنت الحسين عليه السلام وزوجة الحسن الثاني بن الإمام الحسن عليه السلام وقولها: «كما قتلتكم جدنا بالأمس» في خطبتها يراد منه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو شاهد على هذا الكلام، أما التعبير بـ(فاطمة الصغرى) فلعله يشير إلى أن الإمام الحسين عليه السلام بنت أخرى تدعى فاطمة وهي أكبر منها ولكن لا دليل من التاريخ على هذا الاحتمال، وعلى هذا الأساس لا يبعد أن هذا الاسم بسبب التمايز الموجود بين فاطمة بنت الحسين وفاطمة الزهراء عليه السلام، كما ذكر ذلك الشيخ المفيد في الإرشاد، ص ٣٦٦، حيث ذكر أن الإمام الحسين عليه السلام سكينة أو فاطمة، فقال الإمام عليه السلام: «لقد اخترت لك فاطمة، لأنها تشبه أمي فاطمة»، وعلى هذا الأساس سميت فاطمة الصغرى بالقياس إلى فاطمة الزهراء عليه السلام، راجع: فاطمة بنت الحسين لحمد هادي الأميني للاطلاع على سيرة حياتها.
- (٥٢) الذحل: الحقد والعداوة، يقال: طلب بذحله، أي: بشاره. الصحاح - ذحل -
- (٥٣) لا بد من الالتفات أن جمله «كما قُتِلَ ولَدُهُ بالأَمْسِ» جملة معرضة وتشير إلى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وجملة «في بَيْتِ مِنْ بَيْوَتِ اللَّهِ» وبعدها، إشارة إلى أمير المؤمنين عليه السلام.
- (٥٤) الاحتجاج للطبرسي، ص ١٠٤ - ١٠٨، بتصرف.
- (٥٥) بتصرف، في كتاب عاشوراء، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ص ٣٩٧.
- (٥٦) أم كلثوم هي بنت أمير المؤمنين عليه السلام وأخت زينب والحسين عليه السلام ولدت في السنوات الأخيرة من عمر النبي عليه السلام كانت امرأة فاضلة وفصيحة ومتكلمة وعالمة، ذكرها أنها تسمى أيضاً بزینب الصغری، ولم تتوان عن كشف الحقائق وإزاحة الستار عن جرائم الأمويين، وبعد الرجوع إلى المدينة كانت أم كلثوم من يصف للناس وقائع ذلك السفر المرؤ، والشعر المعروف.

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسمرات والأحزان جينا

والذي قرئ عند دخول المدينة هو لأم كلثوم، هناك من يعتقد أنَّ أم كلثوم بنت فاطمة عليها السلام قد توفيت في زمن الإمام الحسن الجibli عليه السلام، أما هذه السيدة التي ورد ذكرها في واقعة كربلاء فهي من زوجة أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام. انظر: مروج الذهب، ج ٣، ص ٦٣.

(٥٧) اللهوف، ١٩٨ - ١٩٩.

(٥٨) نفس المصدر، ص ٦٥.

(٥٩) بتصرف في كتاب عاشوراء للشيخ ناصر مكارم الشيرازي حفظه الله تعالى، ص ٤٠٣.

(٦٠) اللهوف، ص ٢٠٠ - ٢٠٢، وفي إرشاد المفيد، ص ٤٧٢ - ٤٧٣، مع اختلاف يسير.

(٦١) انظر تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٦٢) سورة الزمر، الآية ٤٢.

(٦٣) إرشاد المفيد، ص ٤٧٣، وكذلك انظر اللهوف، ص ٢٠٢، مع اختلاف يسير، وانظر أيضًا:

تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٣٥٠.

(٦٤) اللهوف، ص ٢٠٢.

(٦٥) من تعليقات الشيخ ناصر مكارم دام ظله في كتاب عاشوراء، ص ٤٠٥، بتصرف.

(٦٦) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٥.

(٦٧) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٦٨) بحار الانوار، ج ٤٥، ص ٧.

(٦٩) نفس المصدر، ص ٩.



نساء بكين على الحسين (عليه السلام)

## عزيز حن الخزان

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآل  
الطيبين الطاهرين.

البكاءُ والحزن عند حلول المصائب أمرٌ فُطِرَ عليه  
الإنسان وجُبِلتُ عليه نفسه، وكلما زادت عاطفة الإنسان  
كان أكثر تأثراً بما يصيبه من محن ومصائب، وي يكن السيطرة  
على هذه العاطفة الجياشة بتحكيم العقل، وبالتصبر والتوكل  
على الباري سبحانه، كما أن صاحب القلب القاسي ربما تموت  
فيه العاطفة فلا تؤثر فيه أعظم الأمور التي تؤثر في الإنسان  
ال Sovi.

والإسلام كما أنه أمر بالصبر والتصبر والتوكيل عند نزول الشدائدين، كذلك أمر بإباراز العاطفة في الموارد التي تحتاج إلى العاطفة، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها بكاء رسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند وفاة ابنه إبراهيم عَلَّا لَهُ الظَّنُون، فعن أنس بن مالك قال: «دخلنا عليه (أي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله، فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى فقال عَلَّا لَهُ الظَّنُون: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، لا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنما بفارقك يا إبراهيم لحزونون»<sup>(١)</sup>. ومنها بكاء النبي الله عَلَّا لَهُ الظَّنُون على فراق ابنه يوسف عَلَّا لَهُ الظَّنُون، وغير ذلك.

**كُلُّ الْجَزْعِ مُكْرُوهٌ إِلَّا عَلَى الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ**

ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء على الحسين بن علي عليهما السلام فإنه فيه مأجور»<sup>(٢)</sup>. والظاهر أنه ليس المقصود من كراهة البكاء مطلقا حتى لو لم يكن مع الجزع؛ إذ البكاء على فقد الحبيب مثلاً أمر غريزي قد لا يكون للإنسان اختيار فيه، ويفيد ذلك قول الإمام عليه السلام «في كل ما جزع». وسيرة أهل البيت عليهما السلام أكبر دليل على ذلك؛ إذ أنهم عليهما السلام يبكون على فقد الأحبة، ولم يقتصر بكائهم على الإمام الحسين عليه السلام.

وذكر الحر العاملي أنه: "روي: استثناء البكاء من خشية الله. والبكاء لموت المؤمن. والبكاء عند غلبة الحزن."<sup>(٣)</sup>.

والجزع نقىض الصبر، قال تعالى على لسان أهل النار: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِّعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾<sup>(٤)</sup>. وقال الراغب في مفرداته: "الجزع أبلغ من الحزن، فإن الحزن عام والجزع هو حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده ويقطعه عنه".

ومقتضى الحديث المتقدم هو استحباب الجزع على مصاب الحسين عليهما السلام، وأن الصبر ليس مطلوباً في ذلك، ولكن بشرط عدم اقترانه بعصبية. وما سوى مصاب الحسين عليهما السلام فإنه يكره فيه الجزع حتى مصابنا بالرسول عليهما السلام، نعم البكاء عليه عليهما السلام مطلوب وهو غير الجزع كما عرفت، يقول أمير المؤمنين عليهما السلام عند غسله لرسول الله عليهما السلام وتجهيزه: «... ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفينا عليك ماء الشعون»<sup>(٥)</sup>، وقد يكون بكاء الزهراء عليهما السلام المتواصل على أبيها، حتى تأذى منها أهل المدينة ومنعوها من البكاء، فبني لها أمير المؤمنين عليهما السلام بيت الأحزان استثناءً لكراهة الجزع خاصاً بها عليهما السلام، والله العالم.

نعم في رواية أخرى تشير إلى حصول الجزع من الإمام الصادق عليهما السلام على ابنه إسماعيل ولكن عند احتضار إسماعيل فقط، فقد روي أنه: "لما حضرت إسماعيل بن أبي عبد الله الوفاة جزع أبو عبد الله عليهما السلام جداً، فلما غمضه دعا بقميص غسيل أو جديده فلبسه ثم تسرح وخرج يأمر وينهى، فقال له بعض أصحابه: جعلت فداك لقد ظننا أن لا ينتفع بك زماناً لما رأينا من جزعك، قال: «إنا أهل بيت نجع ما لم تنزل المصيبة، فإذا نزلت صبرنا»"<sup>(٦)</sup>.

ولعل في سيرة أهل البيت عليهما السلام موارد أخرى للجزع غير هذا المورد تحتاج إلى تقصي واستقراء.

وأما السر الحقيقي لاستثناء مصيبة الحسين عليهما السلام من كراهة الجزع بالنسبة لعامة الناس فلا يعرفها إلا الله والراسخون في العلم، وقد تظهر لنا بعض العلل والحكم من ذلك من خلال كلام أهل البيت عليهما السلام، ولسنا بصدد بيان ذلك.

#### دور المرأة في إحياء الشعراء

وللمرأة دور كبير في إحياء الشعراء الحسينية المقدسة لما قتلت من عاطفة تفوق فيها الرجل، وقضية الحسين عليهما السلام قضية يتزوج فيها الدين بالعاطفة، فكما أن

لثورته عليه عليه عَزَّلَهُ جانب ديني عقائدي - وهو الأساس -. فإن للعاطفة دور كبير في تقوية هذا الجانب وترسيخه في النفوس، واستغلال هذا الجانب العاطفي في مسألة دينية اجتمعت فيها كل أسباب العاطفة لا يعُدُّ نصاً أو أمراً مستهجنًا ما دامت القضية حَقَّةً، والأمر المرفوض إنما هو استغلال العاطفة لإثبات الباطل وتقويته.

وفي موارد متعددة من سيرة أهل البيت عليهما السلام نرى الدعوة لمشاركة النساء في إحياء مثل هذه الشعائر، فعند استشهاد سيد الشهداء حمزة عليهما السلام قال النبي عليهما السلام عندما لم يسمع أحد يبكي على عمه الحمزة: «لكن حمزة لا بواكى له» فلما رجع سعد بن معاذ وأبيه بن حضير، إلى دار بني عبد الأله، أمر النساء أن يذهبن فيبكين على عم رسول الله عليهما السلام، فلما سمع رسول الله عليهما السلام، بكاهن على حمزة، خرج إليهن وهن على باب مسجده يبكيان، قال لهن رسول الله عليهما السلام: «ارجعن يرحمك الله، فقد واسينت بأنفسكن»<sup>(٧)</sup>.

وكذلك هناك أكثر من مجلس للإمام الصادق عليه عَزَّلَهُ يطلب فيه من بعض أصحابه إنشاد الشعر في الحسين عليه عَزَّلَهُ، كما طلب من هارون المكفوف، يقول هارون: «فبكي، وسمعت البكاء من خلف الستر»، وكذلك مع أبي عمارة يقول: «فوالله ما زلت أنسده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار»<sup>(٨)</sup>.

ويقول دعبد الله عليه عَزَّلَهُ: ثم إنه عليه عَزَّلَهُ أي الإمام الرضا عليه عَزَّلَهُ نهض وضرب سترا بيننا وبين حرميه، واجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين عليه عَزَّلَهُ<sup>(٩)</sup>.

وكل هذا يدل على مطلوبية مشاركة المرأة في هذه المجالس الحسينية، ولكن مع مراعاة الستر والعفاف، ونحن هنا نورد مجموعة من النساء اللواتي بكين على الحسين عليه عَزَّلَهُ. ونبداً بسيدة النساء فاطمة الزهراء عليه عَزَّلَهُ:

## بكاء الزهراء علیها السلام

للزهراء علیها خصوصية بالنسبة للبكاء والتفجع على مصاب الحسين علیه السلام، لأنها أمه، ولكن هذا لا يعني أن بكائها كان مجرد العاطفة ولكون المقتول ابنها، وإنما فإن الإمام الحسن الجibli علیه السلام أيضاً ابنها، ولم ينقل أنها بكنته كما بكت الحسين علیه السلام، وهذا يدلنا على أن المصيبة الحسين علیه السلام خصوصية؛ لأنَّ فعل الزهراء علیها حجة لكونها معصومة.

فقد روى "أنه لما أخبر النبي علیه السلام ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكاء شديداً، وقالت: «يا أبت متى يكون ذلك؟» قال: «في زمان حال مني ومنك ومن علي»، فاشتد بكاؤها وقالت: «يا أبت فمن يبكي عليه؟ ومن يتلزم بإقامة العزاء له؟». فقال النبي: «يا فاطمة إن نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل، في كل سنة فإذا كان القيمة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، وكل من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة. يا فاطمة! كل عين باكية يوم القيمة، إلا عين بكت على مصاب الحسين فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة»<sup>(١٠)</sup>.

فالزهراء علیها السلام أولاً بكت بكاء شديداً، وعندما علمت أن الحسين علیه السلام يقتل وليس معه جده ولا أمه وأبوه، اشتد بكاءها، فوحدة الحسين علیها السلام جزء من المصيبة، كل هذا والواقعة لم تقع بعد، فلا أدرى كيف كان حالها علیها السلام عند وقوع المصيبة؟

ثم إننا نرى اهتماماً بالغاً منها علیها السلام بن يبكي على ابنها، ويقيم عليه العزاء، وهذا يعني أن مشاركة المؤمنين والمؤمنات في المجالس الحسينية وذرف الدموع على الحسين علیه السلام يعتبر مواساة للزهراء علیها السلام، وإدخالاً للسرور على قلبها.

وهناك روايات كثيرة أخرى في بكاء الزهراء عليها السلام خصوصاً عند ولادة الحسين عليه السلام وإخبار جرائيل عليه السلام بقتله.

### بكاء الحواراء زينب عليها السلام

الحواراء زينب  عليها السلام شريكة الحسين عليه السلام في ثورته وفي مصيبته، فلا يكاد يُذَكَّرُ الحسين إلا وتنذر معه زينب، وكما أن القلب يخشى لذكر الحسين، فكذلك يخشى لذكر زينب، فهي  عليها السلام تحملت مسؤولية ثقيلة لا يستطيع تحملها الرجال الأشداء، واختيارها لذلك يدل على عظيم منزلتها، وقد قامت بتلك المسؤولية أحسن قيام، وعلى أكمل وجه.

وكان من الطبيعي -في حادثة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في عظم المصيبة والفجيعة- أن تجتمع زينب  عليها السلام على ما شاهدته بأم عينيها من مصائب جمة، بل وأن تموت لذلك؛ فأي قلب يتتحمل تلك المصيبة التي بكت لها السموات والأرض، ولكن لما كانت الظروف تقتضي الصبر والتجلد، حتى لا يشمط العدو ولا ينال من أهداف الثورة، صبرت زينب صبراً عجباً منه الجبال الرواسي، حينما جاءت إلى الجسد الشريف، وهي تقول: «إلهي تقبل منا هذا القرابان».

هذا كله أمام العدو وحيث الظروف المقتضية لإظهار العزة والكرامة، ولا يعني أنها لم تبكِ الحسين عليه السلام حينما تكون الظروف مناسبة لذلك حتى أمام الأعداء، فقد روي عن حميد بن مسلم عند مرور القافلة بأجساد القتلى: "قال: فوالله لا أنسى زينب بنت علي  عليها السلام وهي تدب الحسين وتتدادي بصوت حزين وقلب كئيب: «واحمد الله صلى الله عليه وسلم ملوك السماء، هذا حسين مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى علي المرتضى وإلى حمزه سيد الشهداء، وأحمد الله لهذا حسين بالمراء، يسفى عليه الصبا، قتيل أولاد البغایا، يا حزناه يا

كربلاه، اليوم مات جدي رسول الله، يا أصحاب محمداته، هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا»<sup>(١١)</sup>.

والمواضع التي بكت فيها زينب عليها السلام على أخيها الحسين عليه السلام تحتاج إلى تأمل ودراسة؛ حيث إنها عليها السلام عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة كما يقول السجاد عليه السلام<sup>(١٢)</sup>، ونحن نرى بأنها عليها السلام لا تبكي مجرد العاطفة، وأنه بإمكانها أن تتجلد في أقسى المواقف كما فعلت عند جسد الحسين عليه السلام، فبكائها لا يكون إلا في موضعه المناسب، ومن هذه المواقع بكاءها في مجلس ابن زياد لعنه الله، فلتتأمل هذا الموقف والمحوار والأخذ والرد بين الحوراء عليها السلام وبين الفاجر ابن زياد لعنه الله، وفي أي مورد بكت زينب عليها السلام.

يقول الشيخ المفيد في الإرشاد: «وأدخل عيال الحسين عليه السلام على ابن زياد، فدخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متذكرة وعليها أرذل شياطها، فمضت حتى جلست ناحية من القصر وحفت بها إماءها، فقال ابن زياد: من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساءها؟ فلم تجده زينب، فأعاد ثانية وثالثة يسأل عنها، فقال له بعض إماءها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله، فأقبل عليها ابن زياد وقال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم، فقالت زينب: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه وطهرنا من الرجس تطهيرًا، وإنما يفتح الفاسق ويكتُب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله»، فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟ قالت: «كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتحتمرون عنده»، فغضب ابن زياد واستشاط، فقال عمرو بن حرث: أيها الأمير، إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، ولا تذم على خطابها. فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك. فزقت (أي صاحت) زينب عليها السلام وبكت وقالت له: «لعمري لقد قتلت كهلي».

وأبدت أهلي، وقطعت فرعى، واجشت أصلى، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت»، فقال ابن زياد: هذه سجاعة، ولعمرى لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً. فقالت: «ما للمرأة والسجاعة؟ إن لي عن السجاعة لشغلاً، ولكن صدري نفث بما قلت»<sup>(١٣)</sup>.

فهي عليهما واجهت ابن زياد أشد المواجهة، ووصفته بالفاسق والفاجر، ثم صاحت وبكت عندما تجرأ اللعين ابن زياد بوصف الحسين عليهما بالطاغية، فالتجرأ على مقام الإمام عليهما ووصفه بهذه الصفة أعظم مصيبة مما فعل به في كربلاء، ولعل بكاء زينب عليهما في هذا الموضع وقولها: «لعمرى لقد قتلت كهلى،....» لكي توثق وتبثت جريمة بنى أمية في قتلهم سبط الرسول عليهما وآله، وهذا هو أحد أهداف ثورة الحسين عليهما وهو فضيحة بنى أمية، وكشف حقيقتهم للناس.

وفي موقف آخر لما وصلوا إلى المدينة، «قال الراوى: وأما زينب فأخذت بعضاً من باب المسجد، ونادت يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين، وهي مع ذلك لا تحف لها عبرة، ولا تفتر من البكاء والتحبيب، وكلما نظرت إلى علي بن الحسين، تجدد حزنهما، وزاد وجدها»<sup>(١٤)</sup>.

وهناك مواقف أخرى كثيرة للحوراء عليهما لا يسع هذا البحث المختصر إحصائها.

### بكاء أم البنين عليهما

أم البنين عليهما اختارها الله لأمير المؤمنين عليهما لتنجذب له العباس، ليكون ناصراً للحسين عليهما، فعرفت قدر الحسين ومقامه ومكانته عند الله عزوجل، وفضلتة على أبنائها، ولا شك أنها عليهما حزنت حزناً شديداً على خروج الحسين عليهما من المدينة وهي العالمة بما سيجري عليه، وعلى أبنائها الأربعة، ولم أجد رواية تحكي

لنا موقفها من خروج الحسين عليه السلام، ولا شك أنها كانت تعلم بذلك؛ لأنَّ أولادها الأربع خرجوا مع أخيهم الحسين عليه السلام.

واشتهر أنها عليه السلام لما سمعت بشر بن حذل ينعي الحسين عليه السلام، خرجت مذعورة بطفلها ولم تسأله عن أبنائهما الأربع، بل كان هُمْها خبر الحسين عليه السلام، ولما أخبرها بقتل الحسين عليه السلام سقط الطفل منها من شدة المصيبة.

وقال أبو الفرج الأصفهاني: "وكانت أم البنين أم هؤلاء الأربع الأخوة القتلى، تخرج إلى البقيع فتدبر بناتها أشجى ندبة واحرقها، فيجتمع الناس إليها يسمعون منها، فكان مروان يجيء فيم يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبها ويبكي. ذكر ذلك علي بن محمد بن حمزة عن التوفلي عن حماد بن عيسى الجهني عن معاوية بن عمارة عن جعفر بن محمد"<sup>(١٥)</sup>.

### بكاء الرباب زوجة الحسين عليه السلام

للحسين عليه السلام عدة زوجات، شهر بانو أو شاه زنان أم السجاد عليه السلام، وقد توفيت في نفاسها، ولily التقافية أم الأكبر عليه السلام وفي حضورها في كربلاء كلام، وله زوجة أخرى لم يعلم اسمها حضرت واقعة الطف وكانت حاملاً، فأسقطت حملها في طريقها إلى الشام مع السبايا، وأم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، وهي أم فاطمة بنت الحسين، والرباب بنت امرئ القيس وهي أم عبد الله الرضيع وأم سكينة<sup>(١)</sup>.

وللحسين عليه السلام علاقة خاصة بالرباب عليه السلام حيث نقل عنه قوله:

لعمرك إني لأحب دارا تكون بها سكينة والرباب  
أحبهما وأبذل جل مالي وليس لغائب عندي عتاب

ويقول الصفدي: "كانت الرباب من أفضل النساء وأجملهن وخيارهن خطبت بعد قتل الحسين، فقالت ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله ﷺ وقالت ترثي الحسين:

إن الذي كان نورا يستضاء به  
بكرباء قتيل غير مدفون  
سيط النبي جزاك الله صالحة  
عنا وجنبت خسران الموازين  
قد كنت لي جبرا صعبا ألوذ به  
و كنت تصحبنا بالرحم والدين  
من لليتامى ومن للسائلين ومن  
يعني ويأوي إليه كل مسكيين<sup>(١٧)</sup>  
والله لا أبتغي صهرا بصرهم  
حتى أغيب بين الرمل والطين<sup>(١٨)</sup>

ويقول ابن الأثير: "وكان مع الحسين امرأته الرباب بنت امرئ القيس وهي أم ابنته سكينة، وحملت إلى الشام فيمن حمل من أهله، ثم عادت إلى المدينة فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله ﷺ وبقيت بعده سنة لم يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت كمدا، وقيل: إنها أقامت على قبره سنة وعادت إلى المدينة فماتت أسفًا عليه"<sup>(١٩)</sup>. وهذا مما يدل على عظيم منزلتها، وعلى معرفتها لمقام الحسين ﷺ.

وروى الكليني في الكافي عن الإمام الصادق عـ أنه قال: «لما قتل الحسين عـ أقامت امرأته الكليبة عليه مائة، وبكت وبكين النساء والخدم حتى جفت دموعهن وذهبت، فبينا هي كذلك إذا رأت جارية من جواريها تبكي ودموعها تسيل فدعتها، فقالت لها: مالك أنت من يتنا تسيل دموعك؟ قالت: إني لما أصابني الجهد شربت شربة سويف قال: فأمرت بالطعام والأسواق فأكلت وشربت وأطعمت وسقطت وقالت: إنما نريد بذلك أن نقوى على البكاء على الحسين عـ». قال: واهدي إلى الكليبة جؤنا<sup>(٢٠)</sup> لستعين بها على مأتم الحسين عـ فلما رأت الجرون قالت: ما هذه؟

قالوا: هدية أهدتها فلان لستعيبي على مأتم الحسين فقالت: لسنا في عرس، فما نصنع بها؟ ثم أمرت بهن فأخرجن من الدار فلما أخرجن من الدار لم يحس لها حس كأنما طرن بين السماء والأرض ولم ير لهن بها بعد خروجهن من الدار أثر»<sup>(٢١)</sup>.

وهذه المآتم كانت برأي من زين العابدين عليه السلام، بل نقل أنه عليه السلام كان يطبخ الطعام للمأتم، فقد روي أنه: «ما قتل الحسين بن علي عليهما السلام لبسن نساءبني هاشم السواد والمسوح، وكن لا يشتكين من حر ولا برد، وكان علي بن الحسين عليهما السلام يعمل لهن الطعام للمأتم»<sup>(٢٢)</sup>.

### بكاء أم المؤمنين أم سلمة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أم سلمة هي أفضل زوجات النبي عليهما السلام بعد السيدة خديجة عليهما السلام، ولها منزلة عظيمة عند النبي عليهما السلام وأهل بيته عليهما السلام، وفي حجرتها تم زفاف الزهراء وأمير المؤمنين عليهما السلام كما في بعض الروايات<sup>(٢٣)</sup>، وروت عنها روايات كثيرة في أهل البيت عليهما السلام، ولديها بعض الأخبار المستقبلية، منها قتل الحسين عليهما السلام، فقد روي عنها أنها قالت: « جاء جبريل إلى النبي عليهما السلام فدخل عليه الحسين فقال: «إن أمتك قتلت بعدك» ثم قال: «ألا أريك تربة مقتله؟» فجاء بحصيات فجعلهن رسول الله عليهما السلام في قارورة فلما كان في ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول.

أيها القاتل	جهلا	حسينا	أبشروا	بالعذاب	والتنكيل
قد لعنتم على	لسان ابن داود	وموسى	وحامل	الإنجيل	

قالت: فبككت وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دما»<sup>(٢٤)</sup>.

وقال الفندوزي: «أخرج البغوي في معجمه، وأبو حاتم في صحيحه، وأحمد وابن أحمد، وعبد ابن حميد وابنه أحمد: عن أنس: إن النبي عليهما السلام قال: «استأذن ملك (القطر) رب أن يزورني فأذن له»، وكان يوم أم سلمة، فقال (رسول الله عليهما السلام):

«يا أم سلمة احفظي (عليها) الباب لا يدخل أحد، فبینا هي على الباب إذ دخل الحسين (فاقتصر) فوثب على حجر جده عليه السلام (ف) جعل رسول الله عليه السلام يلشمها ويقبلها. فقال الملك: «أتحبه؟» قال: «نعم». قال: «إن أمتك ستقتلها، وإن شئت أريك المكان الذي يقتل بها»، فأراه فجاءه بسهلة وتراب أحمر، فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها. قال ثابت: كنا نقول: إنها كربلا. وزاد أبو حاتم: إنه عليه السلام شهراً وقال: ريح كربلا. والسهلة: رمل خشن، وفي رواية الملا وابن أحمد: قال عليه السلام: «يا أم سلمة، فمتى صار دما فاعلمي أنه قد قُتل». قالت أم سلمة: فوضعته في قارورة فرأيتها يوم قتل الحسين قد صار دما. وقالت: لما كانت ليلة قتلها سمعت قائل يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسينا  
قد لعنتم على لسان ابن داود وبالعذاب فابشرروا والتذليل  
الإنجيل وحامل وموسى وبالعذاب فابشرروا والتذليل

فبكين وفتحت القارورة فإذا صار دما<sup>(٢٥)</sup>.

ونقل عن أكثر من واحد أنه سمع هذه الأبيات يوم مقتل الحسين عليهما السلام<sup>(٢٦)</sup>.  
وحدث التربة الحمراء، نقلها كثير من المؤرخين<sup>(٢٧)</sup>.

ولأم سلمة علاقة خاصة بالحسين عليهما السلام، ولذلك ذكر في البحار: «أنه عليهما السلام لما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة وهي تبكي فقالت: يا بني لا تخزني بخروجك إلى العراق، فاني سمعت جدك يقول: «يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلا»، فقال لها: «يا أماه، وأنا والله أعلم بذلك، وإنني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بد، وإنني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، واعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإنني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أماه أريك حضرتي ومضجعي». ثم أشار عليهما السلام إلى جهة كربلا فانخفضت الأرض حتى أرها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره، و موقفه ومشهدته، فعند ذلك

بكث أُم سلمة بكاء شديداً، وسلمت أمرها إلى الله، فقال لها: «يا أماه قد شاء اللَّهُ أَن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالى مذبوحين مظلومين، مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً». وفي رواية أخرى: قالت أُم سلمة: وعندى تربة دفعها إلى جدك في قارورة، فقال: «وَاللَّهِ إِنِّي مُقْتُولٌ كَذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ أُخْرُجْ إِلَى الْعَرَاقِ يَقْتُلُنِي أَيْضًا»، ثم أخذ تربة فجعلها في قارورة، وأعطتها إياها، وقال: «اجعليها مع قارورة جدي، فإذا فاضتا دماً فاعلمي أنني قد قلت»<sup>(٢٨)</sup>.

فكانت خليعه محتفظة بتلك التربة، ولما رأتها أصبحت دماً علمت بقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كما تقدم في الرواية، وفي رواية أخرى عنها خليعه أنها: «أخرجت يوم قتل الحسين بكرباء، وهي بالمدينة قارورة فيها دم، فقالت: قُتِلَ والله الحسين. فقيل لها: من أين علمت؟ قالت: دفع إلي رسول الله من تربته، وقال لي: «إذا صار هذا دماً فاعلمي أن ابني قد قتل»، فكان كما قالت<sup>(٢٩)</sup>.

وفي بعض الروايات أنها رأت النبي ﷺ في المنام، وقد أخبرها بقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، روى الترمذى والطبرانى والحاكم عن سلمى قالت: «دخلت على أم سلمة وهي تبكي، فقلت ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، تعنى في المنام، وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: مالك يا رسول الله؟ قال: «شهدت قتل الحسين آفنا»<sup>(٣٠)</sup>.

وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أصبحت يوماً أُم سلمة خليعه تبكي، فقيل لها: مم بكاؤك؟ قالت: لقد قتل ابني الحسين الليلة، وذلك أنني ما رأيت رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ منذ مضى إلا الليلة، فرأيته شاحباً كهيناً، فقالت: قلت: مالي أراك يا رسول شاحباً كهيناً؟ قال: ما زلت الليلة أحفر القبور للحسين وأصحابه (عليه وعليهم السلام)»<sup>(٣١)</sup>.

وعن شهر بن حوشب قال: " بينما أنا عند أم سلمة إذ دخلت صارخة تصرخ، وقالت: قتل الحسين، قالت أم سلمة: فعلوها ملأ الله قبورهم نارا، ووافت مغشيا عليها".<sup>(٣٢)</sup>

وكل هذا يدل على عظيم منزلتها، ومقامها الكبير عند الله ورسوله، لما كانت عارفة بحق النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين علیهم السلام .

### بكاء نساء بني هاشم ونساء أهل المدينة

في روضة الوعظين: " حتى دخلوا (السبايا) المدينة فلم يسمع واعية مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن علي علیهم السلام ، وخرجت أم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت بنعي الحسين علیهم السلام حاسرة ومعها أخواتها أم هاني وأسماء ورملة وزينب بنت عقيل بن أبي طالب، تبكي قتلها بالطف وهي تقول:

ما زلت أقول إذا قال النبي لكم ما زلت أعلم وأنتم آخر الأمم  
بعترتي وبأهل بيتي بعد مفتقددي منهم أسرى ومنهم ضرجوا بدم  
ما كان هذا جزاي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم"<sup>(٣٣)</sup>

وقال عبد الملك بن أبي الحارث السلمي (رسول ابن زياد إلى والي المدينة): " فدخلت على عمرو بن سعيد، فقال: ما وراءك فقلت: ما سر الأمير، قتل الحسين بن علي، فقال: نادي بقتله فناديت بقتله، فلم أسمع والله واعية قط مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على الحسين".<sup>(٣٤)</sup>

ويقول بشر بن جذنم: " فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكرباء مضرج والرأس منع على القناة يدار

قال: ثم قلت: هذا علي بن الحسين عليه السلام مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه، قال: فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن مخمشة وجوههن ضاربات خدوذهن يدعون بالويل والثبور فلم أر باكيًا أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمر على المسلمين منه <sup>(٣٥)</sup>.

### بكاء نساء يزيد لعنة الله

"ثم أدخل نساء الحسين على يزيد فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن ثم إنهن أدخلن على يزيد، فقلت فاطمة بنت الحسين وكانت أكبر من سكينة: أبنات رسول الله سبابيا يا يزيد، فقال يزيد: يا ابنة أخي، أنا لهذا كنت أكره، قالت: والله ما ترك لنا خرص، قال: يا ابنة أخي ما آتي إليك أعظم مما أخذ منك، ثم أخرجن فأدخلن دار يزيد بن معاوية، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتهمن وأقمن المأتم" <sup>(٣٦)</sup>.

### الخاتمة

لم نخص هنا كل النساء اللواتي بكين على الحسين عليه السلام، وإن هناك الكثير وهن من خيرة النساء، كسكينة بنت الحسين وأم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن ذكرنا بعضهن لبيان دور المرأة في إظهار الشعائر الحسينية، ونصرة أهدافها، وأن المطلوب من النساء أن تشاركن في إحياء شعائر الحسين عليه السلام، مع مراعاة العفة والستر، والاقتداء في ذلك بأم المصائب زينب عليها السلام.

ووجدنا حين البحث عن بعض النساء قلة ما كتب عنهن، كما هو الحال في أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها مثلاً، مع أنها تستحق أن يكتب عنها وعن سيرتها

وعلاقتها بأهل البيت عليه السلام، وهذا ما يحتاج إلى تصدي أهل الخبرة في ذلك. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

### المواهش:

- (١) البخاري، ج ٢، ص ٨٥، وراجع الكافي، ج ٣، ص ٢٦٣.
- (٢) الوسائل، ج ١٤، ص ٥٠٧، الباب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه.
- (٣) الفصول المهمة أصول الأئمة، ج ٣، ص ٤١٤.
- (٤) سورة إبراهيم عليه السلام: ٢١.
- (٥) نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٢٨، خطبة ٢٣٥، قوله عليه السلام: «لأنفينا عليك ماء الشؤون» أي لأنفينا على فرافقك ماء عيوننا الجاري من شؤونه وهي منابع الدمع من الرأس.
- (٦) كمال الدين للصدوق عليه السلام، ص ٧٣.
- (٧) مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ٣٨٥.
- (٨) ثواب الأعمال للصدوق عليه السلام، ص ٨٢، كامل الزيارات، ص ٢٠٩-٢٠٨.
- (٩) مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ٣٨٦، والبحار، ج ٤٥، ص ٢٥٧.
- (١٠) البحار، ج ٤٤، ص ٢٩٢.
- (١١) البحار، ج ٤٥، ص ٥٩-٥٨.
- (١٢) الاحتجاج، ج ٢، ص ٣١.
- (١٣) الإرشاد للمفيد، ج ٢، ص ١١٦.
- (١٤) البحار، ج ٤٥، ص ١٩٨، ونفس المهموم، ص ٤٥٤.
- (١٥) مقاتل الطالبيين، ص ٥٦، والبحار، ج ٤٥، ص ٤٠.
- (١٦) منتهى الآمال، ج ١، ص ٨٢٠-٨١٧، وراجع الإرشاد للمفيد، ص ٣٦٨.
- (١٧) هذا البيت من شرح إحقاق الحق للمرعشي، ج ٢٧، ص ٤٩٢، ومنتهى الآمال للشيخ عباس القمي، ج ١، ص ٧٩٥.
- (١٨) هذا البيت من شرح إحقاق الحق للمرعشي، ج ٢٧، ص ٤٩٢، ومنتهى الآمال للشيخ عباس القمي، ج ١، ص ٧٩٥.
- (١٩) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٤، ص ٨٨.

- (٢٠) وفي بعض المصادر (جونا)، وجونا والجون كصرد جمع الجوني وهو ضرب من القطا، نوع من أنواع الطيور.
- (٢١) الكافي، ج ١، ص ٤٦٦.
- (٢٢) المحسن للبرقي، ج ٢، ص ٤٢٠، والوسائل، ج ٣، ص ٢٣٨.
- (٢٣) أمالى الشیخ الطوسي، ص ٤١.
- (٢٤) نظم درر السمحطين، للزرندی، ص ٢١٧.
- (٢٥) ينابيع المودة للقندوزی، ج ٣، ص ١٠-١٢.
- (٢٦) انظر، مقتل الحسين، لأبی مخنف الأزدي، ص ٢٣٠. وكشف الغمة للأربی، ج ٢، ص ٢٨١.  
وتاریخ الطبری، ج ٤، ص ٣٥٨، والکامل في التاریخ لابن الأثیر، ج ٤، ص ٩٠، البداية والنهاية،  
ج ٨، ص ٢١٩، وفيها وسط البيتين هذا البيت: كل أهل السماء يدعوكم \* ونبي ومرسل  
وقبیل.
- (٢٧) روى الحاكم في المستدرک، ج ٣، ص ١٧٦، عن أم الفضل في حديث: "قال (عليه السلام): «أتاني  
جرئيل (عليه الصلاة والسلام) فأخبرني أن أمي ستنقلب ابني هذا»، فقلت: هذا؟ فقال: «نعم، وأتاني  
بتربة من تربته حراء». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشیخین ولم يخرجاه" وورد  
هذا الحديث من طرقنا أيضا، راجع الإرشاد للمفید، ج ٢، ص ١٢٠، ودلائل الإمامة، ص ١٧٩.
- (٢٨) البحار، ج ٤٤، ص ٣٣١-٣٣٢.
- (٢٩) دلائل الإمامة، ص ١٨٠.
- (٣٠) سنن الترمذی، ج ٥، ص ٣٢٣، المعجم الكبير للطبرانی، ج ٢٣، ص ٣٧٣.
- (٣١) أمالى الشیخ الطوسي، ص ٩٠.
- (٣٢) مثير الأحزان لابن نا الحلی، ص ٧٥، والبحار، ج ٤٥، ص ١٢٤.
- (٣٣) روضة الوعظین، للفتال النیسابوری، ص ١٩٣، وراجع تاریخ الطبری، ج ٤، ص ٣٥٧،  
والکامل في التاریخ لابن الأثیر، ج ٤، ص ٨٨.
- (٣٤) تاریخ الطبری، ج ٤، ص ٣٥٦-٣٥٧.
- (٣٥) اللھوف في قتلی الطفوف لابن طاووس، ص ١١٥.
- (٣٦) تاریخ الطبری، ج ٤، ص ٣٥٥.



# فضة النوبية شخصية تنفست عبق الرسالة

## علي أحمد الكريباوي

نقف في هذه الوريقات المعدودة على بعض ما نقل في شأن شخصية فضة النوبية خادمة الزهراء عليها السلام، وننطلق في هذا الإلماح من خلال الأجراء التي استقبل بها بيتُ الوحي هذه الخادمة التي نالت كرامة خاصة بخدمتها لسيدة نساء العالمين عليها السلام دون بقية العبيد والإماء.

فاطمة تريد خادما

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لرجل من بنى سعد: «ألا أحدثك عني وعن فاطمة الزهراء أنها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسرت البيت حتى اغترت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى

دكت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادما يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبي ﷺ فوجدت عنده حداثا<sup>(١)</sup> فاستحيت فانصرفت، فعلم ﷺ أنها قد جاءت لحاجة، فغدا علينا ونحن في لحافنا، فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحبينا لمكاننا، ثم قال: السلام عليكم<sup>(٢)</sup> فسكتنا، ثم قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نرد عليه أن ينصرف وقد كان يفعل ذلك فيسلم ثلاثا فإن أذن له وإن انصرف، فقلنا: عليك السلام يا رسول الله ادخل، فدخل وجلس عند رؤوسنا ثم قال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟ فخشيت إن لم ينبهه أن يقوم، فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله إنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وجرت بالرحي حتى بجلت يداها، وكسرت البثت حتى اغترت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكت ثيابها فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادما يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل. قال: أفلأ علمكم ما هو خير لكم من الخادم؟ إذا أخذتما منامكم فكبرا أربعا وثلاثين تكبيرة، وسبحا ثلاثا وثلاثين تسبيحة، واحمدا ثلاثا وثلاثين تحميدة، فأخرجت فاطمة بنتها رأسها وقالت: رضيت عن الله وعن رسوله، رضيت عن الله وعن رسوله<sup>(٣)</sup>.

### طلب الخادم واستحياء الزهراء بنتها من أبيها

جاء في كتاب مناقب آل أبي طالب: "وفي الصحيحين.. وكان عند النبي ﷺ أسرى فأمرها [علي] أن تطلب من النبي خادما، فدخلت على النبي ﷺ وسلمت عليه ورجعت فقال أمير المؤمنين: «مالك»؟ قالت: «والله ما استطعت أن أكلم رسول الله من هيئته»، فانطلق علي معها إلى النبي... وعلمتها تسبيح الزهراء. كتاب الشيرازي: إنها لما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول الله ﷺ فقال: «يا فاطمة والذى بعثني بالحق إن في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام ولا ثياب ولو لا خشيق خصلة لأعطيك ما سألت، يا فاطمة إنى لا أريد أن ينفك عنك أجرك إلى

البارية، ولاني أخاف أن ينحصرك علي بن أبي طالب يوم القيمة بين يدي الله عزوجل إذا طلب حقه منك»، ثم علمها صلاة التسبيح، فقال أمير المؤمنين: «عليه مضيت تريدين من رسول الله الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة». قال أبو هريرة فلما خرج رسول الله من عنده فاطمة أنزل الله على رسوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضُنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ يعني عن قربتك وابنتك فاطمة ابتغا، يعني طلب رحمة من ربك، يعني رزقا من ربك ترجوها ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ يعني قولًا حسنة، فلما نزلت هذه الآية أنفذ رسول الله عليه وآله جارية إليها للخدمة وسمتها فضة<sup>(٤)</sup>.

### فضة النوبية

جاء في كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني: "فضة النوبية جارية فاطمة الزهراء"<sup>(٥)</sup>. وأما ابن الأثير فقد ذكر في كتابه «أسد الغابة»: "فضة النوبية جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم.." وذكر روایة نذر الصوم - الآتية - وأن فضة قالت: إن برأ سيداي صمت الله عزوجل شakra<sup>(٦)</sup>.

### فضة ومرض الحسين عليه السلام:

عن ابن عباس قال في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبْهِ مِسْكِينًا وَيَتَيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال: مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم وعادهما عامنة العرب فقالوا: يا أبا الحسن لو ندرت على ولدك ندرا فقال علي: «إن برأ ما بهما صمت الله عزوجل ثلاثة أيام شakra»، وقالت فاطمة كذلك، وقالت جارية يقال لها فضة نوبية: إن برأ سيداي صمت الله عزوجل شakra فألبس الغلامان العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فانطلق علي إلى شمعون الخبيري فاستقرض منه ثلاثة أصوات من شعير فجاء بها فوضعها فاقامت فاطمة إلى صاع فطحنته واحتبتها،

وصلى علي مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوق بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من أولاد المسلمين، أطعمني أطعمكم الله عز وجل على موائد الجنة فسمعه علي فأمرهم فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة إلى صاع وخبزته، وصلى علي مع النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم يتيم فوق بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد يتيم بالباب من أولاد المهاجرين استشهاد والدي أطعمني فأعطوه الطعام، فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة إلى الصاع الباقي فطحنته واحتبزته فصلى علي مع النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوق بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت النبوة تأسروننا وتشدوننا ولا تطعمنا أطعمنوني فإني أسير فأعطوه ومكثوا ثلاثة أيام وليلاتها لم يذوقوا إلا الماء فأتاهم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فرأى ما بهم من الجوع فأنزل الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى إِنْسَانٍ حِينٌ مِّنَ الدَّهَرِ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾<sup>(٧)</sup>.

ابن تيمية ينكر وجود فضة النوبية:

أراد ابن تيمية أن ينفي صحة هذا الخبر المتقدم وكون الآيات نازلة في أهل البيت عليهما السلام، فاضطر لتكذيب أصل الخبر من خلال نفي وجود خادمة لأهل البيت اسمها فضة، فهو يقول: "إن عليا وفاطمة لم يكن لهما جارية اسمها فضة، بل ولا لأحد من أقارب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، ولا نعرف أنه كان بالمدينة جارية اسمها فضة، ولا ذكر ذلك أحد من أهل العلم الذين ذكروا أحوالها دقها وجلها، ولكن فضة هذه بعنزة ابن عقب الذي يقال: إنه كان معلم الحسن

والحسين، وأنه أعطى تفاحة كان فيها علم الموادث المستقبلة، ونحو ذلك من الأكاذيب التي تروج على الجهل... وهكذا هذه الجارية فضة<sup>(٨)</sup>.

### الجواب على زعم ابن تيمية:

يحيب السيد الميلاني على الزعم المتقدم بما تقدم من إقرار كبار الحفاظ بوجود هذه الشخصية، حيث يقول في بحثه: "أقول: انظر إصراره على التكذيب بقلة حياء.. وهو الكاذب !! وإليك عبارة الحافظ ابن الأثير: فضة النبوية، جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم.. وعبارة الحافظ ابن حجر العسقلاني: فضة النبوية، جارية فاطمة الزهراء... ثم ذكر روایة علي عليهما السلام: إن رسول الله ﷺ أخذ فاطمة ابنته جارية اسمها فضة النبوية، وكانت تشارطها الخدمة، فعلمها رسول الله ﷺ دعاء تدعوه به"<sup>(٩)</sup>.

### وصية الرسول ﷺ بفضة ومعاملة الزهراء عليها السلام معها

يدرك ابن مردویہ في رواية: "ثم غزا رسول الله ﷺ ساحل البحر، فأصاب سبيا فقسمه، فأمسك امرأتين أحدهما شابة، والأخرى امرأة قد دخلت في السن ليست بشابة، فبعث إلى فاطمة، وأخذ بيد المرأة فوضعها في يد فاطمة وقال: «يا فاطمة، هذه لك ولا تصريها، فإني رأيتها تصلي، وإن جبريل نهاني أن أضرب المصلين»، وجعل رسول الله يوصيها بها، فلما رأت فاطمة ما يوصيها بها التفت إلى رسول الله ﷺ وقالت: «يا رسول الله علي يوم وعليها يوم»، ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء وقال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» و«ذرية بعضها من بعض والله سمِيع عَلِيم»<sup>(١٠)</sup>.

### رسول الله يعلم فضة الدعاء:

روى ابن حجر في كتابه «الإصابة»: "عن علي [عليه السلام]: «أن رسول الله صلى

الله عليه [وآله] وسلم أخدم فاطمة [عليها السلام] ابنته جارية اسمها فضة النبوة وكانت تشارطها الخدمة فعلمها رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم دعاء تدعو به فقالت لها فاطمة: أتعجنين أو تخزبن، فقالت: بل أتعجن يا سيدتي وأحتطب، فذهبت واحتطبت وبيدها حزمة وأرادت حلها فعجزت فدعت بالدعاء الذي علمها وهو: «يا واحد ليس كمثله أحد تحي كل أحد وتقني كل أحد وأنت على عرشك واحد ولا تأخذه سنة ولا نوم» فجاء أعرابي كأنه من أزدشنوة فحمل الحزمة إلى باب فاطمة»<sup>(١)</sup>.

### دعاء علي عليه السلام لفضة:

في الرواية عن أبي عبد الله الصادق عن آبائه عليهما السلام، قال: «أتى أمير المؤمنين عليه السلام منزل عائشة، فنادى: يا فضة، أتينا بشيء من ماء تووضاً به، فلم يجبه أحد، ونادى ثلثاً، فلم يجبه أحد، فولى عن الباب يريد منزل الموقفة السعيدة الحوراء الإنسية فاطمة عليه السلام، فإذا هو بهاتف يهتف ويقول: يا أبو الحسن دونك الماء تووضاً به. فإذا هو بإبريق من ذهب مملوء ماء عن يمينه، فتووضاً، ثم عاد الإبريق إلى مكانه، فلما نظر إليه رسول الله عليه السلام قال: يا علي ما هذا الماء الذي أراه يقطر كأنه الجمان؟ قال: بأبي أنت وأمي، أتيت منزل عائشة فدعوت فضة تأثيرنا بماء لل موضوعة ثلثاً فلم يجبني أحد، فوليت، فإذا أنا بهاتف يهتف وهو يقول: يا علي دونك الماء. فالتفت فإذا أنا بإبريق من ذهب مملوء ماء. فقال: يا علي تدري من الهاتف؟ ومن أين كان الإبريق؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. فقال عليه السلام: أما الهاتف فحببي جبريل عليه السلام، وأما الإبريق فمن الجنة، وأما الماء فثلث من المشرق، وثلث من المغرب، وثلث من الجنة. فهبط جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله، الله يقرئك السلام ويقول لك: أقرئ عليا السلام مني، وقل: إن فضة كانت حائضا. فقال النبي عليه السلام: منه السلام، وإليه يرد السلام، وإليه يعود طيب الكلام. ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: حبيبي علي، هذا جبريل أتنا من عند رب العالمين، وهو يقرئك السلام ويقول: إن فضة كانت حائضا. فقال علي عليه السلام: اللهم بارك لنا في فضتنا»<sup>(٢)</sup>.

## الحديث فضة مع عمر:

عن أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه، قال: «كانت لفاطمة عليها السلام جارية، يقال لها: فضة، فصارت من بعدها إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فزوجها من أبي ثعلبة الحبشي، فأولدها ابنا، ثم مات عنها أبو ثعلبة، وتزوجها من بعده سليمان الغطيفاني <sup>(١٣)</sup>، ثم توفي ابنها من أبي ثعلبة، فامتاعت من سليمان أن يقربها، فشكها إلى عمر بذلك في أيامه، فقال لها عمر: ما يشتكي منك سليمان يا فضة؟ فقالت: أنت تحكم في ذلك، وما يخفى عليك لم منعه من نفسي! قال عمر: ما أجد لك رخصة. قالت: يا أبا حفص، ذهبت بك المذاهب، إنَّ ابني من غيره مات فاردت أن أستبرئ نفسي بمحضه، فإذا أنا حضرت علمت أن ابني مات ولا أخ له. وإن كنت حاملاً كان الذي في بطني أخوه. فقال عمر: شعرة من [آل] أبي طالب أفقه من عدي <sup>(١٤)</sup>.

## فضة وحديثها بالقرآن:

نقل المحدث الشيخ عباس القمي رحمه الله في كتابه «بيت الأحزان» روایة عن أبي القاسم القشيري في كتابه، قال بعضهم: "انقطعت في الbadia عن القافلة فوجدت امرأة، فقلت لها: من أنت؟ قالت: ﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فسلمت عليها، فقلت: ما تصنعين هيئنا؟ قالت: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٌ﴾، فقلت: أمن الجن أنت أم من الإنس؟ قالت: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾، فقلت: من أين أقبلت؟ قالت: ﴿يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾، فقلت: أين تقصدin؟ قالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾، فقلت: متى انقطعت؟ قالت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَتَةِ أَيَّامٍ﴾، فقلت: أتشتهين طعاماً؟ قالت: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾، فأطعنتها. ثم قلت: هرولي وتعجلي قالت: ﴿لَا يُكَلُّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فقلت: أردفك؟ قالت: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، فنزلت فأركبتها، قالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾، فلما

أدركنا القافلة، قلت: ألك أحد فيها؟ قالت: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾، ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ﴾، ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾، فصحت بهذه الأسماء، فإذا أنا بأربعة شباب متوجهين نحوها، فقلت: من هؤلاء منك؟ قالت: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فلما أتواها، قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، فكافوني بأشياء، فقالت: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاء﴾، فرادوا علي، فسألتهم عنها؟ فقالوا هذه أمنا فضة جارية الزهراء عليها السلام، ما تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن<sup>(١٥)</sup>.

### فضة وطعام علي عليه السلام:

من كرم المرء أن يعرف الكرامة لأهلها، وهكذا كانت فضة، وهي الخادمة والأمة السوداء التي تنور قلبها بالهدى، فالروايات تحدثنا عن أمير المؤمنين عليه السلام وأنه كان مستينا بسنة النبي الأعظم عليه وآله وآله فيأكله ومشربه.. وإن مقتضى العبودية هو أن يتثل هذا العبد لأمر مولاه، وتطيع هذه الجارية سيدها في أمره ونهيه، ولكن الكرامة هو أن يستشعر قلب هذه الخادمة الرقة على سيدها وモلاها، وأن تسعى في الإحسان إليه في غير دائرة الواجبات، وهكذا كانت فضة النوبية، حيث نهاها أمير المؤمنين عليه السلام عن تطيب طعامه، فامتثلت، ثم أشفقت، ثم بادرت بالمعروف في تطيب طعامه من غير أن يعلم كما هو ظاهر بعض التقولات، وأخيراً عرفت أن التزام أمره بعد إصراره على الزهد هو أفضل الإحسان والمعروف إلى سيدها عليه السلام.

في الرواية عن الأسود بن قيس قال: "كان علي يطعم الناس بالковفة بالرحبة، فإذا فرغ أتى منزله فأكل، فقال رجل من أصحابه: قلت في نفسي: أظن أمير المؤمنين يأكل في منزله طعاماً أطيب من طعام الناس، فترك الطعام مع العامة، ومضيت معه، فقال: «أتفغديت؟»؟ قلت: لا. قال: «فانتطلق معني». فمضيت معه

إلى منزله فنادى: «يا فضة»، فجاءت خادم سوداء [كذا] فقال: «غدinya»، فجاءت بأرغفة وبجرة فيها لبن فصببها في صحفة فشردت الخبر [قال] فإذا فيه نحالة، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت بالدقيق فتخل. فبكى ثم قال: «الله ما علمت أنه كان في بيت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم منخل قط»<sup>(١)</sup>.

كانت تضع الطعام الطيب في جراب علي عليه السلام:

يقال "أن عمرو بن حرث ترصد غداء أمير المؤمنين عليه السلام فأتت فضة بجراب مختوم فأخرج منه خبزا متغيرا خشنا فقال عمرو: يا فضة لو نخلت هذا الدقيق وطيبته! قالت: كنت أفعل فنهاني، وكنت أضع في جرابه طعاما طيبا فختم جرابه"<sup>(١٧)</sup>.

نكره أن نؤجر ويأثم:

عن سعيد بن علقمة، قال: "دخلت على علي عليه السلام بالكوفة، فإذا بين يديه قعب لبن أجد ريحه من شدة حموضته، وفي يده رغيف، ترى قشار الشعير على وجهه، وهو يكسره، ويستعين أحيانا بركته، وإذا جاريته فضة قائمة على رأسه، فقلت: يا فضة، أما تتقون الله في هذا الشيخ! ألا نخلتم دقيقه؟ قالت: إنا نكره أن نؤجر ويأثم، نحن قد أخذ علينا ألا ننخل له دقيقا ما صحبناه"<sup>(١٨)</sup>.

كرامة لحفيدة فضة:

ليس من بعيد أن تثال فضة لخدمتها لأهل بيت النبي عليه السلام كرامة ورعاية خاصة، وأن تحظى حفيتها برعاية ربانية كرامات لجدها فضة، ففضة هي التي عاشت آلام الرسالة بما للكلمة من معنى، حيث شاركت في النذر والصوم والجماع، ولا زلت مع آل النبي عليه السلام إلى أن تشرفت بخدمتهم في أشد المصائب على قلوبهم وهي مصيبة كربلاء.

وَمَا يَرُوِيُّ فِي كِرَامَةِ حَفِيدَتِهَا، مَا رَوَاهُ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ قَالَ: "رَأَيْتُ فِي مَوْدِعِ  
الْحَجَّ امْرَأَ ضَعِيفَةً عَلَى دَابَّةِ نَحِيفَةٍ وَالنَّاسُ يَنْصُونَهَا لِتُنْكَسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَنَا  
البَادِيَةُ كَلَّتْ دَابَّتِهَا فَعَذَلَتِهَا فِي إِتِيَانِهَا فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ: لَا فِي بَيْتِي  
تَرْكَتِنِي وَلَا إِلَى بَيْتِكَ حَمَلْتِنِي فَوَعَزْتُكَ وَجَلَّلْتُكَ لَوْ فَعَلْتِ بِي هَذَا غَيْرُكَ لَا شَكُوتَهُ  
إِلَّا إِلَيْكَ، فَإِذَا شَخْصٌ أَتَاهَا مِنَ الْفَيْفَاءِ وَفِي يَدِهِ زَمامُ نَاقَةٍ فَقَالَ لَهَا: ارْكِبِي فَرَكَبَتْ  
وَسَارَتِ النَّاقَةُ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، فَلَمَّا بَلَغَتِ الْمَطَافَ رَأَيْتُهَا تَطُوفُ فَحَلَفَتِهَا مِنْ  
أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا شَهْرَةُ بْنَتِ مَسْكَةَ بْنَتِ فَضْلَةِ خَادِمَةِ الزَّهْرَاءِ"<sup>(١٩)</sup>.

### فهرسة إجمالية لمآثر فضة النبوية

ورد في كتاب مستدرك سفيينة البحار ما يشير إلى هذه المآثر لفضة النبوية بنحو الإجمال: "مدح فضة جارية فاطمة الزهراء عليها السلام في تصدقها على المسكين واليتيم والأسير مع أهل بيته، ونزول هل أتى فيهم وهي معهم. رواية البرسي أن فضة كانت بنت ملك الهند، وكانت عندها ذخيرة من الإكسير، فصنعت النحاس سبيكة ذهب لأمير المؤمنين عليه السلام، فأرهاه أمير المؤمنين كنوز الأرض. في أنها هي ما تكلمت عشرين سنة إلا بالقرآن، منها: قصتها في السفر وتتكلمها بآيات القرآن. رواية ورقة بن عبد الله عن فضة كيفية وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام. وفيها قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: فلما همت أن أعقد الرداء ناديت: يا أم كلثوم، يا زينب، يا سكينة، يا فضة، يا حسن، يا حسين، هلموا تزودوا من أمكم - إلخ. قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أخذت علي فاطمة صلوات الله عليها عهد الله ورسوله إنها إذا توفت لا أعلم أحدا إلا أم سلمة زوج رسول الله عليه السلام وأم أيمن وفضة، ومن الرجال ابنيها - إلخ. خبر فضة والأسد في كربلاء. جلاة شهرة بنت مسكة بنت فضة وطوافها وقصتها الدالة على كمالها

وفضلها. القضايا الراجعة في تزويج فضة الخادمة وأولادها في البحار. جملة من قضاياها مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ ونخلها دقيقه، ومنعه إياها عن ذلك<sup>(٢٠)</sup>.

ويكفيها فخراً أن تكون خادمة لفاطمة الزهراء عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ تجلس معها في بيت واحد، وتنتظر إليها كل غدوة وعشية، ويكفيها أن يجعلها أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ في قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ لما أراد تكفين الزهراء عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ: «يا فلان يا فلان.. يا فضة.. هلموا تزودوا من أمكم».

### موقع قبر فضة خادمة الزهراء عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ

وأما موقع قبرها فقيل أنه في دمشق، يقول الحموي في معجمه: "وفي قبلي دمشق قبر يزعمون أنه قبر أم عاتكة أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعنده قبر يرون أنه قبر صهيب الرومي وأخيه، والماثور أن صهيباً بالمدينة، وأيضاً بها مشهد التاريخ في قبره قبلة قبر مسقوف بنصفين وله خبر مع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وفي قبلي الباب الصغير قبر بلال بن حمامه وكعب الأحبار وثلاث من أزواج النبي، صلى الله عليه [والله] وسلم، وقبر فضة جارية فاطمة"<sup>(٢١)</sup>. والحمد لله رب العالمين.

### المواهش:

(١) أي جماعة يتحدثون وهو جمع على غير قياس (النهاية).

(٢) هذا سلام الاستيدان، ووجوب الرد فيه لم يثبت، بل عدمه مشهور لأن صاحب البيت مخير. والواجب رد سلام التحية (المعلق على الكتاب على أكبر الغفارى).

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدق، ج ١، ص ٣٢٠، ح ٩٤٧.

(٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ١٢٠.

(٥) الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٨، ص ٢٨١.

(٦) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٣٠ - ٥٣١.

- (٧) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٣٠ - ٥٣١، وفي رواية الاحتجاج: فانطلق علي رضي الله عنه إلى رجل من اليهود يقال له: (شمعون بن حابا) فقال له: «هل تؤتيني جزء من صوف تغزها لك بنت محمد عليهما السلام بثلاثة أصوات من شعير» قال: نعم فأعطاه... فلما أن كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم، أخذ علي بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين رضي الله عنهم، وأقبل نحوهم رسول الله عليهما السلام وهو ما يرتعش كالفرخ من شدة الجوع، فلما أبصرهم صلى الله عليه وآله انطلق إلى ابنته فاطمة رضي الله عنها فانطلقوا إليها وهي في محابتها تصلّي وقد لصق بطنهما بظهرها من شدة الجوع، وغارت عيناهَا - فلما رأها رسول الله عليهما السلام قال: «واغوثاه أهل بيته محمد يمدون جوعاً» فهبط جبريل عليه السلام فأقرأه: ﴿هَلْ أَتَىٰ إِلَيْنَا هُنَّ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ إلى آخر السورة. (الاحتجاج، الطبرسي، ج ١، ص ١٦٥).
- (٨) مجلة تراثنا، ج ٤٩، ص ٥١، نقلًا عن منهاج السنة.
- (٩) مجلة تراثنا، ج ٤٩، ص ٥١ - ٥٢.
- (١٠) مناقب علي بن أبي طالب، ابن مردويه، ص ٢٠٠ - ٢٠١.
- (١١) الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٨، ص ٢٨١ - ٢٨٢.
- (١٢) الشاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، ص ٢٨٠ - ٢٨١.
- (١٣) وفي بحار الأنوار أبو مليك الغطفاني.
- (١٤) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج ٢، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.
- (١٥) بيت الأحزان، الشيخ عباس القمي، ص ٤٨ - ٤٩.
- (١٦) أنساب الأشراف، البلاذري، ص ١٨٧.
- (١٧) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١، ص ٣٦٧.
- (١٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٣٩٨.
- (١٩) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ١١٧.
- (٢٠) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي، ج ٨، ص ٢١٢ - ٢١٣.
- (٢١) معجم البلدان، الحموي، ج ٢، ص ٤٦٨.



# المنهج الصحيح في قراءة الثورة الحسينية

## محمد علي عيسى قاسم

### المقدمة

ربما تكون قراءة التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص قراءة علمية محايده من أعقد الأمور وأعضل المعضلات التي تواجه الباحث الذي يرجو الحقيقة ويطلب الواقع، فليس من شك وشبهة عند المطلع على التاريخ فضلا عن المتخصص في شؤونه، أن التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص قد لوثته الأيدي المأجورة وتلاعبت فيه إلى أبعد الحدود وفق ما تقتضيه مصالحها الشخصية وما قلية عليها السلاطين والجبابرة.

فكم من حادثة تاريخية بشعة حولتها تلك الأقلام بين يدي القارئ إلى واحدة من أبهى صور التاريخ، طلباً لرضا سلطان أو دفاعاً عن مذهب وعقيدة.. وفي الجانب الآخر كم من حادثة تاريخية جميلة تستحق المدح والثناء اقتضى هو تلك الأقلام السياسية أو المذهبية تغييبها أو تشويهها تغليباً لمذهب أو تشويهاً آخر. إن هذه الظاهرة غير الصحيحة تدعوا الباحثين وطلاب الحقيقة للبحث عن أفضل السبل والطرق العلمية التي توصل الباحث إلى أفضل النتائج وأقربها إلى الواقع. من هنا تكمن أهمية دراسة المناهج التي يتبعها الباحثون على اختلاف مذاهبهم ومساربهم الفكرية والعقدية، وترجيح المنهج الأفضل والأرجح منها بعيداً عن التعصب والمصالح الفئوية الضيقة.

ولما كانت الثورة الحسينية المباركة هي الثورة الأبرز والأكثر تأثيراً على جميع المستويات نسبة إلى باقي ثورات الأمم والقادة التي طالعنا بها التاريخ، كانت الثورة الحسينية محط نظر الكثير من الباحثين والنقاد، حيث تناولتها أيديهم بكثير من النقد والتحليل والإسهاب، فنشأت عندنا لذلك آراء عديدة وكثيرة، إلا أن العجيب فيها أنها جاءت متضاربة ومتضادة، فمنها ما شرّق ومنها ما غرب. في خضم كل تلك الآراء يأتي السؤال المهم: ما هو المنهج الصحيح لقراءة الثورة الحسينية؟ والذي يمكن لنا من خلاله أن نغيّز بشكل سليم واضح ما هو الغث من السموم من تلك الآراء المتضاربة.

وقد تطرقتْ بداية في هذا البحث المختصر عن الأهمية التي تكتنلها الحقائق التاريخية للأمم والشعوب، ثم عرضت بعض المنطقات التي اُتخذت في قراءة التاريخ والمناهج المتبعة في ذلك، ثم عرجت بالكلام على المنهج المختار في قراءة الثورة الحسينية حيث عرضت منهجين أساسيين مهمين وهما: المنهج الموضوعي والمنهج الإسقاطي، وحاولت بما تيسّر تحليلهما ونقدهما وترجح المنهج الأصوب

منهما، ثم حاولت بعدها استقصاء بعض النماذج والتطبيقات العملية على تلك المناهج.

### الأهمية التي تمثلها الحقائق التاريخية

لا شك في أهمية الحقائق التاريخية من الموضوعات المهمة والحساسة التي تعتمد عليها الشعوب والأمم والتي ترتكز عليها لشق طريقها نحو تطورها وبناءها الحضاري المتين استلهاماً من جذورها من ذلك الماضي بكل ما يحمل في طياته من مفاحر ومثالب، ل تستخلص منه الدروس وال عبر.

إن وقوف كل أمة على تاريخها يمثل لها طوق نجاً يجنبها الكثير من المزالق والمخاطر والأخطاء السابقة، ويختصر لها الطريق من خلال ما يقدمه لها من تجارب الماضي، وما قتله تلك التجارب من دروس يمكن معها وضع اليد على مكانة القوة لتعزيزها، ومكامن الضعف لتلافيتها.

في المقابل فيما لو زهدت أيّ أمةٍ عن تاريخها و الماضيها وحاولت أن تبني مجدها من حاضرها، وتنطلق من حيث هي بدأت متخلية عن كل ما ورثته من تجارب السابقين، فإنها بذلك ستفتقد أصولتها وتقطع نفسها عن جذورها المتصلة في أعماق التاريخ، وليس ذلك إلا كمن يبحث عن حتفه بظلفه.

إن الوقوف على النصوص التاريخية وتحليلها، واستخلاص أسباب الحادثة التاريخية وخلفياتها وأسرارها، ودراسة الظروف المحيطة بها حتى الوصول إلى الصورة الحقيقية للحادثة أو ما يقاربها يمثل أهمية كبيرة للمجتمعات والشعوب في حاضرها ومستقبلها، حيث أنه يقدم لتلك الشعوب والمجتمعات عصارة تجربة مديدة من الزمن ويختصر لها آلاف السنوات بما تحمله من مصاعب ومتاعب في ضمن عدة سطور، ل تستفيد منها الأجيال المتعاقبة فتبني عليها أمجادها مرتكزة على ماضيها الأصيل.

## تعدد المنطلقات القارئة للتاريخ

عندما نجول بنظرنا في الكتب والكتابات المرتبطة بالتاريخ، ونتعمق فيها وفي ما تحتويه من معاني ومضمونين، نلاحظ بوضوح وجود قراءات مختلفة ومتعددة تتعدد بحسب تلك الحوادث التاريخية المختلفة، ولا ضير في ذلك، إلا أن الغريب أن نجد صوراً وقراءات ونقولات تاريخية متضاربة ومتناقضة للحادثة التاريخية الواحدة، ولا تundo تلك الغرابة البرهنة حتى تتبع وتتنفس عندما نقف على حقيقة ذلك التضارب، وعلى السر الكامن وراء تلون تلك القراءات وتضاربها بعدد ألوان الطيف.

إن التاريخ كأي شيء آخر كان حصيلة تقلبات وأدوار مختلفة من الحياة، فهو كغيره كان ولا يزال خاضعاً لبعض المؤثرات النفسية المريضة والمصالح الشخصية والسياسية المختلفة.

إن الوقوف على الدوافع والمنطلقات الحقيقية القارئة والمكونة للتاريخ يسهل علينا الطريق ويختصر إلينا المسافة كثيراً، فإن الانقسامات المذهبية والاختلافات الفكرية والنظرية قد ساهمت كثيراً في كتابة التاريخ وصياغته، وكان لها اليد الطولى والأولى في تلوينه بألوان مختلفة ومتعددة بعدد تلك الانقسامات والاختلافات. فكل اتجاه مذهبي أو طائفي جبّر التاريخ وأبرزه على ضوء اتجاهه وغايته، وهذا ما ساعد كثيراً التيارات والاتجاهات المادية وغيرها على إسقاط نظريتهم المادية على التاريخ الإسلامي، ولذلك نرى كثيراً من الكتابات التاريخية المرتبطة بالتاريخ الإسلامي قد صيغت على هدي النظرية المادية، وعلى وفق ميزان الربح والخسارة المادييين!!

إلا أن ذلك كله لا يمنع من وجود بعض الكتابات التي حاولت أن تقرأ التاريخ وتدرسه بشكل متجرد عن الميول والنزاعات والأهواء والقصد المسبق،

والتي كان هدفها الوحيد والأخير الوقوف على الحقائق التاريخية الثابتة وتقليلها ودراستها وتحليلها للخروج بأصوب النتائج وأفضلها.

### المنهج الموضوعي والمنهج الإسقاطي

من خلال وقوفنا على ما تقدم عند الكلام عن -تعدد المنطلقات القارئة للتاريخ - يمكن لنا أن نقتصر من ذلك منهجين اثنين في كتابة التاريخ وفهمه ودراسته وتحليله، كل واحد منها له خصوصياته ومميزاته التي تفرقه وتقىّيه عن الآخر، أحدهما يمكن لنا أن نطلق عليه المنهج الموضوعي والآخر المنهج الإسقاطي. ولكي يتضح مقصودنا من هذين منهجين أكثر، يمكن لنا أن نبينهما تباعاً بالشكل التالي:

#### أولاً: المنهج الموضوعي:

يمكن لنا القول إن المنهج الموضوعي هو ذلك المنهج الذي يعتمد على إدراك الشيء أو الحادثة أو الواقعة على ما هي عليه، متجرداً عن كل ما يكون حائلاً بينه وبين إدراك الصورة الحقيقة الثابتة من أهواء ومصالح ومحاذبات ومكاسب شخصية، بحيث يكون مطلبه الوحيد الوقوف على الحقيقة، وهو يعتمد في أحکامه ونتائجها طريق التحليل والإدراك العقلي.

#### ثانياً: المنهج الإسقاطي:

أما المنهج الإسقاطي فيمكن لنا بيانه وتوضيحه بأنه ذلك المنهج الذي يعتمد في فهمه للحوادث والقضايا والواقع على مسبقات تتمثل في حقيقتها مذهبة أو عقيدته أو اتجاهه السياسي أو الفكري بحيث يسقطها على الواقعه ليفسرها بحسب ما تقتضيه تلك المسبقات، فتفسير الواقعه والحكم عليها على طبق هذا المنهج بالنفي أو الإثبات، بالسلب أو الإيجاب، بالرفض أو القبول خاضع لتلك المسبقات

ومقتضياتها.

### المنهج<sup>(١)</sup> المختار في قراءة الثورة الحسينية

بعد الفراغ من المسّلمة التاريخية القاضية بأنّ الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ قد خرج في أيام حكم يزيد وسلطانه، وأنه قد قام بثورة وبنهضة قد قلّ - بل انعدم - نظيرها في تواريخ الأمم والشخصيات والقادة، وبعد الفراغ من وقوع هذه النهضة على أرض الواقع في زمنها وفي ظرفها الخاص، وبعد التسلیم بأنّ هذه النهضة قد وقعت محظوظاً الكثیر من الباحثين والمفكرين والنقاد على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم الفكرية والمذهبية، فقد تناولتها أيدیهم بالتحليل والدراسة والنقد بشكل تفصيلي مسهب، ولذلك فقد نشأت آراء عديدة وكثيرة فيما يرتبط بهذه النهضة المباركة، ولملفت أنها جاءت متضاربة ومتضادة، فمنها ما شرق، ومنها ما غرب.

إن تحليل أي واقعة قضية قد تلبست بلباس الواقع -والكلام هنا في خصوص ما إذا كانت تلك الواقعة مرتبطة بشخصية قيادية قد اختلف فيها من ناحية عقائدية، بحيث تكون شبهة العصمة مترسخة فيها- لا بد وأن يكون راجعاً إلى منطلق وأساس، والتحليل إنما يختلف باختلاف ذلك المنطلق، فإن كان التحليل مبنياً على المنهج الإسقاطي، بحيث يحاكم ما وقع في الخارج على ضوء عقيدة متبناة في تلك الشخصية، دلّ ذلك على أن المنطلق في التحليل إنما هو في أساسه عقيدة قد أسقطت على الواقعة الخارجية، فتصحح تلك الواقعة أو تخطئها وفقاً لمعطيات تلك العقيدة.

وإن كان التحليل موضوعياً، دلّ ذلك على أن منطلقه لم يكن متأثراً بعقيدة ما، بغض النظر عن وجودها فعلاً أو عدم وجودها، بل إن الباحث بالتحليل الموضوعي لاحظ الواقعة الخارجية في نفسها، مجرداً نفسه عن أية مؤثرات خارجية، بما فيها تأثيرات العقيدة والمتبنى الفكري والسياسي المسبق.

بين هذين المنهجين نسأل هذا السؤال المهم: أي هذين المنهجين هو الأقرب لتحصيل تحليل صحيح مطابق للواقع؟ وأي هذين المنهجين يمكن له أن يضمن لنا فهماً صحيحاً وشاملاً لهذه الثورة المباركة؟ هل هو المنهج الموضوعي؟ أم المنهج الإسقاطي؟

في معرض الإجابة عن هذه التساؤلات المهمة، يمكن لنا أن نتعرض لكلا المنهجين ونضعهما على طاولة التحليل والنقد العلمي لنرى مدى صلاحيتهما وجدوايتهم لتحليل مثل هكذا قضايا ارتبطت وتلبيست بشخصية ترسخت فيها شبهة العصمة، ثم بعد ذلك نستطيع الحكم عليهم وترجح أحدهما على الآخر.

### أولاً: المنهج الموضوعي في قراءة الثورة الحسينية

إنّ المنهج الموضوعي في تحليل هكذا واقعة يعني اعتماد الباحث اعتماداً تاماً على عقله في الخلوص إلى النتائج، بحيث يتجرد عن كل المعتقدات والنزاعات والأهواء والقناعات المسبقة فينظر إلى الواقعة بما هي هي، ويبحث في أسباب نشأتها، وفي مبدئها وشعاراتها، وفي مدى فعليّة تطبيق ذلك المبدأ أو ذلك الشعار على أرض الواقع، ويبحث في هدفها، وفي مدى فعليّة تحقيق ذلك الهدف، وما إلى ذلك، كل ذلك اعتماداً على عقله ومنطقه.

#### محاكمة المنهج الموضوعي:

يمكن لنا أن نلاحظ على هذا المنهج ملاحظات أربعة أساسية لا يمكن بحال إغفالها أو غض النظر عنها، خصوصاً مع الالتفات إلى خصوصية هذه الثورة المباركة وأنّها ثورة ربانية مرتبطة بالسماء:

#### الملاحظة الأولى:

إن عقل الإنسان مهما بلغ من النبوغ والفتنة والذكاء، إلا أنه يبقى في نهاية

الأمر عقلاً قاصراً، فمن الممكن ببساطة أن تغيب عنه أصغر الحيثيات المهمة، والتي لها دخلة مهمة و مباشرة في تغيير اتجاه بوصلة التحليل إلى الإيجاب أو السلب، ولما كان الأمر كذلك، فإننا لا نستطيع أن نعتمد على المنهج الموضوعي في كثير من القضايا والواقع، خصوصاً تلك التي يكون محورها شخص فيه شبهة العصمة، حيث أن هذا المنهج يكون قاصراً حينئذٍ عن تقييم أفعال المعصوم لو ثبتت عصمه.

### الملاحظة الثانية:

إننا باتخاذنا هذا المنهج، مع إغفالنا الجانب العقدي في الشخصية المدبرة لأحداث الواقع، من الممكن أن نقع في اشتباكات راجعة إلى الوصول إلى بعض النتائج المنافية لتلك العقيدة المبنية على أساس الدليل والبرهان القطعي الثابت، والكلام في المعصوم ليس كالكلام في أحد غيره، وهذا من شأنه أن يهزّ الإنسان في عقيدته الصحيحة اعتماداً على شبّهات قد أنتجها عقله القاصر.

### الملاحظة الثالثة:

إن هذا المنهج التحليلي قد يطيل علينا الطريق من دون الحاجة إلى هذه الإطالة، فإن الإنسان لو فرغ بالأدلة القاطعة من عقيدته في الشخصية مدار البحث، سوف يتوصل إلى النتيجة بكل سهولة ويسر، وسوف يضمن عدم خطئها إذا ما كانت أدالته في عقيدته قطعية غير قابلة للخطأ، فإن أدالته إذا أوصلته إلى نتيجة عصمة تلك الشخصية، فلا حاجة للبحث حينئذ عن صحة ما قامت به أو عدمه، وإنما يقتصر بحثه وتحليله على الركائز والمتبنias التي اعتمدت بها تلك الشخصية المعصومة في فعلها للأخذ بها والاستفادة منها، وإن جرّته الأدلة القاطعة في عقيدته المتعلقة بتلك الشخصية إلى القول بعدم العصمة، فإن ذلك يفسح له المجال كثيراً للتحليل والدراسة والنقد على وفق ما خلص إليه من الناحية

العقائدية.

#### الملاحظة الرابعة:

إن هذا المنهج يدعو إلى التخلّي التام عن كل مسبقٍ من المسبقات بما في ذلك الدين والعقيدة، بأن يكون هذا التخلّي حتى في مقام البحث عن قضية مؤطرة بإطار ديني، وهذا كلام لا يمكن الأخذ به في المقام، فماذا يبقى للإنسان بعد هذا؟ وإلامَ يتحاكم؟ وما هو معيار الحكم إذا جُردَ الإنسان حتى من معتقده الذي يمثل له الرؤية الكونية العامة في الحياة؟.

إلا أنَّ المجدير بالذكر أننا وإن نقدنا المنهج الموضوعي -بالنسبة إلى القضايا المرتبطة بالمعصوم- وقلنا بعدم صلاحيته لقراءة مثل هكذا قضايا، إلا أنَّ ذلك لا يعني تخطيئته بالكامل بحيث تكون نتائجه دائمًا مجانية للصواب ومخالفة للواقع، بل يمكننا القول إن المنهج الموضوعي في كثير من الأحيان تكون نتائجه أقرب للواقع من تلك النتائج التي تُستخلصُ من بعض أقسام المنهج الإسقاطي<sup>(۲)</sup> كما سيأتي توضيحه إن شاء الله تعالى، هذا ولا يعني ذلك أيضًا عدم صلاحيته في كثير من الأحيان طريقاً للوصول إلى الحقيقة، كما لو كانت الحادثة -مثلاً- مرتبطة بأمر لا يمت بالمعصوم بصلة، بأن تكون الحادثة قضية تاريخية عامة ترتبط بتاريخ الأمم والشعوب، ولا نعدو الصواب من القول حينئذٍ إن قلنا بأن المنهج الموضوعي هو المنهج المختار والصحيح لقراءة مثل هكذا قضايا تاريخية عامة.

#### ثانياً: المنهج الإسقاطي في قراءة الثورة الحسينية

إن المنهج الإسقاطي في قراءة مثل هكذا واقعة يعني اعتماد الباحث في قراءته وتحليله للحادثة على فكرة عقائدية مسبقة -مثلاً- ينطلق منها ليحاكم تفاصيل الواقع وأحداثها وما دار فيها بشكل سلبي أو إيجابي على وفق تلك الفكرة،

والمنطلق في ذلك يتلون ويتشكل بحسب خلفية الباحث أو القارئ الدينية أو المذهبية أو السياسية أو غير ذلك.

### محاكمة المنهج الإسقاطي:

يمكن لنا أن نأخذ على هذا المنهج مؤخذات وملحوظات عديدة، نذكر منها ثلات بإيجاز:

#### الملاحظة الأولى:

تكمن خطورة الاعتماد على هذا المنهج في قراءة ثورة كالثورة الحسينية حيث يكون مدار البحث فيها شخصية معصومة، أن الخلفية التي يُنطلقُ منها إذا كانت عقيدة فاسدة أو اتجاه مضاد، تكون النتائج التي يُتوصلُ إليها من خلال هذا المنهج خاطئة ومشككة في فعل المعصوم لا محالة، فإن من المسلم والواضح أن المقدمات الفاسدة لا تورث إلا نتائج فاسدة مثلها.

#### الملاحظة الثانية:

إن الأخذ بهذا المنهج يعني أخذ الباحث من الحقيقة والواقع خصوصاً ما يتلائم مع أفكاره وميوله -والتي تطغى عليها نزعاته الذاتية غالباً- وترك ما يتعارض مع أفكاره وميوله وإن كان ثابتاً صحيحاً، وهو ما يؤدي إلى تشويه الحقيقة وتغييبها وقولبها بقوالب خلافاً للواقع والحقيقة في كثير من الأحيان، وهذا ما يؤدي كثيراً إلى فقد الحيادية والإنصاف في مقام البحث والتحليل.

#### الملاحظة الثالثة:

إن أكثر المغالطات والتشويهات للحقائق والواقع التي حصلت في الكتابات والكتب التاريخية كانت من نتاج هذا المنهج، حيث أن أكثر المتعصبين والمنحرفين اتخذوا هذا المنهج سبيلاً لإسقاط عقائدهم وتوجهاتهم السياسية أو الفكرية على

التاريخ، بغية صبغ التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص بما يعكس صحة معتقدهم أو توجههم ومتبناهم.

والنتيجة أننا نقول: أن المنهج المختار في قراءة الثورة الحسينية رغم ما تقدم هو المنهج الإسقاطي لا الموضوعي، إلا أننا في الوقت نفسه نُفصل ونناقش في تلك العقيدة التي يراد إسقاطها على الثورة الحسينية لقراءتها، فنقول إذا كانت العقيدة المتبناة عقيدة صحيحة مستندة إلى أدلة قطعية غير قابلة للخطأ والاشتباه، بحيث توصل الباحث إلى عصمة الشخصية مدار البحث، فإن هذا المنهج سيأتي بنتائج مثمرة وصحيحة من سخن تلك العقيدة، على أن يخضع البحث للوسائل العلمية والتحقيقية السليمة.

أما إذا كانت العقيدة المتبناة عقيدة فاسدة مستندة إلى أدلة هزلية وخاطئة، فإن هذا المنهج سيأتي بنتائج عكسية مجانبة للصواب والواقع لا محالة.

### نماذج وتطبيقات على المنهجين:

بعد أن انتهينا من ذكر المنهجين لقراءة الثورة الحسينية، وبعد ذكر الملاحظات التي يمكن أن تورد عليها في المقام، سنحاول بإذن الله أن نذكر نماذج تطبيقية عملية لها وتعلق عليها بما يناسب المقام فيما إذا اقتضى الحال:

### المنهج الموضوعي:

عندما فرُّ على الكتابات التاريخية التي حاولت قراءة الثورة الحسينية، فإننا لا محالة سنجد بعض من تناول هذه الثورة المباركة كتابة وتحليلًا تناولها منخلفية موضوعية، إذ أن كل المؤشرات المتاحة لا تدل بحال على أن تلك الكتابات كانت وليدة لعقيدة سواء كانت مخالفة أو موافقة.

وسنورد هنا تباعًا بعض النماذج لهذا المنهج:

### النموذج الأول:

يقول المستشرق الفرنسي هنري ماسيه في كتاب الإسلام: "في نهاية الأيام العشرة من شهر محرم طلب الجيش الأموي من الحسين بن علي أن يستسلم، لكنه لم يستجب، واستطاع رجال يزيد الأربعة آلاف أن يقضوا على الجماعة الصغيرة، وسقط الحسين مصاباً بعدة ضربات، وكان لذلك نتائج لا تحصى من الناحيتين السياسية والدينية.." .<sup>(٣)</sup>

### النموذج الثاني:

يقول الكاتب المسيحي أنطوان بارا: " وهي - أي ثورة الحسين - قضية الأحرار تحت أي عنوان انضموا، وخلف أية عقيدة ساروا" .<sup>(٤)</sup>

### النموذج الثالث:

قال المستشرق الألماني يوليوس فلهاؤزن في كتاب نهضة الدول العربية: " بالرغم من القضاء على ثورة الحسين عسكرياً، فإن لاستشهاده معنىًّا كبيراً في مثاليته، وأثراً فعالاً في استدرار عطف كثير من المسلمين على آل البيت" .<sup>(٥)</sup>

### النموذج الرابع:

يقول غاندي زعيم الهند ومحررها: "لقد طالعت بدقة حياة الإمام الحسين، شهيد الإسلام الكبير، ودقت النظر في صفحات كربلاء واتضح لي أن الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلا بد لها من افتقاء سيرة الحسين". ويقول: "تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر" .<sup>(٦)</sup>

### النموذج الخامس:

يقول محمود عباس العقاد: "مثل للناس في حلة من النور تخشع لها الأ بصار،



وباء بالفخر مثله في توارييخ بني الإنسان، غير مستثنى منهم عربي ولا عجمي، وقد تم وحديث، فليس في العالم أسرة أنجبت من الشهداء من أنجبتهم أسرة الحسين عدّة وقدرة، وحسبه أنه وحده في تاريخ هذه الدنيا الشهيد ابن الشهيد أبو الشهداء في مئات السنين<sup>(٧)</sup>.

### المنهج الإسقاطي:

إن المتبع لما دون وكتب في الثورة الحسينية سيجد بوضوح أن أكثر الكتابات والتحليلات كانت وليدة العقيدة أو كانت وليدة خلفية سياسية أو حزبية، قد أسقطت على الثورة الحسينية، خلافاً في ذلك بين الفهم الحاصل لشخصية الحسين عليه السلام كشخصية معصومة ممزوجة عن الخطأ، أو كشخصية من الممكن أن تخطئ، مما أنتج لنا الكثير من اللغط والاشتباه في التحليل، ولذلك سنورد بعض النماذج التي تبين مدى الاشتباх الكبير الذي وقع فيه البعض نتيجة لاعتقاده الخاطئ في فهم شخصية الحسين عليه السلام أو نتيجة لمرتكزه المادي الذي أسقطه على ثورة إلهية كثورة الحسين عليه السلام أو لثبت سريرة منه أو تحامل تجاه هذه الشخصية العظيمة الفذة، وسنبدأ أولاً بذكر نماذج صدرت من علماء العامة من داخل النطاق الإسلامي، ثم سنردفها بنماذج صدرت من بعض المستشرقين من خارج النطاق الإسلامي:

### نماذج من النطاق الإسلامي:

#### النموذج الأول:

ما قاله ابن خلدون في تاريخه المعروف بتاريخ ابن خلدون، فقد أخذه معتقده الفاسد في الحسين عليه السلام إلى اعتباره مجتهداً كبقية المجتهدين يخطأ في التشخيص كما يخطأ غيره، ولذلك أسرف كثيراً في تغليطه عليه السلام بقوله: "رأى الحسين أن الغروب

على يزيد متعين من أجل فسقه لا سيما من له القدرة على ذلك وظنها من نفسه بأهليته وشوكته. فأما الأهلية فكانت كما ظن وزيادة. وأما الشوكة فقلط يرحمه الله.. ثم يرد قائلاً: "... فقد تبّين لك غلط الحسين إلا أنه في أمر دنيوي لا يضره الغلط فيه. وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لأنه منوط بظنه وكان ظنه القدرة على ذلك. ولقد عذله ابن العباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية أخوه وغيره في مسيرة إلى الكوفة وعلموا غلطه في ذلك ولم يرجع عما هو" ثم يقول:

"... ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعلمه أنه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد منه. الخروج على يزيد وإن كان فاسقاً لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدماء فأقصروا عن ذلك ولم يتبعوا الحسين ولا أنكروا عليه ولا آثموه لأنه مجتهد وهو أسوة المجتهدین".

ثم يقول: "ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأثير هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره فإنهم أكثر الصحابة كانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه..... لا يذهب بك الغلط أن تقول بتصويب قتلها ما كان عن اجتهاد وإن كان هو على اجتهاد!!!"<sup>(٨)</sup>.

وقد تبين الحال بوضوح من خلال هذا النص القصير أن معتقد ابن خلدون الفاسد في الحسين عليه السلام قد جرّه إلى مثل هذا التمادي الكبير باعتبار من وصفه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه إمام قام أو قعد مجتهداً أسوة المجتهدین!!، وقد أخذه ذلك إلى الإسراف في تغليط الحسين عليه السلام، ولذلك فقد جانب الصواب بوضوح وتحض في الخطأ في أكثر من مورد، حيث يقول:

١. "وَأَمَّا الشُّوكَةُ فَفِلْطٌ يَرْحَمُهُ اللَّهُ"!!.
٢. "فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ غَلْطُ الْحَسِينِ إِلَّا أَنَّهُ فِي أَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ لَا يَضُرُّهُ الغَلْطُ فِيهِ"!!.
٣. "وَعَلِمُوا غَلْطَهُ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعُ عَمَّا هُوَ"!!.
٤. "لَعِمَهُ أَنَّهُ عَنْ اجْتِهَادٍ مِّنْهُمْ كَمَا كَانَ فَلْطُهُ عَنْ اجْتِهَادٍ مِّنْهُ"!!.
٥. "لَأَنَّهُ مجْتَهِدٌ وَهُوَ أَسْوَهُ الْمُجْتَهِدِينَ"!!.
٦. "وَلَا يَذَهِبُ بِكَ الْفِلْطُ أَنْ تَقُولَ بِثَانِيْمِ هُوَلَاءَ بِمُخَالَفَةِ الْحَسِينِ وَقُعُودِهِمْ عَنْ نَصْرِهِ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ وَكَانُوا مَعَ يَزِيدَ وَلَمْ يَرَوْا الْخُرُوجَ عَلَيْهِ"!!

### النموذج الثاني:

ما قاله ابن تيمية شيخ الإسلام الأموي في كتابه منهاج السنة النبوية: "هذا رأي فاسد، فإن مفسدته أعظم من مصلحته، وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير"<sup>(٩)</sup> !!

فإن الحسين عليه السلام قد أخطأ التشخيص في نظره بالخروج على يزيد، فإن يزيداً وإن كان فاسقاً إلا أنه ذو سلطان، فالخروج على مثله غير جائز<sup>(١٠)</sup> !!

ويقول في موضع آخر: "ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله عليه السلام حتى قتلوا مظلوماً شهيداً وكان في خروجه وقتلته من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بلده، فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء بل زاد الشر بخروجه وقتلته ونقص"<sup>(١١)</sup>.

وقد وضع العقاد أصعبه على الحقيقة عندما قال: "إن القول بصواب الحسين معناه القول ببطلان تلك الدولة.. والتماس العذر للحسين معناه إلقاء الذنب على يزيد، وليس بخاف كيف ينسى الحياة وتبتذل القرائح أحياناً في تترىه السلطان القائم وتأثيم السلطان الذاهب"<sup>(١٢)</sup>.

### النموذج الثالث:

ما قاله ابن عربي "وما خرج أحد لقتال الحسين إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر من دخول الفتنة، وأقواله في ذلك كثيرة. منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان. انتهى الحديث. فما خرج الناس إليه إلا بهذا الحديث وأمثاله!!!" .<sup>(١٢)</sup>

وقد تكفل الإمام عبد الرؤوف المناوي كلفة الرد على سفة هذا القول في كتابه "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، بقوله: " ومن مجازفات ابن العربي أنه أفتى بقتل رجل عاب لبس الأحمر لأنه عاب لبسة لبسها رسول الله عليه عليه وقتل بفتياه كما ذكره في المطامع وهذا تهور غريب وإقادمه على سفك دماء المسلمين عجيب وسيخاخصه هذا القتيل غدا وبيوء بالخزي من اعتدى وليس ذلك بأول عجرفة لهذا الفتى وجرأته وإقادمه فقد ألف كتاباً في شأن مولانا الحسين رضي الله عنه وكرم وجهه وأخزى شأنه زعم فيه أن يزيد قتلها بحق بسيف جده نعود بالله من الخذلان".<sup>(١٣)</sup>

والغريب أن ابن خلدون هو الآخر قد غلط ابن عربي رغم نزعته التبريرية التي ميزت كتاباته التاريخية، بقوله " وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواسم ما معناه أن الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الأراء!".<sup>(١٤)</sup>

وقد أجاد ابن الجوزي أيضا في كتابه السر المصنون، عندما قال: "من الاعتقادات العامة التي غلت على جماعة منتبين إلى السنة أن يقولوا: إن يزيد كان على صواب، وإن الحسين خطأ في الخروج عليه ولو نظروا في السير لعلموا

كيف عقدت له البيعة وألزم الناس بها، ولقد فعل في ذلك كل قبيح ثم لو قدرنا صحة عقد البيعة فقد بدت منه مواد كلها توجب فسخ العقد ولا يميل إلى ذلك إلا كل جاهل عامي المذهب يظن أنه يغrieve بذلك الراضا<sup>(١٥)</sup>.

#### النموذج الرابع:

يقول ابن تيمية: "فإن يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان خليفة ولم يدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء، ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح، وكان من شباب المسلمين، ولا كان كافراً ولا زنديقاً، وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضاً من بعضهم، وكان فيه شجاعة وكرم، ولم يكن مظهراً للفوائح كما يحكى عنه خصومه . وجرت في أمارته أمور عظيمة:

أحداها : مقتل الحسين عليه السلام وهو لم يأمر بقتل الحسين، ولا أظهر الفرح بقتله،  
ولا نكت بالقضيب على ثيابه عليه السلام ، ولا حمل رأس الحسين عليه السلام إلى الشام.. ”<sup>(١٦)</sup>

هذا هو الموى الأموي قد أخذ ابن تيمية بعيدا في إنكار الحقائق وتزييفها، فراح ينكر مسلمة تلو مسلمة وحقيقة تلو أخرى، ليس ذلك إلا مواصلة لخط أشياخه في تزوير الحقائق وتشويعها، فالإقرار بمثل هذه الحقائق المفصلية لا يبقي مثل مذهب ابن تيمية ومعتقده باقية. أما نفيه لكتف يزيد فقد أثبته غيره من علماء العامة<sup>(١٧)</sup>، فهذا هو الآلوسي يقول: "وقد جزم بكفره وصرح بلعنه جماعة من العلماء منهم: الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي وسبقه القاضي أبو يعلى، وقال العلامة التفتازاني: لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه<sup>(١٨)</sup> لعنة الله تعالى عليه وعلى أنصاره وأعوانه"<sup>(١٩)</sup>، ونقل ابن حجر في شرح الهمزية عن أحمد بن حنبل القول بکفره: "بل قال الإمام أحمد بن حنبل: بكفره."<sup>(٢٠)</sup>

وأما قوله بأن يزيداً لم يكن مظهراً للفواحش، فلا نعدو الصواب إن قلنا إن ابن تيمية قد أصابه عمي الألوان التاريخي مما رآه من أهوال قد فعلها ولادة أمره

نقلت في الكتب التاريخية، فهذا هو المسعودي في مروج الذهب يقول: "وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب.." ويقول: "وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب"<sup>(٢١)</sup>.

وهذا ابن كثير في البداية والنهاية يقول: "بل قد كان فاسقا"<sup>(٢٢)</sup>، ويقول: "وكان فيه إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات، وإماتتها في غالب الأوقات"<sup>(٢٣)</sup>، ثم يروي "أن يزيد كان اشتهر بالمعازف وشرب الخمر، والغناء والصيد واتخاذ الفلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقرود، وما من يوم إلا يصبح فيه مخمورا"<sup>(٢٤)</sup>.

وهذا ابن خلkan في وفيات الأعيان ينقل عن (الكيالهراسي) في معرض سؤاله عن يزيد قوله: "أما قول السلف ففيه قولان تلويع وتصريح... ولنا قول واحد التصريح دون التلويع، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والتصيد بالفهود ومدمن الخمر"<sup>(٢٥)</sup>.

وهذا ابن حجر في شرح الهمزية يقول: "أن يزيد قد بلغ من القبائح الفسق، والانحلال عن التقوى مبلغاً لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه، بل قال الإمام أحمد بن حنبل: بکفره"<sup>(٢٦)</sup>.

وهذا السيوطي في تاريخ الخلفاء يقول: "وكان سبب خلع أهل المدينة له أن يزيد أسرف في المعاصي وأخرج الواقع من طرق أن عبد الله بن حنظلة بن الفسيل قال: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمي بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، قال الذهبي: وإنما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات اشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله في عمره"<sup>(٢٧)</sup>.

وأن نطوي عن ذلك كشحًا خير من أن نطيل في أمر هو أقرب إلى المسلمات منه إلى المُختلفات، ويكتفي للعاقل دليلاً الواقع على سيرة يزيد أنه بدأ خلافته بقتل الحسين عليه السلام، وتوسطها بإباحة المدينة ثلاثة أيام، وختتها برمي الكعبة بالمنجنيق.

وأما تبرئته ليزيد في شأن قتل الحسين عليه السلام ونكت ثناءه بالقضيب وحمل رأسه إلى الشام، فنقول أنه لا ينكر ذلك إلا متعصب عنيد يمنع من ذم الفاسق يزيد، فإن ما ورد في هذا الشأن كثير وصل معناه حد التواتر، يقول التفتازاني في *شرح العقائد النسفية*:

"والحق أن رضاء يزيد بقتل الحسين عليه السلام واستبشاره بذلك وإهانته أهل بيته النبي(ص) مما تواتر معناه وإن كان تفاصيلها أحادا".<sup>(٢٨)</sup>

وما سنذكره هنا في هذا الشأن مما ذكره العلماء والمورخون في كتبهم ومصنفاتهم غيض من فيض:

١. أما في شأن مسؤولية يزيد عن قتل الحسين عليه السلام، فشواهده الصرحية كثيرة، منها:

أ - كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد لما ولاه العراق: "قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم، وقد بلي به بذلك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإن قتله، والا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك".<sup>(٢٩)</sup>

وهذا نص صريح في إيعاز يزيد لابن زياد بقتل الحسين عليه السلام.

ب - ما نقله أبو المؤيد بن أحمد المكي أخطب خوارزم: "... فكتب ابن زياد للحسين: أما بعد يا حسين فقد بلغني نزولك "كريلاء" وقد كتب إليّ أمير المؤمنين -يزيد- أن لا أتوسد الوثير، ولا أشبع من الخمير حتى أُحلك باللطيف

الغبير أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد<sup>(٣)</sup>. وهنا تحريض صريح وصارخ من قبل يزيد، يحث فيه ابن زياد على قتل الحسين عَلَيْهِ الْمُصَلَّى.

ج - اتهام عبد الله بن عباس الصريح ليزيد في ثنايا الكتاب الذي أرسله له: "من عبد الله بن عباس إلى يزيد بن معاوية. أما بعد... وأنت قتلت الحسين بن علي، بفيك الكثث، ولك الأثاب... لا تحسبني، لا أبا لك، نسيت قتلك حسيناً وفتیان بنی عبد المطلب، مصابيح الدجى، ونجوم الأعلام، غادرهم جنودك مصروعين في صعيد، مرملین بالتراب، مسلوبین بالعراء، لا مکفین... حتى أتاح الله لهم أقواماً لم يشترکوا في دمائهم، فأجتنوهم في أكفانهم، وبه والله وبهم عزرت وجلست مجلسك الذي جلست، يا يزيد".

وهذا النص صريح وواضح من ابن عباس ينسب فيه قتل الحسين عَلَيْهِ الْمُصَلَّى إلى يزيد ويحمله مسؤولية ذلك.

د - ما نقله اليعقوبي في تاريخه عن معاوية بن يزيد أنه لما تولى الخلافة خطب الناس قائلاً: "أما بعد حمد الله والثناء عليه... ألا وإن جدي معاوية ابن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله... ثم قلد أبي وكان غير خليق، فركب هواه، واستحسن خطأه... قال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصರعه وقبع منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح العرمة...".

وهذا اعتراف صريح آخر جاء من البيت الأموي نفسه على لسان ابن يزيد الأكبر يحمل فيه أبيه قتل العترة الطاهرة، ولم يحدثنا التاريخ قط عن قتل يزيد أحداً من أبناء الرسول سوى ما حدثنا به عن قتله أبناء الرسول في كربلاء.



٢. وأمّا في شأن نكت ثنايا الحسين بالقضيب وحمل رأسه إلى الشام، فما ورد فيه كثير، نذكر منه ما تيسر:

أ. ما نقله الطبرى في تاريخه: "أوفده إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فوضع رأسه بين يديه وعنده أبو بربة الأسلمي، فجعل ينكث بالقضيب على فيه ويقول:

يُفْلِقُنَ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعْزَةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقَ وَأَظْلَمَا  
فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرْبَةَ: ارْفِعْ قَضِيبَكَ فَوَاللَّهِ لِرَبِّنَا رَأَيْتَ فَاهْ رَسُولَ اللَّهِ(ص) عَلَى فِيهِ  
يَلْشُمُه..".<sup>(٣٣)</sup>

ب. يقول اليعقوبي في تاريخه: "ووضع الرأس بين يدي يزيد، فجعل يزيد يشرع ثناياه بالقصب"<sup>(٣٤)</sup>.

ج. يقول ابن كثير في البداية والنهاية: "وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا، على قولين، الأظهر منهما أنه سيره إليه، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة فالله أعلم. وقال أبو مخنف... قال: لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد بن معاوية جعل ينكث بقضيب كان في يده في ثغره...".<sup>(٣٥)</sup>

د. يقول المسعودي في مروج الذهب: "بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس، فدخل إلى يزيد وعنده أبو بربة الأسلمي فوضع الرأس بين يديه، فأقبل ينكث القضيب في فيه".<sup>(٣٦)</sup>

هـ يقول ابن الأثير في الكامل في التاريخ: "ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه مع زحر بن قيس إلى الشام إلى يزيد ومعه جماعة وقيل: مع شمر وجماعة معه... والرأس بين يديه ومعه قضيب وهو ينكث به ثغره ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحسين بن الحمام: يُفْلِقُنَ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعْزَةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقَ وَأَظْلَمَا فَقَالَ أَبُو بَرْبَةَ الْأَسْلَمِيَّ: أَنْكِثْ بِقَضِيبِكَ فِي ثَغْرِ الْحَسِينِ أَمَا لَقَدْ أَخْذَ قَضِيبَكَ فِي ثَغْرِهِ مَأْخُذًا لَرِبِّنَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرْشُفُهُ أَمَا إِنْكَ يَا يَزِيدَ تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وابن زياد شفيعك ويجيء هذا ومحمد شفيعه<sup>(٣٧)</sup>.

### نماذج من خارج النطاق الإسلامي:

#### النموذج الأول:

لقد صور فلهوزن في هذا النص بوقاحة الحسين عليه السلام بأنه ذلك الرجل المغامر الذي رام السلطان وضحي بكل ما يملك في سبيل تحقيق مرامه في الحصول على ذلك السلطان، حيث يقول في كتابه الخوارج والشيعة:

"لقد مدَّ الحسين بن علي يده كالطفل ليأخذ القمر وادعى أعرض الدعاوى ولكنَّه لم يبذل شيئاً في سبيل تحقيق أدناها، بل ترك للأخرين أن يعملوا من أجله كل شيء، ولم يك يصطدم بأول مقاومة حتى انهار فأراد الانسحاب ولكن كان ذلك متاخراً فاكتفى بأن راح ينظر إلى أنصاره وهم يموتون في القتال من أجله وأبقى على نفسه حتى اللحظة الأخيرة، ومضى يقول: لقد كان مقتل عثمان بن عفان مأساة، أما مقتل الحسين فكان قطعة مسرحية افعالية، ولكن عيوب الحسين الشخصية تختفي أمام هذه الواقعية وهي أن دم النبي (ص) يجري في عروقه وأنه من أهل البيت عليه السلام"<sup>(٣٨)</sup> !!

#### النموذج الثاني:

أما المستشرق جولدتساير في كتابه العقيدة والشريعة، فيقول: "أن الحسين في ثورته على حكومة يزيد قد انساق لطيش الشيعة وقصر نظرهم حتى أشركوه في تلك المعارك الدامية مع البيت الأموي"<sup>(٣٩)</sup>.

#### النموذج الثالث:

أما سير وليم مور فقد نظر إلى الحسين عليه السلام وثورته من زاوية رؤيته الكونية المادية، وراح يحاكم الثورة الحسينية بمنظار مادي بحت، حيث تقادى كثيراً قوله: "إن الحسين بانسياقه إلى تدبير الخيانة سعياً وراء العرش قد ارتكب جريمة



هددت كيان المجتمع وتطلبت من أولي الأمر في الدولة الأموية التعجيل بقمعها<sup>(٤٠)</sup>.

إن هؤلاء المستشرين قد أوغلوا في الخطأ والاشتباه كثيراً، لما حاكموا ثورة ربانية كثورة الحسين علیه السلام بنظار مادي وسياسي بحت، دائماً ما يقيس الأمور على وفق ميزان الربح والخسارة الماديين.

إن تلك التحليلات الهزيلة التي أطلقها هؤلاء المستشرين لا تكاد تصمد حتى تذهب في مهب الرياح حين الوقوف على خطبة الحسين علیه السلام حين أراد الخروج إلى العراق، حيث خطب قائلاً: "الحمد لله وما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما ألهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعنها عسلان الفلووات بين النواويس وكربلا، فيم لأن مني أكراشاً جوفاً وأحوية سفباً، لا محيس عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فيما مهجه، وموطننا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحل مصبعاً إن شاء الله"<sup>(٤١)</sup>.

أو عند الوقوف على خطبته علیه السلام لما جمع أصحابه قائلاً: "إني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل، ليس عليكم مني ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جمالاً وليأخذ كل رجل بيد رجل من أهل بيتي، وتفرقوا في سوادكم ومداشركم فإن القوم إنما يطلبونني ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري"<sup>(٤٢)</sup>.

أو عند الوقوف على رده على ابن عباس عندما نصحه بعدم الخروج إلى العراق، فقال علیه السلام: «إني لم أخرج بطراً ولا أثراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت أطلب الصلاح في أمة جدي محمد، أريد أمراً بالمعروف وأنهى عن المنكر، أسيء بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلي بقبول الحق فالله أولى بالحق»<sup>(٤٣)</sup>.

إن هؤلاء المستشرقين غفلوا أو تغافلوا بوضوح النتائج الباهرة التي حققتها الثورة الحسينية على مختلف الأصعدة والمستويات على مدى تلك القرون المنصرمة، والتي لا تزال فيوضاتها تغذى شريحة كبيرة من البشر، رغم كل ما خلفته الثورة من ألم ومساة.

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية: "إذا كان قد هزم في معركة حرية أو خسر قضية سياسية، فلم يعرف التاريخ هزيمة كان لها من الأثر لصالح المهزومين كما كان لدم الحسين عليهما السلام..". ثم يستطرد في حديثه عن نتائج ثورة الحسين عليهما السلام قائلاً: ".. من أجل هذا كله أدرك مستشرق ألماني لم ينظر إلى خروج الحسين نظرة عسكرية بحتة أدت إلى الحكم السطحي عليها كما فعل غيره من المستشرقين، إذ اعتبرها المستشرق (ماريني) بتديير من الحسين توخاه من اللعنة الأولى وعلم موعد النصر فيه، فحركة خروجه على يزيد إنما كانت عزمه قلب كبير عزّ عليه الإذعان وعزّ عليه النصر العاجل فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته ويحيي به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة".<sup>(٤٤)</sup>

#### الخاتمة

إن مما لا شك فيه أن الثورة الحسينية قد امتازت عن غيرها من الثورات عبر التاريخ بأنها ثورة رياضية، قد فجرتها شخصية عظيمة وُصفت بالعصمة، ومن أجل ذلك فإن محاولة الوقوف على حقيقة الثورة الحسينية وقراءتها بما يضمن تحصيل الواقع، يستدعي اتباع منهج معين خاص قادر على تحصيل ذلك، وقد تبيّن بوضوح -من خلال ما تقدم- أن المنهج الأفضل في قراءة الثورة الحسينية، والذي يمكن من خلاله ضمان سلامه النتائج وصواعدها، هو خصوص المنهج الإسقاطي المبني على العقيدة السليمة، حيث إن الباحث مع فرض كونه مسلماً

ملتزماً بالمنهج الإسلامي والرؤية الكونية الإسلامية في الحياة، يعني ذلك عدم تجرده عن منهجه ورؤيته في أي ظرف تحت أي تأثير كان، وهذا بطبيعة الحال مما لا يتناسب مع المنهج الموضوعي الداعي إلى تجرد الباحث -عند بحثه- عن كل المؤشرات التي تعيقه أو التي تؤثر عليه في قراءته للحدث ولو كانت مرتبطة بأمر داخل في حيز الدين، ولذلك نستطيع القول إن المنهج الموضوعي لا يمكن الأخذ به في المقام خصوصاً ونحن نتكلم عن ثورة إلهية عظيمة ارتبطت بشخصية معصومة كالحسين عليه السلام.

أما المنهج الإسقاطي المبني على العقيدة الفاسدة، فإنه هو الآخر لا يصلح أن يُتخذ كمنهج في قراءة الثورة الحسينية، بطلانه واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، فإن الأخذ به يعني تغييب الحقيقة وتشويفها، حيث أنه ملازم لجافاة الواقع ومحاباة الصواب.

يبقى أن من لم يعتقد في الحسين عليه السلام العصمة، أن يتخذ المنهج الموضوعي منهجاً له في قراءة الثورة الحسينية، فإن ذلك يضمن له الكثير من الحقيقة والواقع، إلا أنه في الوقت نفسه لا يسلم من أحتمال الوقوع في الخطأ والاشتباه حيث تخطئه المعصوم.

### المواهش:

(١) "النهج" و"المنهج" كلها بمعنى واحد وهو الطريق الواضح الواضح البين، لسان العرب، ج ١٤ - ص ٣٠٠، وقد تستعمل لفظة "المنهج" ويراد بها أمرين: فقد تطلق ويراد بها التصورات والمبادئ التي يلتزم بها الباحث، كما تطلق ويراد بها طريقة معينة في البحث العلمي لإثبات أمر ما، كإثبات أصل وقوع حادثة تاريخية معينة مثلاً عبر طريقة علمية معينة كاتخاذ مسلك الوثوق أو الوثاقة والوثوق مجتمعين لإثبات ذلك، أما المراد من المنهج هنا فهو المعنى الأول لا الثاني، إذ أن مصب البحث هنا يمكن بعد الفراغ من إثبات وقوع الحادثة عبر الطرق العلمية المتبناة، ف يأتي الكلام بعدها باتخاذ المنهج المختار الذي يعبر عن التصورات والمبادئ التي يلتزم بها الباحث في قراءته للحادثة.

- (٢) كما لو كانت العقيدة المسقطة فاسدة مثلاً.
- (٣) المبدعون والإمام الحسين عليهما السلام .<http://www.alnoor.se/article.asp?id=17391>
- (٤) نفس المصدر.
- (٥) نفس المصدر.
- (٦) نفس المصدر.
- (٧) راجع موسوعة أعلام الهدایة / الإمام الحسين - ج ٥ / ص ٣٤ .
- (٨) راجع تاريخ ابن خلدون / ج ١ - ص ١٣ من ٢٥٨ .
- (٩) منهاج السنة النبوية / ج ٢ - ص ٢٤١ .
- (١٠) منهاج السنة النبوية / ج ٤ - ص ٥٣٠ .
- (١١) الحسين أبو الشهداء / ص ١٠٦ .
- (١٢) العاصم من القواسم - ص ٢٣٢ .
- (١٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير / حرف الكاف ص ٢٤٦ .
- (١٤) تاريخ ابن خلدون / ج ١ - ص ١٣ من ٢٥٨ .
- (١٥) الرد على المتعصب العنيد المانع من ذمّ يزيد / ص ٢١ ، تفسير روح المعاني للآلوزي ، في تفسير الآية رقم ٢٣ من سورة محمد .
- (١٦) مجموع فتاوى ابن تيمية / المجلد الثالث - ص ٦١ من ٦٤٥ .
- (١٧) إلا أن الحق أن أكثر علماء العامة لم يذهبوا إلى كفره متذرعين بعدم ثبوت الأسباب الموجبة للكفر عليه .
- (١٨) في بعض الكتب جاءت بلفظ "في كفره" كما في الإتحاف بحب الأشراف "فنحن لا نتوقف في شأنه بل في كفره" / ص ١٦٨ .
- (١٩) تفسير روح المعاني للآلوزي ، في تفسير الآية رقم ٢٣ من سورة محمد .
- (٢٠) الإتحاف بحب الأشراف / ص ١٧٧ .
- (٢١) مروج الذهب / ج ٣ - ص ٥٠ .
- (٢٢) البداية والنهاية / ج ٨ - ص ٢٢٣٠ .
- (٢٣) البداية والنهاية / ج ٨ - ص ٢٢٣٢ .
- (٢٤) البداية والنهاية / ج ٨ - ص ٢٢٣٤ .
- (٢٥) الرد على المتعصب العنيد المانع من ذمّ يزيد / ص ٢١ .
- (٢٦) الإتحاف بحب الأشراف / ص ١٧٧ .
- (٢٧) تاريخ الخلفاء / فصل يزيد بن معاوية أبو خالد الأموي .

(٢٨) الرد على المتعصب العنيد المانع من ذمّ يزيد / ص ٢٣، وقد جاء نفس اللفظ تقريراً في تفسير روح المعاني للآلوزي، في تفسير الآية رقم ٢٣ من سورة محمد.

(٢٩) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ - ص ٢٤٢.

(٣٠) قراءة في مقتل الحسين / ص ٤٩.

(٣١) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ - ص ٢٤٨.

(٣٢) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ - ص ٢٥٤.

(٣٣) تاريخ الطبرى / ج ٣ - ص ١٠٢٧.

(٣٤) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ - ص ٢٤٥.

(٣٥) البداية والنهاية / ج ٨ - ص ٢٢٠٠.

(٣٦) مروج الذهب / ج ٣ - ص ٤٥.

(٣٧) الكامل في التاريخ / ج ٢٢ - ص ٣٠٩-٥١ (ذكر مقتل الحسين).

(٣٨) سيرة الأئمة الأربع عشر / ج ٢ - ص ٨٩.

(٣٩) المصدر السابق.

(٤٠) سيرة الأئمة الأربع عشر / ج ٢ - ص ٨٩.

(٤١) معالم المدرستين / ج ٣ - ص ٧٥.

(٤٢) الكامل في التاريخ / ج ٢ ص من ٣٠٩-٥١، مناقب آل أبي طالب / ج ٤ - ص ١٠٧.

(٤٣) مناقب آل أبي طالب / ج ٤ ص ٩٧.

(٤٤) سيرة الأئمة الأربع عشر / ج ٢ - ص ٩٥.



## الإعلام العاشورائي بين الحقيقة والتضليل

### جسر على الماء

حين بات الناس في فترة من فترات التاريخ لا يفكر الواحدُ منهم إلا بأن يكون في مأمن، أن يكون دمه في أمان، وأن يكون ماله المحدود في أمان، ثم ماذا عليه؟! وماذا عليه من الأمة؟! من الإسلام؟! من الأهداف الكبيرة؟! من المهموم العظيمة؟! ما دام هو في أمان، وما دام يعيش في رخاء فلا يعنيه أيُّ شيء آخر، فمن أعظم بركات واقعة الطف أنها لم تكن استنقاذًا لحياة شعب أو حياة أمة فحسب، وإنما كانت استنقاذًا للتاريخ بأكمله.

هكذا قرر الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكَنَ أن يخرج هذه المؤامرة على شخصية التاريخ

محاولاً إيقاظ الناس من حوله، لكي يُشعر هؤلاء بأنهم مظلومون وبأن هناك هدفاً أكبر من هذه الحدود الضيقة في الحياة. فالحسين عليه السلام لم يعش الظلم الفردي لأن الدنيا كانت متوفرة له عليه السلام، وكل المسلمين كانوا يحيطونه بكل تجليل وتقديس وتكريم. فهو لم يكن بحاجة إلى جاه أو مال أو منصب ما.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يحاول الخروج خلسةً لكي يُقتل هو وأهله دون أن يكون لقتلهم ذلك الصدى المطلوب، وخصوصاً إذا عرفنا أنَّ القوى الإعلامية كانت تصب في مصلحة المتصدي للحكم آنذاك، فكان باستطاعة الحاكم أن يبرر لفعله دون أن يلقى أيَّ معارضة من الناس، وخصوصاً إذا كان الناس لم يسمعوا بخروج الإمام الحسين عليه السلام -حسب الفرض- فسوف تنطلي عليهم أيُّ خدعةٍ يقوم بها الحاكم بقوته الإعلامية. لذا كان لزاماً على الإمام الحسين عليه السلام أن يصبح بشورته وبخروجه عليناً لكي يقطع على الطرف الآخر أيَّ محاولة تشويه أو تبرير في حال قتل الإمام وأهل بيته عليهما السلام.

في هذه الدراسة سوف نقف على بعض ملامح الحملات الإعلامية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه من مكة وفي كربلاء، وأيضاً ما قامت به أخته العقيلة زينب عليهما السلام بعد استشهاد الإمام وأصحابه عليهما السلام. وأيضاً سوف نتعرض لبعض المحاولات التشويعية التي حاول البعض في تلك الفترة أن يلصقها بالمشروع الحسيني والذي قام به أزلام الحكم آنذاك.

### ما قبل واقعة الطف:

إنَّ من أساسيات أيَّ حركةٍ ما هو التجهيز المسبق والترقب لأيَّ حركةٍ معادية قد يقوم بها الطرف الآخر، وإنَّ ثورة كثورة الإمام الحسين عليه السلام هي أكبر تظاهرة سياسية في زمن الأئمة عليهما السلام، فكان لزاماً على الأئمة السابقين لتلك الحادثة أن يهددوا ما يضمن بقائهما وإيصال هدفها لأكبر شريحة ممكنة، وكما ذكرنا



في المقدمة أنَّ الإعلام اليعزدي على أهبة الاستعداد للنيل من تلك الثورة، وذلك عبر إعلامهم المضلل الضخم المدعوم بكل الوسائل من الحاكم وأتباعه، وذلك لإظهار أنَّ الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَفَاف قد ثار من أجل الملك والجاه، وقد أنطلت هذه الخدعة -في بدايتها- على بعض الحسوبين من شيعة الكوفة، ولكن سرعان ما اتضحت ملامح القضية وبان للناس التُّرَهَات التي صدح بها البوّاق الحكومي آنذاك.

**الإمام علي عَلَيْهِ الْكَفَاف وسيدة نساء العالمين عَلَيْهِ يُمَهَّدُان ابتهما زينب عَلَيْهِ:**

عندما فتحت السيدة زينب عينيها في أعظم حياة زوجية وشاهدت الاحترام المتبادل بين الإمام علي وزوجته فاطمة الزهراء عَلَيْهِ ورأت إطاعتها وصبرها على خشونة الحياة وصعوبة المعيشة، ابتغاء رضى الله تعالى.

كما عاصرت السيدة زينب الحوادث المؤلمة التي عصفت بأمها البتوأ بعد وفاة أبيها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما تعرضت له من الضرب والأذى.

ومما يلاحظ أيضاً أن فاطمة الزهراء عَلَيْهِ عندما ذهبت إلى مسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين إلقاء الخطبة، كانت السيدة زينب من ضمن المرافقين لأمها.

تُرى لماذا ذهبت وهي حديثة السن؟

ومكثت السيدة زينب عَلَيْهِ في الكوفة سنوات، وعاصرت الأحداث والاضطرابات الداخلية التي حدثت مع أبيها، وما يُذكر أيضاً أن الليلة التي ضرب فيها إمام المتدين كان قد أفتر وبات في حجرة ابنته السيدة زينب عَلَيْهِ! ولا أعلم لماذا بات الإمام عَلَيْهِ في حجرة ابنته عَلَيْهِ؟

لعلَّ الإمام اختارَ المبيت في بيتها حتى تُشاهد وتري، وتروي مشاهداتها وسموعاتها عن أبيها أمير المؤمنين عَلَيْهِ في تلك الليلة، ولعلَّ هذا الأمر أيضاً تهيداً لكونها الناقل الأكبر لحياة أمها وأبيها لتكون الناقل الأجلد لما سيحدث

لأخويها وعلى المخصوص أحداث عاشوراء الدامية.

### قبل الخروج من مكة:

قام الإمام الحسين عليه السلام بجمع من تبقى من المهاجرين والأنصار في أحراج اللحظات في موقف عرفات، وفي ذلك الموقف الذي يتورّع فيه أي إنسان مسلمٍ اعتيادي عن أن يكذب على الله أو على رسوله عليهما السلام وقام فيهم خطيباً، وقال: «أما بعد: فإن الطاغية قد صنع بنا وبشيّعنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وأنني أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبتم فكذبوني، اسمعوا مقالتي، واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمتهم ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فإني أخاف أن يندرس هذا الحق وينهض، والله متم نوره ولو كره الكافرون»<sup>(١)</sup>. هؤلاء البقية من المهاجرين والأنصار الذين استجابوا لدعوة الإمام الحسين عليه السلام هزّهم في موقف عرفات ويوم عرفة الزمان والمكان والشخص، فثار هؤلاء، وانطلقت ألسنتهم بالحديث مع المسلمين، فكان يقف كل واحد منهم تلو الآخر وينقل ما يتذكره وقىئذٍ من أحاديث عن النبي عليهما السلام.

### استنهاض الإمام عليه السلام لأفراد:

كان الإمام يحاول دائماً أن يستثير كل من يجده، حتى خصومه وأعداءه، فمثلاً خاطب الإمام الحسين عليه السلام عبد الله بن عمر: «يا عبد الله بن عمر لا تترك نصري»<sup>(٢)</sup>. يعني: ليست نصري بأن تقبلني<sup>(٣)</sup>، وإنما نصري بأن تشي في خطبي، بأن تبذل دمك في الخط الذي أبذل فيه دمي، أما التقبيل، فهذا النوع من التكريم من دون النصرة ليس له قيمة عند رسول الله عليهما السلام.

وأيضاً مما ينقله لنا التاريخ حديث مناشدة الإمام الحسين عليه السلام لعبد الله بن الحر الجعفي الذي كان قد وصل إلى منزل من المنازل وكان الإمام الحسين عليه السلام في

ذلك المنزل، فعندما اطلع الإمام عليهما السلام على وجود عبيد الله بن الحرس الجعفي في ذلك المنزل، حاول الإمام هرث ضميره، فبعث إليه رسالته. فذهب رسول الحسين عليهما السلام إلى عبيد الله بن الحرس الجعفي، قال له: جئتكم بالكرامة، جئتكم بكرامة لا يوجد فوقها كرامة بأن تستشهد بين يدي ابن رسول الله، إن الحسين يدعوك لنصرته، والاستشهاد بين يديه، فظهر الغضب في وجه عبيد الله بن الحرس الجعفي والضيق وقال: إني خرجت من الكوفة خوفاً من أن يأتي الحسين وأن تقوم المعركة، ويتأزم حينئذٍ موعدي، خرجت فراراً من أن أعيش هذه اللحظة التي جعلتني أعيشها الآن، ثم اعتذر من الاستجابة للإمام الحسين عليهما السلام.

الإمام الحسين عليهما السلام لم يكتف بهذا، قام بنفسه وجاء إلى عبيد الله بن الحرس الجعفي يستصرخه ويطلب منه، ويحاول أن ينفذ إلى أعماقه، أن يحرك ضميره ووجوده، أن ينبهه إلى الأخطار التي تكتنف الرسالة والإسلام، يقول الناقل: ما رقّ قلبي كما رقّ يومئذٍ والحسين عليهما السلام حوله الصبية من أطفاله يطوفون به، ويشي إلى عبيد الله بن الحرس الجعفي يستصرخه ويناديه، فيعتذر عبيد الله بن الحرس الجعفي له: هذه فرسني خذها بدلاً عنّي. يقول الإمام عليهما السلام: «إني لست بمحاجةٍ إلى فرسك، إن كنت قد بخلت بدمك على الإسلام فلا حاجة في فرسك، لكن عندي وصية»، قال: وما الوصية؟ قال: «إن قدرت على أن لا تسمع واعينا فافعل؛ لأنّه ما سمع واعينا شخص ثم لم ينصرنا إلا أكبّه الله على وجهه يوم القيمة في جهنم»<sup>(٤)</sup>.

### إشكاليةُ وجواب

هل إنَّ الإمام الحسين عليهما السلام قد استعجل الظروف ولم ينتظر أفضل الفرص؟ عندما أعلن الإمام عليهما السلام ثورته وأنه مقتولٌ لا محالة، جعل هذا القولُ الأمّةَ تعيش حديثاً خاصاً عن هذه الأسطورة، أسطورة أن شخصاً يتقدم نحو الموت وهو ثابت الجأش، قوي القلب، واضح اليقين في أنَّ هذه الطريق يريد لها الله

رسوله ﷺ.

إذن فالموت ليس خطراً إذا كان هذا الموت هو طريق إنقاذ المسلمين، هو طريق تخلص الأمة من مؤامرة الجبارة والطاغيت، كان يشيع في نفوس المسلمين أن الموت شيء هين في حالة واحدة وهي تحقيق الأهداف الكبيرة، ومن ناحية أخرى أحكم الإمام علّي عليهما السلام ظروف حركته بشكل لا يبعث في ذهن هذه الأمة المائعة ولا غيرها أيُّ نقدٍ في أنَّ الإمام الحسين علّي عليهما السلام استعجل الظروف، أو أنه استبعق أو أنه تحرك بحركة ابتدائية بدون مبرر، لذا حشد كل المبررات المنطقية والمعقولة لحركته، لم يكن هناك إنسان يمكنه أن يقول: إن الإمام الحسين قد استعجل الموقف قبل أن يتتأكد من الظروف.

بل كيف يمكن أن يقال أنه استعجل الموقف قبل أن يتتأكد الظروف وقد بقي في مكة طويلاً والكتب تأكي و لا يجib عليها، بل يبعث ابن عمِّه مسلم بن عقيل ويوصيه بأن يذهب إلى الكوفة ليرى هل أن أهلها عازمون حقيقةً على أن يقفوا مع خط الإمام علّي عليهما السلام أم لا؟

فيذهب مسلم بن عقيل إلى الكوفة، ويبقى الإمام الحسين علّي عليهما السلام في مكة، حتى يبعث إليه مسلم بن عقيل مؤكداً أنَّ جميع أهل الكوفة وشيخوخ أهل الكوفة قد اتفقوا على زعامتك وإمامتك وقيادتك وهم لك منتظرون<sup>(٥)</sup>، فكلُّ هذه الظروف هيئها الإمام الحسين علّي عليهما السلام وصبر حتى يتهيأ، لكي لا يبقى هناك نقد لمنتقدي، لكي لا يقول شخص يريد أن يخلق المبررات بأنَّ الإمام الحسين علّي عليهما السلام استعجل.

في كربلاء وما بعدها

الفكر التحريري لبني إسرائيل وبني أمية:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾



رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُّرُونَ<sup>(٦)</sup> القرآن يحذثنا عن عناد مجموعة من بني إسرائيل حتى في ترتيل عبارة الاستغفار فهؤلاء لم يرددوا العبارة بل بدّلوها بعبارة أخرى فيها معنى السخرية والاستهزاء، والآية الكريمة بعد ذلك تبين بشكل غير مباشر سنة من سنن الله تعالى، وهي أنَّ الذنب حينما يتعمق في المجتمع ويصبح عادة اجتماعية، عند ذاك يقترب حتماً نزول العذاب الإلهي.

وأيضاً كما حكى القرآن عن الممارسات التحريفية اليهودية هو أنهم كانوا يارسون أنواع التحريف في الكتب الخاصة بهم.

بعض الأحيان كانوا يحرّفون الألفاظ، فمثلاً بدل أن يقولوا "سمعنا وأطعنا" كانوا يقولون "سمعنا وعصينا" كما كانوا أحياناً يخفون بعض الآيات الإلهية، مما كان يطابق أهوائهم أظهروه، أخفوا الآيات التي لم تكن لتتلاءم مع ميولهم ورغباتهم وهو ما يصطلح عليه "التحريف اللفظي".

وبعض الأحيان كان تحريفهم يتخد طابعاً معنوياً، أي أنهم كانوا يفسرون العبارات الواردة في تلك الكتب بشكل يนาقض المعنى الحقيقي لها، فهم وإن كانوا يحفظون الألفاظ كما هي لكنهم كانوا يغيرون معانيها وهو "التحريف المعنوي"، وقد حكى القرآن هذه الحقيقة<sup>(٧)</sup>.

هذا بالنسبة لبني إسرائيل، وأما بالنسبة لبني أمية، فكان ذلك المنهج هو المنهج الأبرز أثناء وجود الرسول الأكرم ﷺ وبعد رحيله<sup>(٨)</sup> لي أن وصل الدور إلى ابن مذهب التحرير البار لذلك المذهب وهو معاوية بن أبي سفيان فهو المؤسس الأكبر لهذا الفكر التحريري، فكما جرى في قضية عمار بن ياسر، عندما قال له النبي ﷺ أثناء بناءهما مسجد المدينة: «يا عمار! قتلت الفئة الباغية»<sup>(٩)</sup>. من هنا فإنَّ انحراف عمار في جيش علي في معركة صفين كان قد اعتبر نوعاً من الثقل المعنوي الذي أضيف إلى معسكر الإمام علي علّيهم السلام. إلى أن استشهد عمار

فلقد صار واضحًا بأن جيش معاوية هو الجيش الباقي. ولكن معاوية المعروف بدهائه واستخدامه للحيلة والخداع في تسخير شؤونه، أراد استخدام مكره ودهائه في هذا الأمر أيضًا، ولما كان غير قادر على إنكار حديث النبي ﷺ حيث كان سيخرج عليه ما لا يقل عن خمسة شخوص ليشهدوا بأنهم سمعوا هذا الحديث مباشرة من رسول الله ﷺ أو آخرون سمعوا من النبي ﷺ مباشرة مما يعني أنه حديث غير قابل للإنكار. فلقد روى عن الصادق علّي عليهما السلام أنه قال: «لَا قُتْلَ عَمَّارٌ بْنَ يَاسِرَ إِذْ ارْتَعَدَ فِرَاقُصُ الْخَلْقِ كَثِيرٌ، وَقَالُوا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عُمَارٌ قُتِلَ الْفَتَّةُ الْبَاغِيَةُ" فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى معاوِيَةَ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ هَاجَ النَّاسُ وَاضْطَرَبُوا، قَالَ: لِمَاذَا؟ قَالَ: قُتِلَ عَمَّارٌ، فَقَالَ: قُتِلَ عَمَارٌ فَمَاذَا؟، قَالَ: أَلِيسَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُتِلَ الْفَتَّةُ الْبَاغِيَةُ" ، قَالَ معاوِيَةَ: دَحْضْتَ فِي قَوْلِكَ أَنْحَنَ قَتْلَنَاهُ؟ إِنَّمَا قُتْلَهُ عَلَيْيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا أَلْقَاهُ بَيْنَ رِمَاحِنَا، فَوَصَلَ ذَلِكَ لِعَلَيْيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ علّي عليهما السلام قال: فَإِذْنُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الَّذِي قُتِلَ حَمْزَةُ لَمَّا أَلْقَاهُ بَيْنَ رِمَاحِنَا وَالْمُشْرِكِينَ»<sup>(١٠)</sup>.

هذا الفكر لم يكن يهدف إلى تبرير موقف مؤقت لتهيئة الناس آنذاك وعدم ثورتهم تجاه الحاكم وأذلاته – وإن كان هذا التبرير هدفًا يصبوا إليه مؤسسوه –، بل كان يهدف إلى تأسيس فكر تحريفي يتلاعب به الحكام أئمّة شاؤوا وكيفما أرادوا، وللأسف فإن هذه الخطوة قد انطلت على البعض وأصبح يكيل التهم إلى الطرف البريء بينما يتنعم الحكام بتبريراتٍ واهية.

وفي موقف آخر من مواقف التحرير حينما دُعي في مجلس ابن زياد الإمام علي بن الحسين علّي عليهما السلام والنسوة، وأحضر رأس الحسين علّي عليهما السلام، وكانت زينب بنت علي علّي عليهما السلام فيهم، فقال ابن زياد: "الحمد لله الذي فضحكم وقتلتم، وأكذب أحاديثكم. فقالت زينب علّي عليهما السلام: «الحمد لله الذي أكرمنا محمدًا وطهرنا تطهيرًا، إنما يفضح الله

الفاقد ويكتُبُ الفاجر». قال: كيف رأيت صنع الله بكم أهل البيت؟ قالت: «كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاكمون عنده». فغضب ابن زياد لَعْنَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا<sup>(١١)</sup>.

ثم إن ابن زياد خاطب الإمام زين العابدين قائلاً: «من أنت؟»، فقال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنا علي بن الحسين»، فقال: أليس الله قد قتل علي بن الحسين، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ له: «قد كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس»، فقال له ابن زياد: بل الله قتله، فقال علي ابن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الله يتوفى الأنفس حين موتها»، فغضب ابن زياد لَعْنَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا<sup>(١٢)</sup>.

وأيضاً مما ورد في الكافي<sup>(١٣)</sup> أنه لما حُمل علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى يزيد بن معاوية فأوقف بين يديه قال يزيد لَعْنَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيْكُمْ»<sup>(١٤)</sup> فقال علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليست هذا الآية فيها إِنْ فِيْنَا قول الله بِرَبِّكُمْ؟»، «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»<sup>(١٥)</sup>.

إن الفكر الحسيني الزيني قد دحضر هذه الترهات التي أسسها الفكر التحريري، فكما كان المحرّفون يقتبسون ما يريدوا من الآيات القرآنية التي تدعم موقفهم، فمن طرف آخر كانوا يغضون النظر عن الموضع الأخرى لكيلا تُدْحِسَ حججهم الواهية، فكان التقاطع المضلل للآيات هو أبرز سمة من سمات هذا الفكر الواهي، وما ذكرناه خير دليل على ذلك.

الدرس الذي نستفيده من التخطيط الحسيني الزيني:

لم يبق لدى أي شخصٍ من أبناء الأمة الإسلامية أي شك في أنّ عمل الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخته عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عملاً مشروعاً صحيحاً، وأن عمل بني أمية كان عملاً ظالماً عاتياً جباراً.

وهذا الوضوح في الرؤية هو الذي جعل المسلمين يدخلون بالتدريج إلى آفاق جديدة من الفكر الإسلامي الصحيح، هذا الوضوح من الفكر هو الذي هزّ ضمير الإنسان المسلم، وهو الذي يهزّ إلى يومنا هذا.

فليست دم الإمام الحسين عليه السلام رخيصة بدرجة يُكتفى في ثنه بأن يهتزّ ضمير الإنسان المسلم في عصر واحد، أو في جيل واحد، لا يمكن أن يكون ثمن دم الإمام الحسين عليه السلام ومجهود أخيه عليهما أن تنزلزل قواعد بنى أمية، أو أن يكشف عن حقيقة بنى أمية، أو أن تنتعش ضمائر جيل من أمة الإسلام... هذا لا يكفي ثناً لدم الإمام الحسين عليه السلام الطاهر ولا لما بذلته أخيه عليهما، بل إن ثنهمَا أن يبقى مجاهدَهُما محركاً منوراً دافعاً مطهراً نقياً على مرّ التاريخ لكلّ أجيال الأمة الإسلامية، لا بدّ وأن يهزّ ضمير كلّ واحد منا اليوم حينما نواجه أيّ موقف من موافق الإغراء، أو الترغيب والترهيب، أو التدليس والتحريف والتقطيع للآيات، لا بدّ وأن نستشعر تلك التضحية العظيمة حينما نلتفت إلى أننا مدعوون إلى تضحية جزئية بسيطة، حينما يطلب منا الإسلام لوناً من التضحية وقدراً بسيطاً وضئيلاً من التضحية، لا بدّ وأن نلتفت دائماً إلى ذلك القدر العظيم غير المحدود من التضحية الذي قام به الإمام الحسين عليه السلام وأخوه عليهما لكي نستصغر ولكي يتضائل أمامنا أيّ قدرٍ نواجهه في حياتنا ونكلّ أنفسنا بالقيام به في سبيل الإسلام<sup>(١)</sup>.

### المواهش:

(١) الاحتجاج ٢: ١٩.

(٢) الملحوظ على قتلى الطفوف لابن طاووس: ١٧.

(٣) أمالي الصدوق، المجلس ٣٠.

- (٤) وقعة الطف: ١٧٦، "وهذا حديث صريح في فسق كل من سمع واعية الإمام عَلَيْهِ الْكُلُّ وَلَمْ ينصره، حتى وإن لم يقاتل مع جيش يزيد".
- (٥) وقعة الطف: ١١٣.
- (٦) البقرة: ٥٩.
- (٧) المائدة: ٩٣.
- (٨) للاطلاع على ذلك المنهج والأدلة عليه راجع كتاب مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة ج ١: ٣٧، تحت عنوان حركة النفاق... قراءة في الهوية والنتائج.
- (٩) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٧.
- (١٠) الاحتجاج للطبرسي ج ١: ٢٦٦.
- (١١) بحار الأنوار ٤٥: ١٥٤ / ٣.
- (١٢) كشف الغمة ج ٢: ٢٧٨.
- (١٣) الكافي ج ٢: ٤٥٠.
- (١٤) الشورى ٣٠.
- (١٥) الحديد ٢٢.
- (١٦) أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية: ٣٥٦.



# مفهوم الحرية

علي إبراهيم عبد العال

## مدخل

من الجوانب التي هي مورد ابتلاء المؤمنين هي المفاهيم الفكرية ذات التأثير على سياق الحياة، كمفهوم الثقافة والتطور والعلمة والديمقراطية. ولعل جميع هذه المفاهيم ترجع بجذورها بنحو أو باخر إلى مفهوم الحرية، الذي لا يقتصر بتاريخه عن تاريخ الفكر الموجود بين أيدينا. وهذه محاولة للتعرف على هذا المصطلح على ضوء الدين والعقل، فإن التعرف على الشيء هو أصل التعامل معه. والعصمة لأهلهما.

## تحرير محل الكلام

إن البحث في حقيقة المفاهيم الذهنية كمفهوم الحرية وعدم الدقة في تشخيصها من شأنه أن يؤدي إلى ضياع محل النزاع. وذلك لأن المفاهيم بلحاظ وجودها تقسم إلى مفاهيم ذهنية وانتزاعية وإلى مفاهيم عينية وانضمامية<sup>(١)</sup>. ففي القسم الثاني لا توجد مشكلة في التشخيص لوضوح المشار إليه كمفهوم الماء والهواء والحركة. أما القسم الأول فيصعب ضبطه في حد جامع ومانع، لعدة أسباب: أولاً: بسبب تعدد لحظات نفس المفهوم، وثانياً: بسبب تعدد الحيثيات المكانية والزمنية التي انتزع منها هذا المفهوم، وثالثاً: بسبب تعدد الأغراض التي من أجلها جرى ذلك الانتزاع. ومفهوم الحرية ليس بداعاً من هذه المفاهيم، فهو باعتباره من المفاهيم الذهنية خاضع لجميع هذه العوامل.

### تعدد لحظات الحرية

لما كانت الحرية بمعناها الذهني من المفاهيم التي تحتاج إلى غيرها لكي توجد في الخارج ، فإن احتمالات تتحققها منوطبة بالظرف المتحقق فيه، وهذا ما يسبب تعدد المعاني المحتملة. فإذا كان المقصود من الحرية هو عدم الكون في السجن، فهي الحرية من الحبس. وإذا كان المقصود هو عدم الاعتماد على الآخرين في الاستدلال، فهي الحرية العلمية. وهكذا.

ولكن قد يطلق مصطلح الحرية ولا يناسب إلى ما به يتحقق، ورغم ذلك، فإن العقلاء يرتبون الأثر على هذا الإطلاق. وهذا بظاهره يتنافى مع ما ذكرنا قبل قليل أن الحرية لا تكون مستقلة، فكيف تنور الشعوب مرتبة الأثر على ما ليس مضبوطاً بالنسبة إليها؟ الجواب أنه حتى عندما يطلق هذا المصطلح بدون قيود مقالية فإنه يتضمن مفهوم التحرر من الشيء الذي يجعل الشعب فقيراً مثلاً أو



يجعل الإنسان تابعاً لغيره، والانصراف يكون بحسب المقام. ولا يمنع أن يكون ذلك الشيء مبهمًا لأن انصراف الذهن إلى ذلك الشيء يكفي لترتيب الأثر وإن كان مبهمًا. وهذا نظير من عبد الله خوفاً، فلا يجب تعين الشيء الذي يخاف منه، هل هو النار، أم عذاب القبر، أم بعد عن قربه بِعَدَتْهُ، فإن التعين التفصيلي يعني عنه التعين الإجمالي إذا دار الأمر بين عدة أمور يكون أثراً لها العملي على السلوك واحد. وهذا المعنى مطرد في الكثير من شؤون الحياة.

وهناك ثمة حالة ثالثة، وهي ما إذا أطلق مفهوم الحرية مجردًا عن جميع السياقات المقالية والأدبية والسياسية وغيرها. وهذه الحالة تشتراك مع الحالة السابقة في كون المفهوم مبهمًا. لكنه في الحالة السابقة كان يدور بين عدة أمور يعلم الشعب مثلاً بأن تحرره في التخلص من إحداها، أما في هذا الفرض فالحرية تطلق ولا تقيد بشيء من ذلك، بل المقصود هو ذاتها. فلا بد حينئذ من إرجاعها إلى الإنسان الحر ذاتها أو ما يعبر عنه بالإنسان الأبي. والشاهد على ذلك هو انصراف الذهن إلى هذا المعنى مع إطلاق معنى الحرية بلا قيود مقالية أو حالية، كقول المتدلين بأن "الإنسان الحر" لا يكون عبداً لغيره، وقول الليبراليين بأن "الإنسان الحر" لا يتخد من الدين بدليلاً عن تفكيره. وقد يناقش في أن هذه الحالة الثالثة لا وجود لها، لأن الانصراف لا يتم، أو لأن المتكلم عادة ما يكون كلامه محفوفاً بقرينة تعين مراده بحرية ذات الإنسان. ففي هذا الفرض تكون الحرية بهذا المعنى كالحالة الثانية.

وعلى أيّ حال، فإن هذا أهم معاني الحرية، لأن الاتصال بهذا المعنى أو عدم الاتصال لا يعتمد على شيء إلا على نفس الإنسان. وهنا يأتي السؤال: ما هو القيد الذي لو ألقاه عن ظهره لتلبس بالحرية الذاتية؟ إن الجواب عن ذلك يرتبط بالقيم التي يحملها الإنسان في داخله، فإن ما يحمله الإنسان من قيم منوط بها





يحمله من رغبة في التخلص من مضاداتها. هذا النوع من الحرية في نظر القرآن الكريم هو التخلص من الشيطان ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالتحرر هو عين العبودية، والانفصال عن القيود هو عين الانصياع لها.

### نماذج من تعدد استعمالات الحرية

قد تتعدد الأحوال التاريخية، كأحوال الفئة الحاكمة عادلة أم ظالمة، وبطانتها، والصراع بين الشعوب، والقيادة الفكرية فلسفية كانت أو متلبسة بالدين أو غير ذلك. ومن المناسب هنا عرض نماذج متعددة لاستعمالات بعض المفكرين لمصطلح الحرية من أجل الوقوف على مدى مطاطية هذا المصطلح بحسب الأحوال والأغراض وفلسفة المتكلم. فتارة يكون المراد واضحاً، وتارة يكون مبيهاً، وتارة يكون واضحاً من جهة وبهما من جهة أخرى، وهكذا.

يقول مهاتما غاندي: "إن الحرية ليست لها قيمة إذا لم تتضمن الحرية في ارتكاب الأخطاء". ويقول سورن كيركارد: "الناس يتطلبون حرية التعبير كتعويض عن حرية التفكير التي نادراً ما يستعملونها". ويقول مالكوم إكس: "لا يمكن الفصل بين السلام والحرية؛ لأنه لا يمكن أن يكون إنسان يعيش في سلام إذا كان فقداً للحرية". ويقول لينين: "ما دامت هناك دولة، لا يمكن أن توجد حرية. إذا وجدت الحرية، فإن الدولة غير موجودة"<sup>(٣)</sup>.

أما مقوله كيركارد فهو يشير فيها إلى حريتين تختلفان في متعلقيهما، فواحدة راجعة إلى التعبير وأخرى إلى التفكير. والمفهوم من كلامه أن حرية التفكير متاحة للجميع، بينما حرية التعبير منوطه بالنظام السياسي أو الاجتماعي السائد. ولكن لا بد من الرجوع إلى أفكاره الأخرى لمعرفة حدود حرية التعبير التي يشير إليها. فعلى هذا تكون حرية التعبير من المفاهيم المتفاوتة قوة وضعفاً، وفي

هذه الحالة قد يكون ما يعتبره كيركارد حرية هو ما يعتبره آخرون ليس كذلك. والنتيجة واضحة وهي عدم ثبات هذا المفهوم.

أما غاندي، فهو أشار في مقولته إلى حريتين، ثانيةهما مأخوذة قياداً في تعريف الأولى، بدليل أنه لو انتفت الحرية الثانية لما كانت الأولى حرية. فالحرية الثانية وإن عبر عنها بالحرية، إلا أن المقصود بها إما التسامح، أو القانون الذي يفهم الأخطاء، أو غير ذلك. فإنه لو كانت الحرية الثانية كالحرية الأولى للزم تفسير الحرية بالحرية، وهذا مستبعد. وأنت ترى أننا فهمنا الحريتين بمعنى مختلف بتحليل ذهني، وما الذي يمنع الآخرين من تفسيرهما بمعانٍ أخرى، فيحصل الاختلاف. فالمفهوم غير ثابت.

أما كلام لينين فلا بد من جمله وفق مفهوم الدولة الشيوعية المرتبطة التي يؤمن بها لينين. فإن هذه الدولة مسبوقة بمخاضات تاريخية يكثر فيها الأخذ والرد بين الطبقات، وللينين بذلك ي يريد بيان أن الإنسان ما لم يصل إلى رقيه بصيرورته شيوعياً فلا مفر من استعلاء طبقة على طبقة، وهذا معناه أن الدولة موجودة لأنَّ الاستعلاء مساوق لمفهوم الدولة. أما لو وجدت الحرية فهذا معناه أن الإنسان قد وصل إلى ذروة كماله، وانتفت بذلك الدولة لعدم الحاجة إليها. والأقرب أن الحرية وفق هذا التفسير راجعة إلى أفعال الإنسان، بشهادة الصراع المذكور.

أما كلام مالكوم إكس فيحتمل عدة احتمالات، منها أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش في سلام داخلي (أي أن تكون نفسه ثابتة ومطمئنة) إذا كان يفكر بعقل غيره. فالحرية على هذا شأن داخلي يقرره نفس الإنسان، فالقييد داخلي. ويحتمل ثانياً أن يكون المقصود هو الشعب المقيد بالقوانين الجائرة، فهذا الشعب لا يقر له قرار حتى يتور ويأخذ بحقه. فالقييد على هذا التفسير خارجي. ويحتمل ثالثاً بأن

الشعب المقيد بالقوانين الجائرة لا يعيش سالماً بمعنى مطمئناً. وهكذا يتحمل كلامه وجوهاً أخرى.

وقد فصل الدكتور عبد الرحمن بدوي -في موسوعة الفلسفة- المعاني المتعددة التي استعملت فيها كلمة (حرية) على مدى التاريخ، إلى أن وصل إلى استعمالاتها في أوروبا في العصر الحديث، وحصرها في ثلاثة معانٍ:

أ - الحرية تتعلق بالعلاقة الخارجية للكائن الحي مع الوسط المحيط به، وتدل على الإمكان السلبي والإيجابي لأن يفعل ما يريد.

ب - الحرية تدل على علاقة محددة فطرية أو مكتسبة للإنسان مع ذاته ومع فعله، بها يتميز هذا الفعل من التصرف بحسب الهوى. وبهذا المعنى تكون الحرية هي إمكان الإرادة بمعنى معين.

ج - الحرية تدل على أساس اثربولوجى بقتضاه يكون الإنسان نفسه الأصل في إرادة أو عدم إرادة كذا، إنها حرية أو الحرية المتعالية<sup>(٤)</sup>. Liberum arbitrium إرادة كذا، إنها حرية الاختيار.

### لماذا كان تعريف مفهوم الحرية غامضاً

قبل الإجابة عن هذا السؤال، ينبغي تحديد ما هو الشيء المقصود بالغموض. فمقصودنا بالغموض هنا هو مفهوم الحرية عندما يطلق بلا قرينة، فيعود حينئذ إلى الإنسان الحر، وليس المقصود هو الحرية المضافة إلى غير نفس الإنسان كحرية التجوال وحرية التفكير وحرية التعبير، لأن الغامض في تلك الحريات غالباً ليس هو مفهومها بل الغامض فيها هو حدودها الخارجية. فمثلاً لما يحدد كيركارد مقصوده بحرية التعبير، فواضح أن المقصود هو عدم تقيد الناس بموانع التعبير بما يريدون. إنما الغامض في ذلك هو مدى الحرية المطلوبة. فهل يطالب

كير كارد بمجتمع تغيب فيه الدولة، أم يطلب نحوها من الحرية مقيداً بالقوانين الموضوعية؟ وبذلك، فعل ما يسميه هو حرية يعتبرها الشيوعي لا حرية.

أما مفهوم الإنسان الحر، فعلى أن الحرية بصورة إجمالية هي التحرر من القيود، إلا أن النفس الحرة من أي شيء يجب أن تتحرر؟ الجواب عن ذلك في قمة الغموض، وهو راجع في تعريفه إلى ما يعتقد صاحب التعريف. فالبحث تارة يقع في الحد وтارة في الحدود.

ونحن نتسائل هل أن مفهوم الإنسان الحر يمكن فهمه مستقلاً عن الفطرة أو لا يمكن ذلك؟ وبتعبير آخر، لا شك أن العقل يدرك وجود المفاهيم المجردة كالوجود والحرية، ولكن هل إدراك العقل لوجود هذه المفاهيم ناشئ عن كونه معقلاً لانطباعها بعد أن لم تكن موجودة عنده، أم هو كاشف عنها بعد أن أودعها الخالق في فطرته واضطُر إلى التفكير فيها بعد أن كانت جزءاً من جبلته؟ وهذا سؤال مهم في سياق البحث، لأنَّه على التقدير الثاني -وهو الصحيح على ما سيأتي- تثبت الملازمة بين الدين بما هو ملازم للفطرة وتعريف الحرية. فلا بد حينئذ من الاعتماد على الدين في فهم المفاهيم التي هي من قبيل الحرية.

### ما هي الفطرة

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال الراغب الأصفهاني: "وفطر اللهُ الخلقُ هو إيجاده الشيءُ وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال".<sup>(٦)</sup>

لقد ذكر المفسرون عدة احتمالات لهذه الآية، ورجح جمع منهم العلامة في الميزان أنَّ كلمة فطرة في الآية منصوبة على الإلزام أي أنَّ تقدير الكلام هو (و) الزم فطرة الله التي فطر الناس عليها).<sup>(٧)</sup> فالآية تشير إلى ضرورة الإقبال على

الدين وأن ذلك متقوم باختيار الإنسان أن يلزم الهيئة المترشحة في داخله وهي هيئة لا ينالها التغيير ولا التبدل. فالدين بشقيه: بما هو كاشف عن الحقائق الكونية أو أوامر مولوية لا يخالف الفطرة، بمعنى أن النفس لا تجد غضاضة من قبول هذا الدين بما لديها من هيئة مترشحة، ولا تستنكر على فطريتها أن تقبل ما يأتي به هذا الدين، لا بمعنى أنها تحفظ كل ما تحتاج إليه في مقام العلم وفي مقام العمل.

والفرق بينهما إنما هو في التفصيل من قبل الدين والإجمال من قبل الفطرة. وبحسب تعبير العلامة في الميزان معلقاً على قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾<sup>(٨)</sup>: "والمراد فيها بالإنسان الفطري الإنسان الساذج الذي يعيش على الفطرة الإنسانية الذي لم تقسده الأوهام الفكرية والأهواء النفسانية فإنه بالقوة القريبة من الفعل بالنسبة إلى أصول العقائد الحقة وكليات الشرائع الإلهية، فإنه يعيش بيعث وتحريك من فطرته وخصوص خلقته".<sup>(٩)</sup>

ويقول العلامة الشهريستاني في هامش تصحيح الاعتقاد للمفید: "الفطرة هي ما يقتضيه الشيء لو خلي ونفسه وبدون مانع، فإذا قيل: (الصدق فطري في البشر) معناه أن الإنسان لو خلي ونفسه فإن حالته الفطرية تقتضي أن يصدق كلامه..." إلى أن يقول: "وبعبارة فتية (إن الفطرة افتضاء لا ضرورة) كما يصرح بذلك حديث «كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه»".<sup>(١٠)</sup>

### كلام لجون لوك حول الأفكار الفطرية

يعتبر جون لوك (م ١٦٩٠) أباً للليبرالية السياسية الحديثة، وهو صاحب تأثير كبير على من جاء بعده من هذه المدرسة.

قال الدكتور عبد الرحمن بدوي في موسوعة الفلسفة: "لكن جاء لوك وأنكر نظرية الأفكار الفطرية، وقال إن عقل الطفل يولد صفحة بيضاء لم ينقش عليها من

قبل شيء. والدليل على ذلك أن الأطفال لا يعون مبادئ المنطق (الهوية وعدم التناقض). والبدائيون يعيشون دون أن يصوغوا مبادئ المنطق. وشاهد آخر هو أن الناس يختلفون اختلافاً شديداً في تقرير ما هو خير وما هو شر... وهنا يذكر لوك أن هناك شعوباً ليست لديها أية فكرة عن الله وعن العقائد الدينية الأساسية بوجه عام. فلو كان الله قد أعطى أفكاراً فطرية لكان قد أعطى الناس فكرة عن ذاته، لكنه لم يفعل ذلك.

ولا يستطيع المدافع عن الأفكار الفطرية أن يجيب قائلاً: إن بعض الأفكار الفطرية بمعنى أن في الناس استعداداً فطرياً لاكتسابها حالماً يجربون ويتعلمون استخدام عقولهم، إذا بهذا المعنى كل فكرة هي فطرية، ولا محل للتمييز حينئذ بين أفكار فطرية عالية اليقين وبين أفكار غير فطرية أقل مرتبة من اليقين.

ثم يبين الدكتور بدوي أن لوك كان مسيحياً، ولكنه كان يعتقد أن الوحي ينبغي أن يتحقق بواسطة العقل. ويرى لوك أن مصدر المعرفة هو التجربة التي تملأ العقل بالمعلومات بعد أن كان صفة بيضاء<sup>(11)</sup>.

إذن لا محل للفطرة عند جون لوك، ومصدر الأفكار هو التجربة. والمهم هنا هو أن نضع كلامه في الميزان في ظل ما ذكرناه من أصلة الفطرة. نقول إن ما فنده لوك في تناوله للفطرة هو غير الذي ادعيناه من معنى الفطرة. ذلك أن الفطرة كما فسرها مجموعة معلومات أولية يعتقد بوجودها القائلون بالفطرة، ولكن قلنا بأن الفطرة هيئه مترشحة في النفس لفعل من الأفعال، وهي اقتضاء لا ضرورة. فلا يمنع أن تتفاوت من حيث البروز والخفاء، كما في حديث يهودانه وبنصرانه. وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾<sup>(12)</sup>، لأن العلم عرضة للتبدل والتغير ﴿فَمُسْتَقَرٌ وَمُسْتَوْدِعٌ﴾، أما الفطرة فهي هيئه لا تقبل التبدل والتغير ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، ولو كانت سخاً من المعلومات ل كانت كما ذكره جون لوك.



## صمود الفطرة وتهافت الأفكار المضادة لها

لما ثبت أنَّ الخالق فطر الإنسان على كيفية معينة وهي الفطرة ثبت أنها ليست من القضايا العقلية القابلة للنقض. فما ناقش إنسان الفطرة إلا ووقع في التناقض والضبابية، وإن خفيت الضبابية بسبب ضياع الحقائق في ازدحام الكلام وعدم سكوت الجاهل.

إذن يمكن فهم هذه الحقيقة من القرآن الكريم، وهي أن الانطلاق من غير مبدأ **﴿مِنْ رَبِّكَ﴾** يقع في التناقض لا حالة **﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾**<sup>(١٣)</sup>. وهذا بخلاف الفلسفات البشرية، فإن مجرد عدم ادعاءها وصلا بعبدا **﴿مِنْ رَبِّكَ﴾** تكون قد أوقعت نفسها في غير ما ترجو لنفسها من كشف للحقيقة. فالتناقض والضبابية دخيلان فيها منذ البداية. فكيف يتصور للفلسفات البشرية كاللادية والواقعية أن تكشف كشفاً حقيقياً عن مفهوم متتجذر في الفطرية كمفهوم الحرية بالمعنى الذي نبحث عنه. وهذا أول الكلام.

ومن هنا يشير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «أول الدين معرفته»<sup>(١٤)</sup>، أي الدين بالمعنى الذي بينته الآية الكريمة، ذلك الذي لا ينفك عن فطرة الله. ومفهوم ذلك أن من لم ينطق من معرفته لم يصل إلى الدين، وبالتالي جانب الفطرة، وبالتالي وقع في إشكاليات فكرية مستعصية.

### الإمام الحر

منذ استشهاد الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد، وجد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في مرحلة التمهيد للثورة. وكما أن الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ ضحى بشخصيته ومكانته الاجتماعية لما قبل الصلح لكونه أكبر خير يحفظ به الإسلام، كذلك أقدم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ نحو مشروعه بنفس هذه الروح. مع ملاحظة أن

الحسين عليه السلام كان مجال الاعتذار عن المسؤولية عنده أكبر وأكثر مصداقية لمبرر الأوضاع السياسية الصعبة قبل وبعد موت معاوية، ولكونه بذلك يكون على خطى أخيه الحسن عليه السلام بحسب الظاهر، وبذلك يفلت من استنكار سكوته إلى حد كبير.

إلا أن روحه الثائرة ظهرت منذ وقت مبكر في خطاباته لمعاوية ومعاتبته على سوء فعله كقتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله عليه وآله وحاجرا وأصحابه وادعاءه زيادا وقتلها الحضريين وإمارته يزيد. فقال له فيما قال: «واعلم أن الله ليس بناسٍ لك قتلك بالفتنة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبياً يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا قد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية»<sup>(١٥)</sup>. فهو منذ ذلك الحين أعلن الثورة على يزيد، وعلم منه يزيد ذلك.

وظهرت في خطاباته العامة كخطابه للعلماء في مني قبيل موت معاوية. قال واصفاً حزب الشيطان: «في كل بلد منهم على منبره خطيب مصيق، فالأرض لهم شاغرة، وأيديهم فيها ميسوطة، والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد، وذي سطوة على الضعف شديد، مطاع لا يعرف المبديء المعيد»، ثم قال: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فصول الخطام، ولكن لنرى العالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وستنك وأحكامك، فإنكم إلا تنصرونا وتتصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أربنا وإليه المصير»<sup>(١٦)</sup>.

وقال للحر في طريقه إلى كربلاء، لما هدد بالموت: «أفبالموت تخوفني؟ وهل يعلو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول لكم كما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول الله فخوفه ابن عمّه:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى      إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً

وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مذوماً وخالفاً مجرماً  
 أقدم نفسي لا أريد بقاعها لتلقي خميساً في الوعاء عرماً  
 فإن عشت لم ألم وإن مت لم أذم كفى بك ذلاً أن تعيش مرغماً<sup>(١٧)</sup>

وقال في نقل آخر فيما قال: «ليس الموت في سبيل العز إلا حياة خالدة، وليست  
 الحياة مع الذل إلا الموت الذي لا حياة معه». وإن في هذا الكلام لعبرة من أراد فهم  
 الحرية على حقيقتها.

### الحرية في كلماته عَلَيْهِ الْكَلَمُ في كربلاء

منها قوله للحر بن يزيد الرياحي، الذي ترك الدنيا وراءه، واستطاع أن  
 يغلب الفتن باليقين، وجاء تائباً فقال له الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «أنت الحر، كما سنتك أمك،  
 أنت الحر إن شاء الله في الدنيا والآخرة، انزل»<sup>(١٨)</sup>.

وقال: «ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكتنم لا تخافون يوم  
 المعاش، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كتم عرباً كما  
 تزعمون»<sup>(١٩)</sup>.

فبقوله: كونوا أحراراً في دنياكم، أرجعهم إلى ما لا يسعهم إنكاره، وهي  
 البصيرة في قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾<sup>(٢٠)</sup>، وهذا نحو من  
 الحرية، المقصود منه أنه إذا لم يوجد لديكم الدافع لقبول الحق (وهو الدين)،  
 أفاليس لديكم مانع عن قبول الباطل (وهو النفس الحرة؟). وهذه مرتبة من  
 مراتب حرية النفس.

### خاتمة

خلاصة الكلام أن مفهوم الحرية ليس من المجردات الذهنية وحسب، بل لا

بد من انتسابه إلى شيء آخر - كحرية التعبير أو حرية النفس - لكي يوجد في الخارج. وهذا المفهوم تارة يطلق منسوباً أو مع قرينة تدل على مراد المتكلم، ولو إجمالاً، وتارة يطلق ولا يراد منه إلا معناه على إطلاقه. وقلنا بأنه إذا ما أريد نفس المفهوم على إطلاقه فالمراد به هو الإنسان الحر أو النفس الأبية. وتفسير ذلك يرجع إلى ما يحمله الإنسان من قيم ومبادئ. فالمسلم يفسر هذه النفس بالنفس العابدة الخاضعة لله تعالى، فكلما توغلت في الطاعة كلما اشتدت فيها الحرية. والليبرالي يرى أن هذه النفس إنما هي النفس التي لا تخضع لغيرها في التفكير سواء على المستوى الديني أو غيره. وهكذا.

وقد اختلفت استعمالات هذا المصطلح اختلافاً شديداً بحسب العصر والمكان والأحوال والأفكار، وقد استشهدنا نماذج لشدة هذا الاختلاف، ثم ذكرنا ما توصل إليه أحد الباحثين من تفصيل للمعاني الثلاثة التي استعمل فيها هذا المصطلح في العصور المتأخرة.

ثم ذكرنا بأن الفطرة هيئه مترشحة عليها النفس وأنها قوة قريبة من الفعل، وأن تفسير مفهوم قريب من الفطرة كمفهوم الحرية، إذا أريد به حرية النفس، لا يمكن استقراره إلا على أساس يتواافق مع ما جبل عليه الإنسان من فطرة التوحيد وشريعة الإسلام. والدليل على رسوخ الفطرة وتهافت ما يخالفها هو قوله تعالى ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾. وختمنا الحديث بواقوف وكلمات الإمام أبي الأحرار أبي عبد الله الحسين ع عليهما السلام ما يفهمها المنصفون وحري بأن تتربي على مثلها الشعوب وتشرب من عذب ماءها القلوب. والحمد لله أولاً وأخيراً.

- (١) راجع كتاب أسئلة وردود ج ٤ الحنية والتعددية / آية الله الشيخ مصباح اليزدي.
- (٢) النحل: ٩٩.
- (٣) موقع الكتروني [www.thinkexist.com](http://www.thinkexist.com).
- (٤) موسوعة الفلسفة ج ١ ص ٤٥٨.
- (٥) الروم ٣٠.
- (٦) المفردات في غريب القرآن ص ٥٠٣.
- (٧) الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي ج ١٦.
- (٨) البقرة ٢١٣.
- (٩) المصدر ص ١٨٧.
- (١٠) تصحیح الاعتقاد ص ٦١.
- (١١) موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٣٧٤.
- (١٢) النحل ٧٨.
- (١٣) البقرة ١٤٧.
- (١٤) نهج البلاغة الخطبة الأولى ص ٣٥.
- (١٥) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١، ص ١٥٧.
- (١٦) موسوعة كلمات الإمام الحسين ع ص ٣٣٧.
- (١٧) الإرشاد للمفید ج ٢، ص ٨١.
- (١٨) المصدر ص ٥٢٩.
- (١٩) المصدر ص ٦٠٧.
- (٢٠) القيامة ١٤.



# الشباب والحياة العلمية

## حسين علي أبو رويس

بسم الله وله الحمد، والصلوة والسلام على محمد المصطفى، وعلى آله أئمته الهدى، وعلى نور أبصار الورى، وحافظ الشريعة العظمى، الإمام المهدي المفدى عليه السلام، روحى وأرواح العلمين له الفداء...

تمهيد

الشباب مرحلة زمنية مهمة من عمر الإنسان، وقد اعتبرها الدين القويم نقطة الانطلاق لبناء الشخصية النقية، الشخصية الرسالية، الشخصية المضيئة بنور القرآن، والمشعة بهدى الإعيان، فمرحلة الشباب هي مرحلة تفتّق الطاقات المودعة، وتتفجر الموهاب الموقفة، فالإسلام يؤكد

على ضرورة توجيه هذه الطاقات والجهود، وحفظها من شرّ كلّ كفار عنود، فإنّ وجهت وحُفظت صار ذاك الشابّ نفحة من نفحات الجنان، وقطعة من قطعه الإيمان، وإن ضيّعت وأهملت صار ذاك الشابّ نفحة من نفحات النيران، وصورة من صور الشيطان، فالرسول الأعظم عليه السلام كان يكرر المرة تلو الأخرى ويبين أهمية البناء الرصين لهذه المرحلة، حيث جاء في وصيّة له لأبي ذر الغفارى رضي الله عنه قوله: «يَا أَبَا ذِرٍ اغْتَمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ،...»<sup>(١)</sup>، فمن يضيّع شبابه في الملذات، ويقضي أوقاته في الملهيات، لن يحصد إلا الويلات، وطول العذابات. وآه... آه... لما يعترى الشباب في هذه الأعصار من امتحانات عصيبة، وابتلاءات جسيمة، فالغرب قد تکالب عليه بكلّ ما يملك من قدرة، وعزيمة مُرّة، فحرقه عن الإسلام الأصيل، وأبعده عن شريعة سيد المرسلين، فمنذ متى أصبح الشاب لا علاقة له إلا بالماديات، ولا تربطه بيته أية رابطة؟! فكل هدفه في هذه الدنيا العجوز أن يملك أثخن البيوت، وأفضل المراكب، وأن يحوز الأموال الطائلة التي ينفقها في الأمور الباطلة، فالثقافة الغربية قد بدلّت صورة حياته من صورة الإيمان إلى الكفر، ومن صورة الصلاح إلى الفساد، فلباسه غربي، وأكله غربي، ومسكنه غربي، وكلّ جزء من أجزاء حياته صار غربياً، وحينما تقف معه وقفه المنبه، والأخ المذكر، فإذا به يتهمكم ساخراً، ويسمك بالرجوعية هازئاً.

لكن ليست هذه حال كلّ شبابنا المسلم، فلا زال هناك الشباب الوعي الملتزם بمبادئ الإسلام وقيمه، والمحافظ على شريعة الله وسننه، ولا زالت هذه الطبقة من الشباب تمثل العقبة الكؤود أمام أطامع الغرب ومازبه، وهناك أمل كبير في أن تخفي هذه الطبقة روح الإسلام من جديد، وتهدى لظهور صاحب الأمر رضي الله عنه.

هذه صورة مقتضبة عن وضع الشباب في هذه الأيام، ونحاول في هذا المقال أن نقف على محور مهم من المحاور التي تخصّ هذه المرحلة، وهو موضوع يتناول

ارتباط الشباب بالعلم والتعليم، ولا شبهة في أهميته البالغة، حيث أولاه الدين الإسلامي عنابة فائقة، فالقرآن الكريم في كثير من آياته كان يُشيد بالعلماء ومنظتهم الرفيعة عند الله تعالى من جهة، وفي خدمة المجتمعات البشرية من جهة أخرى، قال الله تعالى: ﴿مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلُوا الْعِلْمِ قَاتِمًا بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٣)</sup>، والجامع الحديثية ثرّة بالروايات التي تحتّ على العلم، والتي تبيّن فضله ومكانته، وفي المقام -قبل أن ندخل في صلب الموضوع- نقف على جهتين من الجهات التي ركّزت عليها روايات أهل البيت ع؛ ليتضح للقارئ العزيز مدى ضرورة طرح مثل هذا البحث:

### الجهة الأولى: العلم فريضة

ورد عن أبي عبد الله ع عليهما السلام أنه قال: «قال رسول الله ع عليهما السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم إلا إن الله يحب بغاء العلم»<sup>(٤)</sup>.

مرّ الإنسان منذ نشأته بمراحل مختلفة، استمرّت قرونًا طويلاً، حتى بلغ إلى ما بلغ إليه من التطور على المستوى العلمي والفكري، فالعلوم والتخصصات في عصرنا الحاضر كثيرة ومتعددة، وهنا -وبعد النظر في الحديث السابق- ينشأ تساؤل بالنسبة إلى العلم الذي هو فريضة على كل مسلم، فهل دراسة الإنسان المسلم لأي علم من العلوم تُسقط عنه هذا الواجب؟ فما هي حقيقة هذا العلم؟ وما هي حدوده وأبعاده؟!

الإجابة على ما ذكر موجودة في كلمات أهل بيته العصمة والطهارة ع، وقد أشار إليها علماؤنا الأبرار (زادهم الله رفعه و شأنها) أيضًا:

أ— فقد ورد عن نبينا الأكرم محمد المصطفى ع عليهما السلام أنه قال: «إنما العلم ثلاثة: آية حكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل»<sup>(٥)</sup>، وقد بين

المحدث الفاضل الفيض الكاشاني قد ثنى مراد النبي ﷺ هنا - فقال: "وكان الآية المحكمة إشارة إلى أصول العقائد، فإن براهينها الآيات المحكمات من العالم أو من القرآن، وفي القرآن في غير موضع (إن في ذلك لآيات أو لآية) حيث يذكر دلائل المبدأ والمعاد، والفرضية العادلة إشارة إلى علوم الأخلاق التي محسنها من جنود العقل، ومساويها من جنود الجهل، فإن التحلي بالأول والتخلّي عن الثاني فريضة، وعدالتها كنائية عن توسطها بين طرفي الإفراط والتغريط، والستة القائمة إشارة إلى شرائع الأحكام ومسائل الحلال والحرام".<sup>(٦)</sup>

بـ وقد علق المحدث البارع الفيض الكاشاني قد ثنى على الحديث الآنف الذكر، فبين حقيقة العلم الذي هو فرضية على كل مسلم، حيث قال: "العلم الذي طلبه فرضية على كل مسلم: هو العلم الذي يستكمل به الإنسان بحسب نشأته الأخرىوية، ويحتاج إليه في معرفة نفسه، ومعرفة ربّه، ومعرفة أنبيائه ورسله، وحججه وأياته واليوم الآخر، ومعرفة العمل بما يُسعده ويقربه إلى الله تعالى، وبما يُشققه ويبعده عنه جلّ وعزّ".<sup>(٧)</sup>

والمتحصل أنّ الإنسان المسلم يجب عليه السعي لتحصيل ثلاثة من العلوم:

١ـ أصول العقيدة، من إثبات وجود الله، وصفاته، وأفعاله، والإيمان بعبدًا النبوة، والإمامية، والمعاد.

٢ـ التعرّف على المساوى والمكاره والتخلّي عنها، والتعرّف على المحسن والمكارم والتخلّي بها.

٣ـ معرفة أحكام الله، من الحلال، والحرام، والواجب، والمستحب، والمحظى. وليس المقصود من هذه الثلاثة هو التعمّق والتدقيق، والفحص والتنقيب - مع أنه قد يكون واجباً عيناً على البعض - بل يمكن أن يكتفى بأصول العقيدة العامة بحيث يكون المكلف على يقين واطمئنان من عقيدته، والمبادئ الأساسية

في الأخلاق، والأحكام الشرعية الابتلائية.

والأمر الآخر الذي علينا الوقوف عنده هو أننا مع سعينا في تحصيل هذه العلوم الثلاثة بالمقدار المطلوب علينا السعي في ذات الوقت لتحصيل العلوم الأخرى، كالطب، والهندسة، وغيرها من العلوم الحديثة، فالمجتمع المسلم كما هو بحاجة للفقيه، فهو بحاجة للطبيب، والمهندس، والفيزيائي، إلا أنّ الذي يتخصص في غير العلوم الدينية عليه أن يحصل العلوم الثلاثة المتقدمة بالمقدار المطلوب به، فهي التي تقوده إلى مدارج الكمال، وتأخذ به إلى عالم الجمال، وتبلغه الأمانى والآمال.

### الجهة الثانية: ثواب العالم والمتعلم

قد يستنكر البعض من التركيز والمحث على طلب العلم وتحصيله، فما الشمرة من القراءة، والكتابة، والمطالعة، والباحثة، فهذه الأمور لن تبني لك منزلًا، ولن توفر لك مركبة، فالأفضل بعد أن تحصل على شهادة من إحدى الجامعات أن تتفرّغ للعمل وطلب الرزق، وألا ترهق نفسك بما لا ينفعك شيئاً، وكأنّهم قد غفلوا عن أنّ العلم هو الذي أوجد المركبة الفاخرة، والمنزل الفخم، فلو توقفت عجلة العلم لعاش الناس في ظلمة الجهل ووحشته، ولظللت حياتهم بدائية بسيطة، هذا إذا كان نظرنا للعلم من زاوية المادة والحياة المادية، وإلا فإنّ للعلم على المستوى العقدي والأخلاقي أثراً كبيراً بالغاً، فكلّما تقدم العلم وازدادت الاكتشافات ازداد الإنسان تعلقاً بالخلق الواحد القهار، فكلّ ذرة في هذا الكون دليل على وجوده ووحدانيته، ومن هنا نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام قد بيّنوا رفعة مقام طالب العلم ومحصله، ومنزلة طالب العلم وثوابه، ومن هذه الروايات:

أ— عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله عليه وآله وسليمه: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طریقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتشفع أجنبتها لطالب العلم رضا»

بـ، وَإِنَّهُ يَسْتَغْفِرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ، وَفَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلُ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ لِيَلَةَ الْبَدْرِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَكِنْ وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»<sup>(٨)</sup>.

بـ - عَنْ عَلَيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لَطَلَّبُوهُ وَلَوْ بَسَّفُكَ الْمُهَاجَرَ وَخَوْضَ اللُّجَاجَ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى دَانِيَالَ أَنَّ أَمْقَاتَ عَيْدِي إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُسْتَخْفُ بِحَقِّ أَهْلِ الْعِلْمِ، التَّارِكُ لِلْاقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَأَنَّ أَحَبَّ عَيْدِي إِلَيَّ التَّقِيُّ الطَّالِبُ لِلثَّوَابِ الْجَزِيلِ، الْلَّازِمُ لِلْعُلَمَاءِ، التَّابِعُ لِلْحُلُمَاءِ، الْقَابِلُ عَنِ الْحُكْمَاءِ»<sup>(٩)</sup>.

## المحور الأول: الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ وحياته العلمية

توطئة:

أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ هم منبع العلم ومصدره، وهم أصل المعرفة ومبادرها، والملاحظ للتاريخ الإسلامي لا يجد من كان أبرز منهم في العلم والمعرفة، حيث كانت تحط عندهم رحال العلماء للنهل من فيض علومهم، وكانت تشتدّ إليهم أحزمة الحكماء للاستضاءة من نور هدايتهم، كيف لا يكون ذلك وهم عدل الكتاب الكريم، وصراط الله المستقيم، وهم خزنة علمه، وحفظة سره، ومهبط وحيه، إلا أنّ الظروف السياسية والاجتماعية لم تسعنهم لإظهار وافر مخزونهم، وعظيم مكنونهم، بيد أنّ إمامنا الصادق عَلَيْهِ السَّلَام قد عاش في فترة تاريخية لم يتعرّض خلاها للأذى المباشر المستمر من قبل حكام الجور والظلم، فقد عاش في أواخر أيام الدولة الأموية وكانت في أيام ضعفها وهوانها، وبداية أيام الدولة العباسية وكانت في نشأتها وتأسيسها، فاستطاع إبان هذه الأوضاع نشر جزء من معارفه العظمى، وترويج بعض من ملكاته العليا، فقصده المخالفون والمؤلفون، والمؤمنون

والجادون، وصار قطباً في شتى العلوم، فمن الفقه إلى الحديث، ومن الكلام إلى الأخلاق، ومن الطب إلى الكيمياء، ومن الأحياء إلى الفلك، وغيرها من العلوم التي خرّجت الآلاف من التلاميذ، وكلّ واحد منهم لا تفارق لسانه كلمة «قال الصادق عَلَيْهِ الْكَلْمَةُ».

لذلك فحينما أردنا أن نتعرف على منهج أهل البيت عَلَيْهِ الْكَلْمَةُ في تداول العلوم ونشرها، وجدنا أنّ الوقوف على الجامعة العلمية الكبرى للإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلْمَةُ خير ما يمكن أن يقودنا إلى الطريق الصحيح في التعاطي مع العلوم من حيث التعلم والتعليم، ومن حيث الفهم والتفيهم، وهنا سنقف على أهمّ الخصائص التي اتسمت بها هذه الحاضرة العلمية الكبرى، علّنا نوفق في أن نطبق ذلك في الواقع حياتنا العلمية المعاصرة.

### مميزات مدرسة الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلْمَةُ

#### أولاً: العظمة العلمية للإمام عَلَيْهِ الْكَلْمَةُ

لا أحد كان يشكّ في المستوى العلمي المنقطع النظير الذي كان يتمتع به الإمام عَلَيْهِ الْكَلْمَةُ، وهذه المسألة كما هي واضحة عند المؤلفين فهي واضحة أيضاً عند المخالفين، وإليك بعض أقوال من حضروا عنده عَلَيْهِ الْكَلْمَةُ ونهلو من بحر علمه الزاخر:

١- أبو حنيفة إمام المذهب الحنفي الشهير كان يقول: "ما رأيت أعلم من جعفر بن محمد" <sup>(١٠)</sup>.

٢- وقال مالك إمام المذهب المالكي: "اختلت إلى جعفر بن محمد زماناً، فما كنت أراه إلا على إحدى ثلات خصال: إما مصلياً، وإما صائماً، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله إلا على طهارة" <sup>(١١)</sup>.

وكذلك قال: "ولا يتكلّم بما لا يعنيه، وكان من العلماء العبّاد والزهاد الذين

يخشون الله، وما رأى عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علمًا وعبادة وورعاً<sup>(١٢)</sup>.

٣— قال ابن حجر الهيثمي: "جعفر الصادق نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريج ومالك والسفويانيين وأبي حنيفة وشعبة وأبيو السجستاني"<sup>(١٣)</sup>.

٤— قال أبو بحر الجاحظ أحد علماء القرن الثالث: "جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه، ويقال أنّ أبي حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب"<sup>(١٤)</sup>.

هذه أقوال من لم يؤمن بذهب أهل البيت عليهما السلام، ومع ذلك فهم يخضعون صاغرين أمام العظمة العلمية للإمام عليهما السلام، ولا يكلون إنكار هذه الحقيقة النيرة التي بهرت العقول.

### ثانياً: تأسيس جامعة متنوعة العلوم والمعارف

الجامعة المعرفية كانت متنوعة العلوم والدراسات والبحوث، فالدروس التي كان يلقاها الإمام عليهما السلام لم تكن تقتصر على علوم الدين — من الفقه والحديث والكلام والأخلاق — فحسب، بل اتسعت لتشمل علوم الطب، والفلك، والكيمياء، والأحياء، والهندسة، وغيرها من العلوم، وهذا ما أسهم في نفوذ هذه الجامعة وازدهارها على مستوى العالم الإسلامي آنذاك، حيث صارت هذه الجامعة تضم أكثر من أربعة آلاف طالب من مختلف البلدان الإسلامية، والإمام عليهما السلام كان يوجه كلَّ تلميذ من تلامذته للتخصص الذي يناسبه، فكان كلَّ طالب متخصصاً في مجال أو مجالين، ومن أبرز طلبهاته الذين اشتهروا وذاع صيتهم في البلاد الإسلامية: هشام بن الحكم، وأبيان بن تغلب، ومحمد بن مسلم، والمفضل بن عمر، وجابر بن حيّان، ومؤمن الطاق، وهشام بن سالم.

### ثالثاً: مناظرات الإمام عَلَيْهِ الْكُلُّ لِهُ التَّحْمِيدُ المناظرات التي ردت الشبهات عن الدين الإسلامي

يجدر بنا قبل أن نبيّن هذه الميزة أن نقف على مسائلتين:

\*الأولى: أنّ عصر الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكُلُّ لِهُ التَّحْمِيدُ كان عصر صراع الأفكار والثقافات والمذاهب، فحين اتسعت رقعة العالم الإسلامي افتحت البلاد الإسلامية على المذاهب والتيارات المختلفة، وأصبح هناك خوف كبير عند خلّص المسلمين من أن يؤثر هذا المد المذهبي والثقافي الهائل على عقيدة المسلمين وإيمانهم، فكان لا بدّ من وجود تصدٌّ قويٌّ من علماء الأمة الإسلامية للمحافظة على الدين، وصونه من التحرير والتزوير.

\*الثانية: أنّ أصحاب المذاهب والديانات المختلفة قد انضموا إلى الجامعة الجعفرية لما سمعوا عنها من العظمة، وسمو المكانة، وبهذا صارت الجامعة الجعفرية محطة للمؤلفين والمخالفين، وال المسلمين وغيرهم.

وببناءً على هاتين المسائلتين فإنّ الدين الإسلامي آنذاك كان يعيش خطر الغزو الفكري والثقافي، وكان لا بدّ له من متصدٌّ عارف، بصير، خبير، يدفع الشبهات، ويبيّن مواطن اللبس والاستباها، ومن أجدر من ابن رسول الله عَلَيْهِ الْكُلُّ لِهُ التَّحْمِيدُ الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكُلُّ لِهُ التَّحْمِيدُ، حيث انبرى بكلٍّ صلابة، وحكمة، وبصيرة، ليُزيل الشبهات، ويحلّ المعضلات، فدارت بينه وبين تلك الفرق المناظرات والمطارات، والجلسات العلمية المطولة، حيث حاورهم بالحجج البالغة، ونقاشهم بالأدلة الدامجة، وحادثهم بالأسلوب اللين، وصاحبهم بالخلق الدين، فاتضحت برకته معالم الدين وحدوده، وانقضت بفضلـه سحائب الشرك وأثاره، وأشرقت شمس التشيع المغيبة، واتضحت عظمته المخفيّة.

ومن تلکـ المناظرات التي جرت مع الإمام عَلَيْهِ الْكُلُّ لِهُ التَّحْمِيدُ مناظرـه مع أبي حنيفة، الذي كان من تلامذـه:



فقد جاء أبو حنيفة إلى بيت الإمام الصادق عليه للالتقاء به ذات مرة واستأذن عليه، فحجبه الإمام عليه، وقال أبو حنيفة: "صرت إلى بابه واستأذنت عليه فحجبني، فجاء قوم من أهل الكوفة، فاستأذنوا، فأذن لهم، فدخلت معهم، فلما صرت عنده قلت له: يا ابن رسول الله لو أرسلت إلى أهل الكوفة فنهيهم أن يشتموا أصحاب محمد عليه، فإني تركت بها أكثر من عشرة آلاف يشتمونهم. فقال الإمام عليه: «لا يقبلون مني»، قلت: ومن لا يقبل منك وأنت ابن رسول الله؟! فقال عليه: «أنت من لم تقبل مني، دخلت داري بغير إذني، وجلست بغير أمري، وتكلمت بغيررأي، وقد بلغني أنك تقول بالقياس؟»، قلت: نعم به أقول، قال عليه: «ويحك يا نعمان أول من قاس الله تعالى إبليس حين أمره بالسجود لآدم»، وقال: خلقتني من نار وخلقته من طين، أيما أكبر يا نعمان القتل أو الزنا؟»، قلت: القتل، قال عليه: «جعل الله في القتل شاهدين وفي الزنا أربعة؟ أينقاس لك هذا؟»، قلت: لا، قال عليه: «أيما أكبر البول أو المني؟»، قلت: البول، قال عليه: «فلم أمر الله في البول بالوضوء وفي المني بالغسل؟ أينقاس لك هذا؟»، قلت: لا، قال عليه: «فأيما أكبر الصلاة أو الصيام؟»، قلت: الصلاة، قال عليه: «فلم وجب على الحاضر أن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ أينقاس لك هذا؟»، قلت: لا، قال عليه: «أيما أضعف المرأة أو الرجل؟»، قلت: المرأة، قال عليه: «فلم جعل الله تعالى في الميراث للرجل سهرين وللمرأة سهاما؟ أينقاس لك هذا؟»، قلت: لا، قال عليه: «فلم حكم الله تعالى في من سرق عشرة دراهم بالقطع وإذا قطع رجل يد رجل فعليه ديتها خمسة آلاف درهم؟ أينقاس لك هذا؟»، قلت: لا، قال عليه: «وقد بلغني أنك تفسر آية في كتاب الله وهي ﴿تَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ التَّعْيِمِ﴾ آنـه الطعام والماء البارد في اليوم الصائف»، قلت: نعم، قال له: «دعاكـ رجل وأطعمكـ طعاماً طيباً وأسقاكـ ماء بارداً ثم امتنـ عليكـ به ما كنتـ تنسـبه إلـيه؟»، قلت: البخل، قال عليه: «أـفـيـخـلـ اللـهـ تـعـالـىـ؟!»، قلت: فـماـ

هو؟ قال عليه السلام: «حبنا أهل البيت»<sup>(١٥)</sup>.

#### رابعاً: الطابع النقدي للجامعة الجعفرية

الإمام الصادق عليه السلام مع اهتمامه الكبير بالجانب العلمي والمعزى، إلا أنه لم يغفل عن الجانب السياسي والاجتماعي، حيث جعل الجهة المعرفية منطلقاً وأساساً لنشاطاته السياسية والاجتماعية، فكان منهجه العلمي بدقة وعمقه منهجاً نقدياً فاضحاً لزيف الحكومة الظالمة، وأن تمسكها بقيادة المسلمين تمسك ناتج عن الأهواء، والشهوات، وحب الدنيا، فالإمام عليه السلام حينما كان يبيّن حقيقة الدين، وركائزه، وأركانه، وجه بذلك ضربة قاسية للحكومة الجائرة، إذ أنه بهذا البيان الحق أثبت لعامة المسلمين أنّ المنهج الذي تتبعه الحكومة في تعاطيها مع شؤون الإسلام والمسلمين منهج منحرف، بعيد كلّ بعد عن الحقائق التي جاء بها النبي الأكرم عليه وآله وآل بيته، فأي إسلام هذا الذي يُباح فيه شرب الخمر، والقتل، والعلاقات المحرّمة، والسرقة، والغدر، والنفاق، وغير ذلك مما جعل الأمة الإسلامية في سبات عن الدين القويم، وفي غفلة عن شريعة سيد المرسلين.

#### المحور الثاني: الشباب والحياة العلمية

بعد أن أخذنا إطلالة مجملة حول مميزات مدرسة الإمام الصادق عليه السلام نقف الآن على الواقع العلمي للشباب في الوقت الحاضر، فاللرافق والتابع للسير العلمي والحركة المعرفية عند الشباب المسلم يجد تراجعاً واضحاً، وتخلّفاً ملماساً، وهذا التراجع والتخلّف لم يكن ناتجاً عن فراغ، بل له أسبابه التي ولدته، وجعلته يقود الأمة الإسلامية إلى مراتب متذمّرة في المجال العلمي.

وليس المقام مقام استقصاء كل الأسباب والظروف التي أوجدت لنا هذا الواقع المؤلم، وإيجاد الحلول لها، وإنما سنعرض إلى إشارات تعكس جانبًا من جوانب

الوضع التعليمي عند الشباب المسلم، وهي كالتالي:

### الإشارة الأولى: ربط العملية التعليمية بالهدف الحقيقي

عندما نرجع إلى العلماء القدماء من المسلمين نجد الهمة العالية، والجذب المستمر، والعزيمة الصلبة، فترأهـم يلتذون بالعلم التذاذاً عجيباً جداً، وكأنـهم أعظم الملوك في الأرض، أو أثـرى الأثـرياء في العالم، فـما هو السـر في هذا التعلـق العميق بالعلم والتعلـم؟!

قد يـقال أنـ منشـأ هذا الارتبـاط القـوي هو سـمو الـهدف من جهة، ووضـوحـه من جهة أخرى، فأـولـئـك الـعلمـاء حينـما كانوا يـدرـسـون ويـتـدـرسـون، ويبـحـثـون ويتـبـاحـثـون، كانـ هـمـهمـهمـ الأـعـلـى، وغاـيـتـهمـ الكـبـرـى هيـ إـحـيـاءـ الدـينـ، وإـعـلـاءـ كـلـمةـ اللهـ فيـ الـأـرـضـ، فـهـمـ يـدـرـسـونـ الـكـيـمـيـاءـ وـالـرـياـضـيـاتـ وـغـيرـهاـ منـ الـعـلـومـ لـأـجـلـ ذاتـهاـ، وـإـنـماـ لـبـنـاءـ الـأـمـةـ، وـإـصـلـاحـ الـجـمـعـمـ، وـإـعـدـادـ النـخبـ، فـكـلـمـاـ نـظـرـواـ إـلـىـ الـهـدـفـ وـالـغـاـيـةـ اـزـدـادـواـ شـوـقـاـ وـتـلـهـفـاـ لـطـلـبـ الـعـلـمـ وـتـحـصـلـيـهـ.

وـإـذـاـ وـقـفـتـ فـيـ هـذـهـ الـأـيـامـ مـعـ الشـيـابـ فـإـنـ الـبعـضـ مـنـهـمـ قدـ غـابـ عنـهـ الـهـدـفـ الـحـقـيقـيـ لـطـلـبـ الـعـلـمـ، فـتـرـىـ عـزـيـتـهـ وـاهـنـةـ، وـإـرـادـتـهـ مـتـهـالـكـةـ، فـجـلـ مـاـ يـصـبـوـ إـلـيـهـ هوـ أـنـ يـحـصـلـ عـلـىـ شـهـادـةـ مـنـ إـحـدـىـ الـجـامـعـاتـ تـكـنـهـ مـنـ اـسـتـلـامـ وـظـيـفـةـ مـرـمـوـقةـ، حـتـىـ يـعـيـشـ حـيـاتـهـ المـادـيـةـ بـرـخـاءـ وـهـنـاءـ، وـبـعـدـ أـنـ يـحـصـلـ عـلـىـ هـذـهـ الشـهـادـةـ تـرـاهـ قـدـ وـدـعـ شـيـئـاًـ يـسـمـىـ الـعـلـمـ وـالـمـعـرـفـةـ، وـاعـتـقـدـ فـيـ سـرـيرـتـهـ أـنـ الـمـشـغـلـ بـذـلـكـ مـضـيـعـ لـوقـتـهـ وـعـمـرـهـ.

فلـوـ وـقـفـ هـذـهـ الشـابـ وـأـمـثالـهـ عـلـىـ الـهـدـفـ الـحـقـيقـيـ لـتـحـصـلـ الـعـلـمـ، لـطـلـبـوـهـ بـنـهـمـ وـشـغـفـ كـبـيرـينـ، كـيـفـ لاـ وـقـدـ قـالـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ الـحـلـيـفـةـ: «قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ الـحـلـيـفـةـ: مـنـهـوـمـانـ لـاـ يـشـبـعـانـ طـالـبـ دـنـيـاـ وـطـالـبـ عـلـمـ، فـمـنـ اـقـصـرـ مـنـ الدـنـيـاـ عـلـىـ مـاـ أـحـلـ اللـهـ لـهـ سـلـمـ، وـمـنـ تـنـاوـلـهـاـ مـنـ غـيـرـ حـلـهـاـ هـلـكـ إـلـاـ أـنـ يـتـوبـ أـوـ يـرـاجـعـ، وـمـنـ أـخـذـ الـعـلـمـ مـنـ أـهـلـهـ

وَعَمِلَ بِعِلْمِهِ نَجَا وَمَنْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا فَهِيَ حَظُّهُ»<sup>(١٦)</sup>.

### الإشارة الثانية: الإعداد والتخطيط

التخطيط والإعداد للمناهج الدراسية المعتمدة في الجامعات والمدارس ليس تخطيطاً مناسباً لتخریج فئة متميزة، ونخب بارزة، تقود الأمة إلى الرقيّ والازدهار، وذلك يرجع لأمرین:

**الأول:** أنّ البرامج المعدّة للمتعلمين خلال فتراتهم الدراسية المختلفة برامج ذات أفق محدود، فكلّ مرحلة يكون لها تخطيطها المستقلّ عن المرحلة الأخرى، والمنبه على ذلك أنّ الطالب حينما ينتقل من مرحلة إلى أخرى يحسّ بانتقالة كبيرة جداً بين المرحلتين، ويلاحظ عدم وجود الترابط، بينما تلقاه في المرحلة الأولى والمرحلة الثانية، وهذا الأمر يجعل المعلومات في ذهن الطالب مبعثرة ومشوشة.

**الثاني:** أنّ المناهج المعدّة ليست معدّة لتخریج كفاءات بارزة، أو عناصر فاعلة، وإنّما هي كفيلة بإعداد المتعلمين لديهم ثقافة موسعة في المجال الذي قد تخصصوا فيه، وعلى هذا فكيف سترتقي الأمة ذرى الجد وهي لا تملك مفكرين قادرين على انتشالها من غياب الجهل إلى أفق المعرفة والكمال؟!

### الإشارة الثالثة: التقليد وعدم الإبداع

الأجواء الدراسية الموجودة في الجامعات والمدارس المختلفة ليست أجواءً دافعة نحو الإبداع، والابتكار، والاكتشاف، حيث لا تتوفر الإمكانيات الالزمة لخلق روح الإبداع، وترتب على ذلك أنّ الشعوب الإسلامية أصبحت شعوباً مقلّدة في الفكر والثقافة للأطروحات الغربية، ومستوردة للمواد الاستهلاكية بشتى أنواعها، فهي متّبعة للغرب في الحالات العلمية اتباع الفضيل لأمه، فائيّ



حضرارة هذه التي سوف تُبني، وأي رفعة هذه التي سوف تتحقق؟؟.  
كانت هذه بعض الإشارات التي تمسّ واقعنا العلمي، ويظلّ البحث حول هذه المسألة وتفاصيلها محتاجاً إلى مراجعة، وتدقيق، وتحرٍ أكثر، كي يقف المجتمع المسلم على أسباب الضعف ويحاول معالجتها، ويقف على أسباب القوة ويجهد في تحصيلها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

### المواهش:

- (١) وسائل الشيعة، ج ١، ص ١١٤.
- (٢) آل عمران : ٧.
- (٣) آل عمران : ١٨.
- (٤) الكافي، ج ١، ص ٣٠.
- (٥) الكافي ج ١، ص ٣٢.
- (٦) كتاب الواقي، ج ١، ص ١٣٤.
- (٧) كتاب الواقي، ج ١، ص ١٢٥.
- (٨) الكافي، ج ١، ص ١٣٤.
- (٩) الكافي، ج ١، ص ٣٥.
- (١٠) تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٦٦.
- (١١) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٨٨.
- (١٢) الإمام الصادق علیه السلام والمذاهب الأربعة، ج ١، ص ٥٣.
- (١٣) الصواعق المحرقة، ص ٢٠١.
- (١٤) الإمام الصادق علیه السلام والمذاهب الأربعة، ج ١، ص ٥٥، نقلًا عن رسائل الماجستير.
- (١٥) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٢٢٠.
- (١٦) الكافي، ج ١، ص ٤٦.



# المستشرق جولدزير والسنّة الشريفـة

«نقد وتحليل»

## عبدالرؤوف حن الربيع

### تمهيد

من المباحث الجديرة بالدراسة التي تشغّل المهتمّين بشؤون الحديث الشريف هي تلك التي تتناول آراء المستشرقين وشبهائهم حول السنّة العطرة، وما لها وما عليها من مداخلات ونقوص؛ باعتبار أنَّ ساحة الحديث والسنّة النبوية بوقتها الحسّاس في الشريعة الإسلامية أضحت مسرحاً ومضمراً حياً تتسابق عليه أقلام الاستشراق بالبحث والتحليل، حيث يدخل هذا ضمن مرمى مخطّطاتهم لتبّع كل ما يمس بالدين الحنيف من أفكار وعقائد وأحكام وغيرها، ودراسته بالصورة التي تتلائم مع

فهمهم وميولهم الخاص، ومن ثم عرضه بما يخدم أهدافهم ومصالحهم، وفي هذا البحث المختصر نتناول بال النقد والتحليل نموذجاً وشخصية لامعة في سماء المستشرقين قُتل أفكارها خلاصة مختزلة وعصارة لأبرز ما توصل إليه المستشرقون حول السنة النبوية، وهي شخصية جولدزيهير (١٨٥٠-١٩٢١)<sup>(١)</sup>، والغاية من ذلك هو التعرّف على مدى الموضوعية والبعد العلمي الذي تتوفّر عليه النظرة الاستشرافية حول السنة، والوقوف على طبيعة الخلفيات والعوامل التي على ضوئها تم تشييد هذه النظرة، وأخيراً مناقشة أبرز أسسها ووضعها في الميزان.

### علة اختيار جولدزيهير بالذات

وجه انتخاب شخصية جولدزيهير على وجه الخصوص لم يكن عشوائياً، فهو يعدّ باعتقاد أقرانه أبرز العارفين بالحديث، وأرائه قُتل العدة والأساس لجلّ الدراسات الاستشرافية التي جاءت بعده، أضف إلى تقيّزها بالخطورة وتغلّفها بقالب الاستشهاد والدليل، يقول أحد الباحثين:<sup>(٢)</sup>

"والحق يُقال: إنَّ أَوَّل وأَكْبَر مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوى، كان المستشرق اليهودي جولدزيهير -الذي يُعدّ تلاميذه من المستشرقين والمستغربين على السواء- أعمق العارفين بالحديث النبوى.. يقول عنه كاتب مادة الحديث النبوى في دائرة المعارف الإسلامية (يوهان فوك Fueck): "إنَّ العلم مدین دیناً كبيراً لما كتبه (جولدزيهير) في موضوع الحديث، وقد كان تأثيره على مسار الدراسات الإسلامية الاستشرافية أعظم مما كان لأىٰ من معاصريه من المستشرقين، فقد حدد تحديداً حاسماً اتجاه البحث في هذه الدراسات وتطوره".

## عرض مجمل لأرائه حول السنة النبوية<sup>(٣)</sup>

قام جولدزيهر في البدء بعملية تشكيك شاملة بصحة الأحاديث الموجودة بالموسوعات الروائية، وأنها دونت في عهود متأخرة، مما ساهم في نسيان أو ضياع أو تحريف الكثير منها، والسماح بنشوء ظاهرة الوضع بأوسع أبوابها، وإذا كانت هناك مجموعة منها قد سلمت ولم يسّها التغيير فلا سبيل لنا لمعرفتها، والنتيجة أنَّ ما بأيدينا لا ركون بصدوره عن النبي ﷺ.

ثمَّ قام بتعزيز هذا التشكيك ومبرره أكثر بادعاء أنَّ الحديث تطور تدريجياً؛ فلم يكن بهذه السعة والتقين في أول مهده، وأنَّ السنة أصلها جاهلي، وأنَّها تأثرت باليهودية والنصرانية وغيرها من الفلسفات، وبكلمة مختصرة: كتبنا الحديثة هي باقة من تجارب الحضارات، وهي أضخم مما كان في عصر النبي ﷺ، ومتغير له.

### أبرز الأدلة التي اعتمدتها مع المناقشة

بعد ذكر آراء جولدزيهر الجملة نورد الآن بعض أدلةه التي ساقها لتدعم تلك الآراء، مدرجة بما يناسبها من شبهاته.

#### الشبهة الأولى: لا يمكننا الإذعان بصحة ما في المجاميع الحديثية:

يقول جولدزيهر: "ومن السهل أن يفهم أنَّ وجهات نظرهم -يعني المسلمين- ليست كوجهات النظر عندنا، تلك التي لا تجد لها مجالاً كبيراً في النظر في تلك الأحاديث، التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها، ووقف حيالها لا يحرك ساكناً، ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب السنة أصولاً، وكان ذلك في القرن السابع الهجري، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجري أنواعاً من الأحاديث، كانت مبعثرة، رأوها أحاديث صحيحة"<sup>(٤)</sup>.

ويقول أيضاً: "قد شعر المسلمون في القرن الثاني بأنَّ الاعتراف بصحَّة الأحاديث يجب أن يرجع إلى الشكل فقط، وأنَّه يوجد بين الأحاديث الجيدة الإسناد كثير من الأحاديث الموضعية، وساعدهم على هذا ما ورد من الحديث: «سيكثُر الحديث عنِي من حديثكم بمحدث فطبقوه على كتاب الله فما وافقه فهو مني قلته أو لم أقله» هذا هو المبدأ الذي حدث بعد قليل عند انتشار الوضع"<sup>(٥)</sup>.  
ونستخلص مما مضى:

- ١- ضعف موازين النقد عند المسلمين، إلى الدرجة التي تصل بهم لقبول جميع الصاحح.
- ٢- تبعثر الأحاديث، وتأخر جمعها إلى القرن الثالث.
- ٣- صحَّة الحديث أمر شكلي، أي يكفي في الحكم بصحَّته كون سنه صحيحاً مثلاً.
- ٤- شياع الوضع واحتراق الحديث لجميع ما مرّ، حتى صار مبدأ للمحدثين، وقد شجع عليه ما ورد بجواز الأخذ بكل ما ينسب للنبي ﷺ، حتى فيما لم يقله بشرط موافقته للقرآن.

#### مناقشة هذه الدعاوى:

- أ- يظهر من عبارة "أنَّ وجهات نظرهم -يعني المسلمين- ليست كوجهات النظر عندنا" أنَّ الحكم على المسلمين بضعف النقد هو ناشئ من اختلاف معيارهم النَّقدي عن المعيار الذي يرتضيه المستشرون، وهذا يُعقل لو كان معيارهم هو الأَصْحُ والأَصْوَبُ، وهذا أول الكلام؛ فهم لا يؤمنون بالله جَلَّ جَلَّهُ ورسوله ﷺ وبالغبيّات وسائر العقائد كما يؤمن أهل الإسلام.
- ب- لم تكن أصول وأدوات النقد بحد ذاتها ضعيفة<sup>(٦)</sup>، إلا أنَّ سوء الاستفادة منها لدى البعض يوحي بضعفها، والقول بصحَّة كل الكتب الروائية مختلف فيه،

وفيها من صرّح أصحابها بنقل غيره، ومجرّد هذا لا يقود إلى نصف الاعتماد على كلّ السنة والشكّ فيها.

ج- أمّا تأثيرِ الضمّ والتَّأْلِيف أو حتَّى استفحال حالة الوضع فلا غُرَوٌ أنَّه حرم المسلمين من برَّكات عظيمة، وأوقعهم في أزمات لا زال أثراها باقِيَةً إلى يومنا هذا<sup>(٧)</sup>، وتسبِّب في صعوبة جمع الأحاديث المعتبرة من بين كُمٍ هائل من المرويات المختلطة المفتقرة إلى التمييز؛ حيث كان يتطلَّب نقدُها إلى استفراغ جهدٍ كبيرٍ يستغرق سنين عديدة، إلَّا أنه بِإِزاء ذلك قام العلماء بجهودٍ حثيثة وأنجذوا أعمالاً جباراً<sup>(٨)</sup>، وانتحلوا طرقاً نقديةً دقيقة، داخلية وخارجية، في الشكل والمح토ى<sup>(٩)</sup> تحاكِم كل رواية وتقوم بغربلتها وتقييدها، وظهر معها علم الجرح والتعديل، وعلم فقه الحديث، وغريب الحديث، ومختلف الحديث، وغير ذلك مما ساهم في حلّ الكثير من المعضلات الناجمة من الوضع ومن تأخير التدوين، ومعه لا يُعتذر للمتمسكين بهذه الحجج إصرارهم على عدم الركون لصحَّة أية رواية بعد كلِّ هذا التثبيت.

ثم إنَّ هذا الجواب يصلح لجحارة المستشرقين ولما يناسب مذهب العامة، أمَّا بالنسبة للإماميَّة فالشبهة في مقابلتها واهية وضعيفة، حيث لم يقف عندهم التدوين، ولم يتَّخروا عن عصر النص لامتداده عبر الأئمَّة علَى لِتَّهِ، وتدابيرهم في حفظ السُّنة كانت أحكام، ويكتفى أن يكون المعصوم علَى لِتَّهِ على رأسهم.

د- القول بأنّ صحة الأحاديث تتوقف على الشكل دون المحتوى أمر يجافي الحقيقة وما عليه ديدن العلماء:

"ورأيناهم في علم الحديث والدرية يبحثون عن أحوال الراوي والمروي، وما كانوا يقصدون بالراوي إلا حلقة في سلسلة السند، ولا بالمروي إلا متن الحديث. فعلم مصطلح الحديث -بطبيعة تعريفه- لا يقتصر على مباحث الإسناد، بل يتجاوزها إلى

المسائل المتعلقة بالمن أياً ... ونکاد نلمح في جميع مصطلحاتهم تقسيماً ثائياً مؤلفاً من السندي والمن، ... في بحثي الصحيح والحسن قضية مشتركة خلاصتها أنَّ الصحة قد تتناول السندي والمن معاً، أو السندي دون المن، أو المن دون السندي، ومثلها الحسن في ذلك، فلا يحكم بصحَّة حديث ولا حسنِه إطلاقاً بل يبيَّن نوع صحته أو حسنِه هل وقع في الإسناد أو المن، فما كل ما صحَّ سندياً صحَّ متناً<sup>(١٠)</sup>.

هـ - ادعاؤه أنَّ الوضع صار مبدأً وديداً للمحدثين يفتقر إلى النظرة المنصفة والكاملة، وهو يتنااسب مع رأيه بتطور الحديث واتساعه، فهو يلزمه، وستأتي إن شاء الله مناقشته، وكثرة الوضع وتعدد أغراضه لا يصيِّره أصلًا.

**الشبهة الثانية: حجية السنة ازدادت بالتدريج حتى تساوت مع القرآن**  
في القرن الثالث:

"يرى (جولدزيهر) أنَّ مكانة السنة النبوية في التشريع لم يُسلم بها في العهد الأولي بدليل قول (عمر بن عبد العزيز) لـ (عروة بن الزبير): «اعلم ما تقول» لما أخبره الخبر الأخير بخبر الوحي في مواقف الصلاة، إلا أنَّ هذه الحيرة قد تلاشت مع تطور فكرة الوهبية الحديث في القرنين الثاني والثالث. وعدت السنة مكافئة للقرآن"<sup>(١١)</sup>.

ويرد عليه:

أولاً: إنَّ هذا الاستدلال بين الغيِّ والضعف، فلو قُتلت دلاته على مدحاه لا يتصمد أمام الآيات والبراهين القطعية الدالة على حجية السنة في التشريع والتقنين منذ ظهور الإسلام فكيف ودلاته قاصرة جداً؟! يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١٢)</sup>:  
محصل المعنى أنَّ القصد بنزل هذا الذكر إلى عامة البشر وأئمَّة الناس في

ذلك سواء، وإنما اخترناك لتوجيه الخطاب وإلقاء القول لا لنحتمل قدرة غيبية وإرادة تكوينية إلهية فنجعلك مسيطرًا عليهم وعلى كل شيء بل لأمررين: أحدهما: أن تبيّن للناس ما نزل تدريجيًّا إليهم لأنَّ المعرفة الإلهية لا ينالها الناس بلا واسطة فلا بدّ من بعث واحد منهم للتبيين والتعليم، وهذا هو غرض الرسالة ينزل إليه الوحي فيحمله ثم يؤمر بتبليغه وتعليمه وتبيينه.

والثاني: رجاء أن يتفكّروا فيك فيتبصّروا أنَّ ما جئت به حق من عند الله<sup>(١٣)</sup>.

ثانيًا: الأحاديث الصحيحة الموثوقة بها والثابتة سندًا ومتناً لا ترقى إلى مرتبة التشريع القرآني فضلاً عن مطلق الأحاديث ولو الضعيفة؛ فإنَّ ما صحَّ من الأحاديث يبقى محكمًا للكتاب العزيز والكتاب مهمّين على ذلك، فإنَّ لم يعارض الكتاب أمكن التقنيين والتشريع به ولكن لا يرقى إلى مرتبة التشريع القرآني القطعي الصدور، ثم إنَّا لا نلجأ للسنة الظنية مع وجود النص القرآني الواضح الدلالة.

### الشبهة الثالثة: السنة منقوله عن الجاهليّة والأمّ الأخرى:

" فهو (جولدزيهر) يرجع كل شيء إسلامي إماً إلى عوامل داخلية كففة الجاهليّين وأعرافهم، وإماً إلى عوامل خارجية كاليهوديّة والنصرانيّة واليونانيّة"<sup>(١٤)</sup>.

يقول جولدزيهر: "هناك جمل أخذت من العهد القديم، والعهد الجديد، وأقوال الرّبّانيّين، أو مأخوذة من الأنجليل الموضوعة، وتعاليم من الفلسفة اليونانيّة وأقوال من حكم الفرس والهنود ... كل ذلك أخذ مकانته في الإسلام عن طريق الحديث"<sup>(١٥)</sup>.

ويسجّل عليه النقاط التالية:

أ- مجرد إقرار الدين الإسلامي لجموعة من الأمور التي تبني عليها العقلاه في

المجتمعات وقامت على ضوئها طبيعة مجريات الحياة -أيام الجاهلية أو ما قبلها- كالبيع والشراء لا يعني تأثره أو تبعيته لهذه المجتمعات، كيف وهو قام بإحداث موجة من الانقلاب في المجتمع الجاهلي المنحط ليس لها نظير على مستوى البشرية، حيث حوله من الظلمات والتيه إلى النور والكمال في مدة قياسية جداً باعتراف الجميع ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup> .

ب- من الأمور الطبيعية أن تكون هناك مجموعة مشتركات وتشابه في التعاليم بين الإسلام وغيره من الأديان طالما أنَّ مصدرها واحد وهو الله جل جلاله، وما الإسلام إلا جامع للأصول العامة لهذه الأديان وتكاملها، وجليلٌ أنَّ هذه الأصول -كالتوحيد- والآداب العامة والأخلاق الفاضلة هي واحدة في جميع الأديان السماوية.

ج- القارئ للقرآن والسنة يرى الفرق شاسعاً بين ما جاء فيهما من التعاليم العامة الشاملة، والتشريعات والأحكام والآداب، وبين ما جاء في تعليم التوراة والإنجيل، وحكم الفرس والهنود. ثمَّ كيف يتصور أنَّ الإسلام نقل عن غيره وهو الدين الشامل الكامل الذي اشتمل على ما لم يشتمل عليه ما سبقه؟!<sup>(١٧)</sup> .

**الشبهة الرابعة: أنَّ معظم الأحاديث وضعت متأخرة نتيجة التطور الذي شاب حياة المسلمين:**

يقول جولدزيهير: "إنَّ القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني، وأنَّه ليس صحيحاً ما يقال: من أَنَّه وثيقة الإسلام في عهده الأول عهد الطفولة، ولكنَّه أثر من آثار جهود الإسلام في عصر النضوج"<sup>(١٨)</sup> .

"وعزا إلى هذا التطور ذاته ما طرأ على المبادئ الخلقية التي لم يكن الإسلام

مستعداً لها، وهكذا اشتمل الحديث على المبادئ ذات القوى العالية الخالية من الظواهر وحدها، فأصبحت تدور حول الرحمة ... ويرى (جولدزيهر) أنَّ الأعمال الدينية نفسها قد أصابها التطور، فأصبحت قيمة العمل تقدر بانبيَّة التي رفعت إلى عمله، ومنه جاء الحديث: (إِنَّمَا الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ). وهو يرى أنَّ هذا الحديث جاء متأخراً، ومع ذلك فقد ارتفع شأن هذا الحديث -كما يقول- إلى أن صار فكرة تسيطر على كل الأعمال الدينية<sup>(١٩)</sup>.

يرد على ما تقدَّم:

**أولاً:** إنَّ التقنين والتشريع الإسلامي ليس جهداً بشريًّا أو بقدور البشر أن يأتوا به من حض أنفسهم، فهو نظام سماوي بالغ الإتقان والتناغم، وضعه خالق الوجود اللطيف الخير ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيِّرُ﴾<sup>(٢٠)</sup>، ولو قدر لتجارب أمَّة أو أمَّم أن تضع ديناً محكماً لرأينا اليوم أدياناً بقدرهما، ولا أحد ينكر أنَّ العالم اليوم هو أوسع تطوروًّا وعلماً من سالفيه، ولربما يقال بأنَّه أيضاً الأكثر خبرة وتجربة، فلم يقدر حق الان أن يصنع دستوراً ثابتاً خال من النقص فضلاً أن يسن شريعة عالمية إلى يوم القيمة؟!!

**ثانياً:** لم يتتطور المسلمون وتنتصروا إلا بسبب تعاليم وشريعة الإسلام وليس العكس كما يصور هذا المستشرق.

**ثالثاً:** هذا القول يتجرأ مع أصل عقيدة القرآن في عالمية وخاتمَة الرسالة، وأنَّها محفوظة ومصانة مهما طاولت عليها الخطوب والمحن واعتراضها الدس والنحر، ولو بواسطة العلماء الصالحة الذين ضحّوا بأرواحهم لحفظ الدين، وتحرجوا المرّ والأذى في سبيل إيصال السنة إلينا بأنصع وجه ممكن، ولا ننسى دور أئمَّة الدين عليهنَّ السلام، وعلى رأسهم سيد الأنبياء والمرسلين عليهنَّ السلام الذي خاطبه الله تبارَّكَتْ مُرْسَلَتْهُ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢١)</sup>، ومن لوازم وبركات هذه

الرحمة أن تصلنا رسالته وستته، لا أقلّ بالمستوى الذي لا يضرّ بالغرض من إرساله وبعثته ﷺ.

**رابعاً:** إنّ حديثه عن التقوى أو النية وأمثالها لا يعدو تحليلًا جزئيًّا وبحسب نظره الماديّة ونفسه البغيضة للإسلام، ولا أدرى كيف أمكنه الانعطاف والانحراف إلى هذه التصورات التي تقف في مقابل بعضها المسلمات والمتواترات الواصلة جيلاً بعد جيل ويبدأ ب حيث يستحيل ولو عادة ثلثها والخدش في صحتها؟! وهل من الصواب الاتكاء على شواهد جزئيّة -على فرض تماميتها- لترتيب وإصدار حكم عام وخطير كهذا؟!!

### مدى الموضوعية لآراء جولدزيهر وخلفياتها

باللحظة ما سبق عرضه من كلمات وتصورات جولدزيهر، وبالنظر لنوع وطبيعة الأدلة التي ساقها لتدعمها يكن لنا أن نقيم هذه الآراء من جهة موضوعية، ونرصد ما لها من مقدار علمي، كما سيسمهم ذلك أيضًا في التعرّف على طبيعة الخلفيات التي على ضوئها نسجت وتوّلت.

#### أولاً:- المقدار العلمي لآراء جولدزيهر:

ينبغي لنا بدواً أن نلتفت للنقاط الآتية:

١- أنّ جولدزيهر كثيراً ما يلجأ إلى التحليل وفق ذوقه الخاص من دون أن يستدل عليه، وقد مر علينا مثلاً تحليله بتطور الوهية الحديث من قول عمر بن عبد العزيز لعروة بن الزبير، من غير أن يثبت قوّة ومتانة تحليله.

"اتخذ المستشركون أسلوباً جديداً للوصول إلى هدفهم، وهو تزوير التراث الإسلامي بطريقة التحليل للوصول إلى نتيجة، ولعلمهم بأنَّ التحليل لا بد وأن يبنت على ثوابت تاريخية؛ لذا لجأوا للتحليل المجرد الغير المبني على تلك الثوابت، بل



يعتمد على التفكير العقلي المجرد<sup>(٢٢)</sup>.

٢- أنه بالرغم من عدم قبوله لحجية ما بآيدينا من أحاديث وأنها مختلقة، لكنه يعتمد في ترويج مقولاته على بعضها، فإذا كانت هذه الجموعة من الروايات في نظره حجة فمن أين استقاها؟ وإذا لم تكن كذلك فما الفرق بينها وبين سواها من سائر الأحاديث حتى يختار ما يناسبه ويدرك الباقي؟!

٣- الموضوعية تقتضي ملاحظة جميع الجوانب وتقليل سائر الوجوه حتى ينتخب أسدّها وأكثرها اعتباراً، في حين أنّنا نجد جولدزبهر قد يغضّ الطرف عن نصّ القرآن الصريح، أو إجماع المسلمين قاطبة، أو حقيقة عقلية بيّنة أو غيرها من الأدلة المحكمة ويتمسّك برواية أو حادثة تاريخية عابرة قد تكون ملفقة أو موضوعة ويرتّب عليها النتائج، وهذا تعدّ سافر على روح البحث العلمي.

النتيجة: أنَّ آراء جولدزبهر حول الحديث النبوى هي عارية عن بعد العلمي الرصين، وتفتقر إلى أبسط معانٍ الموضوعية، وبالتالي فهي لا تصلح للاستفادة منها كدليل.

### ثانياً:- الخلفيات التي أثرت في آرائه:

إنَّ أول ما يختلج بالبال بشأن الخلفيات من خلال ما مضى هو التحامل الكبير الذي يكتبه جولدزبهر للإسلام بشكل عام وللحديث بشكل خاص؛ بحيث لم يترك للسنة الشريفة أيّة فضيلة أو منقبة، فهي إما وضع أو مخاض لتجارب الحياة أو سرقة من المضارات الأخرى، ولعلَّ جوهر هذا العداء ناتج من:

### أ- الطبيعة اليهودية:

"... ويضيف الدكتور ألبرت أنَّ الطبيعة اليهودية ومستقبل اليهود كانتا الشغل الشاغل للمستشرق جولدزبهر، وهو نفسه يخبر بذلك قائلاً: "إنَّ اليهودية نبع

حياتي". ... يذكر أوبرت حوراني أنَّ جولدزيهير قد عمل سكرتيراً عاماً للطائفة اليهودية في بودابست، وأنَّه قد كانت لديه معرفة عميقة بالتلמוד والأداب العبرية<sup>(٢٣)</sup>.

**ب - الطبيعة الاستشرافية:** والتي من أهم أهدافها هو السيطرة على اتجاهات الفكر الإسلامي الحديث وإعادة صياغته بما يؤمِّن مصالحها.

"إنَّ الأمر - باختصار - هو أنَّ المستشرقين، قد نجحوا في إعادة ترتيب العقل الإسلامي الحديث، وفق منهجية فكرية وإنسانية تراثية (منتقاة بدقة)، ساعدهم على ذلك، أنَّهم كانوا يملكون الذاكرة التاريخية للأمة على الحقيقة، من خلال سيطرتهم على القسم الأكبر من تراث الإسلام الذي نقلوه في غفلة من الأمة"<sup>(٢٤)</sup>.

**ج - تعلم النقد بالأسلوب الذي انتقد به الأسفار:** وهو أسلوب نسفيٌّ، وقد كسروا به شوكة الأسفار، ويراد تطبيقه بنفس المنوال على التراث الإسلامي كي يسقط هو الآخر عن الاعتبار.

"أما الدكتور أوبرت حوراني فيرى (جولدزيهير) قد طبق المنهج النقدية التي تعلَّمها في ألمانيا (التي نقد العلماء الغربيون بها أسفار الكتاب المقدس وتوصَّلوا بها إلى أنَّ هذه الأسفار قد لحقها التحريف والتبدل والزيادة والنقصان) على النصوص الأساسية للإسلام"<sup>(٢٥)</sup>.

## الخاتمة

في نهاية المطاف نستخلص طائفة من النتائج، من أبرزها:

- ١ - الشبهات الواردة من جولدزيهير وسائر المستشرقين أكثر ما تناله هو مذهب العامة، لابتلائه بمنع التدوين من جهة، واقتصراره على روايات النبي ﷺ فحسب، وارتباطه بالسلطان الجائر، وهذا بخلاف المذهب الإمامي<sup>(٢٦)</sup>.
- ٢ - تشكيك المستشرقين بالحديث من أجل إبعادنا عن البركات والخيرات

المتنوّعة منه، في الوقت الذي يسعون فيه خفاءً لجني بعض الفوائد منه لإعلاء حضارتهم.

٣- رؤية هذه الشبهات والهجمات الشرسة على الإسلام وستّه -بكثرتها قدّيماً وحديثاً- يعكس لنا مقدار ما عاناه علماؤنا الأبرار من مشاق وصعوبات من أجل الحفاظ على سلامة الحديث من الضياع أو التغيير.

٤- تصفيق المستشرقين والغرب لشخصية جولدزيهر والترويج له في الآفاق بالرغم من عدم نزاهته وموضوعيته في البحث العلمي دليل واضح على خوائهم وسفاهة آرائهم، وأنّهم يطرحون الشبهات من باب السياسة. والحمد لله رب العالمين.

### المواهش:

(١) اجتنس جولدزيهر؛ ولد في سنة ١٨٥٠ م في المحر، وهو يهودي من أسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير، نال درجة الدكتوراه الأولى سنة ١٨٧٠ م من جامعة ليپتسك، وبعدها هاجر إلى عدة بلدان منها القاهرة وسوريا وفلسطين، وفي القاهرة استطاع أن يختلف إلى بعض الدروس في الأزهر، وبعد هذا امتيازاً مقارنة بأمثاله. ومنذ هذه الفترة بدأ يعني بالدراسات العربية عامة والإسلامية خاصة.

وفي سنة ١٨٩٤ م صار استاذًا للغات السامية واستقر به الحال في بلاده، ولم يكن يغادرها إلا للمشاركة في مؤتمرات المستشرقين، ونظرًا لطبيعة أسرته، وابتعاده عن الغور في قضايا المجتمعات والسياسة لم ينجز النهج السائد لدى كبار المستشرقين، وهو الاعتماد على ما هو حاضر ومشاهد من مشاكل الشرق كمادة في بحوثهم، بل اختار أسلوب التنقيب في النصوص والوثائق والتدقيق فيها والمقارنة بينها من أجل الوصول إلى النتائج. وقد عدّ المستشرقون من أعظم النوايغ في الشؤون الدينية، وقد اشتهر وذاع صيته بينهم.

مارس الكتابة والتأليف مبكراً، إذ بلغت مؤلفاته ٥٩٢ بحثاً ودراسة، ويعد من أهمّها: «دراسات إسلامية» سنة ١٨٨٩ م، وهو من جزئين، تناول في الجزء الثاني منه أبحاثاً حول تاريخ وتطور الحديث أسهمت بعد ذلك في ظهور سلسلة من أخطر الأبحاث الحديثية إلى يومنا هذا.

و«محاضرات في الإسلام» طبع عام ١٩١٠، و«اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين» عام ١٩٢٠، وهما أشهر أبحاثه وأكثرهما تأثيراً. وتوفي في بلده سنة ١٩٢١م.

تلخيص بتصرف من: موسوعة المستشرقين، د. عبدالرحمن بدوي، ص ١٩٧ - ٢٠٣.

(٢) الاستشراق، د. محمد الشرقاوي، ص ١٢٣.

(٣) يحسن التنبية هنا إلى أمرين:

أولاً: خصّصنا السنة بالنبويّة فقط بسبب اقتصار المستشرقين عليها كما هو حال مذهب العامة، فهم لا يعتقدون بشمولها لسائر المعصومين علیهم السلام كما عليه الشيعة.

الثاني: أن مصطلح السنة والحديث بينهما فرق بسيط: «السنة: قول و فعل و تقرير المعصوم علیهم السلام، والذي يكون منشأً للحكم الشرعي، أما الألفاظ التي تحكي و تنقل السنة فتسمى بالحديث» دروس في علم الدرایة، د. السيد رضا المؤدب، ص ٢٥. إلا أنه كثيراً ما يتافق ويُعَيّرُ عندهما معاً بما يصدر من المعصوم علیهم السلام، غاية الأمر أن جولدزيهر قام بالتفريق بينهما بفارق خاصّة به، وأنهما قد يتعارضان، من باب زيادة التشكيك في صدور الروايات والأحاديث من النبي علیه السلام.

(٤) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدزيهر. نقاً عن: دفاع عن الحديث النبوى، د. أحمد عمر هاشم، ص ٣٤.

(٥) دفاع عن الحديث النبوى، د. أحمد عمر هاشم، ص ٣٧.

(٦) انظر: مبني نقد متن الحديث، قاسم البيضاني، ص ٦٣ - ٦٩.

(٧) انظر: دروس في وضع الحديث، د. ناصر رفيعي الحمي، ص ١٩٩ - ٢٠٦.

(٨) راجع: ن.م ، فصل محاربة الوضع، ص ١٣٣ - ١٤٤.

(٩) انظر: مبني نقد متن الحديث، قاسم البيضاني، ص ١٩ - ٢٧.

(١٠) علوم الحديث، د. صبحي الصالح، ص ٢٧٨.

(١١) نقد الخطاب الاستشرافي، د. ساسي سالم الحاج، ج ١، ص ٤١٨.

(١٢) سورة النحل المباركة: ٤٤.

(١٣) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج ١٢، ص ٢٥٩.

(١٤) نقد الخطاب الاستشرافي، د. ساسي سالم الحاج، ج ١، ص ٤٠٧.

- (١٥) العقيدة والشرعية في الإسلام، جولدزبهر، ص ٥١. عن دفاع عن الحديث النبوى، د. أحمد عمر هاشم، ص ٣٩.
- (١٦) سورة الجمعة المباركة: ٢.
- (١٧) دفاع عن الحديث النبوى، د. أحمد عمر هاشم، ص ٣٩ - ٤٠.
- (١٨) ن.م ، ص ٣٦.
- (١٩) نقد الخطاب الاستشرافي، د. ساسي سالم الحاج، ج ١، ص ٤٢٠.
- (٢٠) سورة الملك المباركة: ١٤.
- (٢١) سورة الأنبياء المباركة: ١٠٧.
- (٢٢) المستشرقون ومنهج التزوير والتلقي في التراث الإسلامي، طارق سرى، ص ١٦٩.
- (٢٣) الاستشراف، د. محمد الشرقاوى، ص ١٢٤.
- (٢٤) الغارة على التراث الإسلامي، جمال سلطان، ص ٥٥.
- (٢٥) الاستشراف، د. محمد الشرقاوى، ص ١٢٦.
- (٢٦) يلاحظ من مجموع شهادات جولدزبهر التفاته إلى (الحديث النبوى) في مدرسة الصحابة فحسب، فيجدر التنبيه في جميع مطاوي البحث إلى افتراق (الحديث النبوى) في مدرسة أهل البيت عليهما السلام عنه في مدرسة الصحابة، وأن بعض النقود لئن سلم توجهها إلى الحديث في المدرسة السنّية لكنها لا تتجه إليه وفق المدرسة الشيعية.



## تحقيق نسخ تفسير القمي ونسخ مختصراته

«القسم الثاني»

محمد علي العربي

مخطوطات التفسير المتداول وأفضل نسخه  
مخطوط هام ونفيس لتفسير القمي المتداول  
وهو من مخطوطات مكتبة مجلس شورى الجمهورية  
الإسلامية، تحت مسمى تفسير القمي، ورقم ٣٨٨٠، كاتبها  
ميرزا محمد الركاوندي الناسخ المعروف لكتب الحديث، ومنها  
كتاب من لا يحضره الفقيه الذي اعتمد في إخراج النسخ  
المطبوعة الآن، وهو منسوخ سنة ١٠٧٤هـ ونسخ هذا  
التفسير سنة ١٠٧٥هـ وهذه صورة آخر ورقة منه وعليها  
اسمه وتاريخ نسخها:



القرآن أولاً وقائلاً نزل الله فيهم به كل محمد الله وعوينه وجوده وكيف  
وكان الفراع من نسخة خنزير المخترفة  
المسارك للنبي البت سلم  
محمد بن عبد الله  
من نسخة  
كمي  
وأمثال المعرف بذنب بن فطيم راجح راكن وبر  
عن عزها دعوه لغيره  
والمرء سمه ورده  
وعص

وهو مخطوط متقن للغاية ومقدمته عين مقدمة التداول، ويتبين للمطالع ما طال المطبوع اليوم من التشويه والسقط والخلل. ففي المطبوع قبل تفصيل أنواع الآي: "قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الهاشمي القمي"<sup>(١)</sup>، ونقله السبط الجزائري عن طبعة إيران سنة ١٣١٣ هـ.

وفي المخطوط هذا: "قال أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي مصنف هذا الكتاب"<sup>(٢)</sup>.

وصورته:

وعليه بكل وهو حبنا وضم الـكـلـ وـلـاـ بـالـحـسـنـ عـلـيـ بـإـبـرـاهـيمـ بـهـاشـمـ الـقـمـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ هـمـ فـالـقـرـآنـ مـنـ نـاسـهـ فـيـ

وفيه تصريح باسم المصنف عليه السلام وأنه ابن هاشم لا الهاشمي.

وتتضح أهمية هذا المخطوط ودقته بما ذكره بعد المقدمة وقبل الدخول في تفسير البسمة، وهذا أمر قد يكون من أهم الأمور وأكثرها أثراً في البحوث الرجالية والفهرستية، وسيقلب كثيراً من الآراء التي أصرت على ما وجدته إشكالاً متيناً على نسبة التفسير، هذا بعد تجاوز مسألة اتحاد نسختنا المتداولة مع نسخ المشايخ كالحر والمجلسى، وبعد الاطمئنان بصحة هذه النسخة، التي لم أجدها من نسبتها لنفسه أو ذكر طريقه لها.

**ففي الموضع المشار إليه من المتداول:**

”أقول: تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، حدثني أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم، قال: حدثني أبي عليهما السلام عن محمد بن أبي عمر عن حماد بن عيسى عن حريث عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: حدثني أبي عن حماد وعبد الرحمن بن أبي نجران وابن فضال عن علي بن عقبة، قال: وحدثني أبي عن النضر بن سويد وأحمد بن محمد بن أبي نصیر عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: وحدثني أبي عن ابن أبي عمر عن حماد عن الحلبى وهشام ابن سالم وعن كلثوم بن العدم عن عبد الله بن سنان وعبد الله بن مسكان وعن صفوان وسيف بن عميرة وأبي حمزة الثمالي وعن عبد الله بن جندب والحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليهما السلام، قال: وحدثني أبي عن حنان وعبد الله بن ميمون القداح وأبان بن عثمان عن عبد الله بن شريك العامري عن مفضل بن عمر وأبي بصير عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام. تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم) قال..”<sup>(٣)</sup> إلى آخر ما ذكر.

**أما في المخطوط فهو هكذا:**

”قال أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي مصنف هذا الكتاب خلائقه:

حدثنا أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر، قال:

حدثنا أبو العسن الجوني علي بن إبراهيم بن محمد، قال: حدثنا أبي عليه السلام عن محمد بن أبي عمير عن حماد بن عيسى عن حرizer عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: وحدثني أبي عن النضر بن سويد وأحمد بن محمد بن أبي نصر عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: وحدثني أبي عن ابن أبي عمير عن حماد عن الحلبـي وهشـام بن سـالم وعن كلثوم بن الـهرـم عن عبد الله بن سنـان وعبد الله بن مـسـكان، وعن صـفـوان وـسيـف بن عـمـيرـة وأـبـي حـمـزة الثـمـالـيـ، وعن عبد الله بن جـنـدـبـ والـحسـينـ بنـ خـالـدـ جـمـيعـاـ عنـ أـبـيـ الـحـسـنـ الرـضـاءـ عليـهـ السـلامـ، قال: وحدثني أبي عن حـنـانـ وـعـبـدـ اللهـ بنـ مـيـمـونـ الـقـدـاحـ وـأـبـانـ بنـ عـثـمـانـ عنـ عبدـ اللهـ بنـ شـرـيكـ الـعـامـريـ وـعـنـ مـفـضـلـ بنـ عـمـرـ وـأـبـيـ بـصـيرـ عنـ أـبـيـ جـعـفـرـ عليـهـ السـلامـ، أـنـهـ قـالـ فـيـ تـفـسـيرـ (بـسـمـ اللهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ)، قـالـ وـحدـثـنـيـ أـبـيـ عـمـرـ بنـ إـبـراهـيمـ الرـاشـديـ وـصـالـحـ بنـ سـعـيدـ وـيـحـيـيـ بنـ عـمـرـانـ الـحـلـبـيـ وـإـسـمـاعـيلـ بنـ مـارـادـ وـأـبـيـ طـالـبـ عبدـ اللهـ بنـ الـصـلـتـ عنـ أـبـيـ يـحـيـيـ عنـ أـبـيـ عبدـ اللهـ عليـهـ السـلامـ قـالـ..<sup>(٤)</sup> الـحـدـيـثـ.

## و صورته:

وأنت خبير بأهمية ما يدل عليه قوله في المخطوط: ”قال أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي مصنف هذا الكتاب حديثه: حدثنا أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: حدثنا أبو الحسن الجواني علي بن إبراهيم بن محمد، قال: حدثنا أبي عليهما السلام عن محمد بن أبي عمير عن..“،  
هذا، عدا ما في قام السند المذكور من تفاوت كثير بينه وبين المطبوع.  
راوي التفسير والمقصود من علي بن إبراهيم في السند الأول

فالتفسir مصدر بلسان مصنفه لا أحد تلامذته كما ادعى جل الأعلام  
المتأخرین، وأبو الحسن الثاني المذکور بعد هذا، هو الجواني الثقة من أصحاب  
الرضا عليهما السلام لا علي بن إبراهيم القمي كما في المتداول، فلا يرد ما أشكل بأن  
السند متهافت وأن المقصود بعلي بن إبراهيم الذي روی عنه العباس هو القمي،  
وقد مر عليك شأن أبي الفضل وطبقته، فقطع هذا المخطوط الشك وصوب الحق  
من كونه الجواني الثقة، الذي قال فيه الشيخ التجاشي:

”علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن  
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام أبو الحسن الجواني ثقة صحيح الحديث.  
له كتاب أخبار صاحب فخ، وكتاب أخبار يحيى بن عبد الله بن حسن (الحسن)،  
أخبرنا العباس بن عمر بن العباس قال: حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني  
من كتابه وسماعه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بكتبه“<sup>(٥)</sup>.

ووقع اسمه في أسانيد الكافي، ويروي عنه سعد بن عبد الله، واشتبه الأمر  
على كثيرين فحسبوه ابن هاشم القمي، ذكره الشيخ الصدوق في العيون في  
حديث عن جماعة قالوا: ”حدثنا محمد بن يعقوب الكليني عليهما السلام“ قال: حدثنا علي بن  
إبراهيم العلوi الجواني، عن موسى بن محمد المحاربي، عن رجل ذكر اسمه، عن أبي  
الحسن الرضا عليهما السلام: أنَّ المؤمن قال له هل رویت من الشعر شيئاً“<sup>(٦)</sup> الحديث.

ويعرف ويميز بكون الخبر منقولاً عن كتاب الصفواني الذي نقل عن نسخته الكليني في الكافي، والصفواني المنقول عنه في الكافي غير محمد بن عبد الله بن قضاة بن صفوان بن مهران الجمال المعروف بالصفواني - وكان حيا سنة ٣٥٢<sup>(٧)</sup> - (شيخ الطائفة ثقة فقيه فاضل) تلميذ الكليني، الذي باهل قاضي الموصل ففلجت يد القاضي واسودت وهلك من غده<sup>(٨)</sup>، فلاحظ<sup>(٩)</sup>.

قال السيد بدر الدين العاملي في حاشيته على الكافي: " قوله: (وفي نسخة الصفواني: علي بن إبراهيم)، هكذا فيما رأينا من النسخ المصححة ولا بد من حمله على إرادة" وفي نسخة الصفواني بهذا السندي والمتن" ، فعلي بن إبراهيم يراد به علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسن الجواني، فإنه من رجال الرضا<sup>عليه السلام</sup>، وحنان بن سدير من رجال الصادق والكاظم<sup>عليهم السلام</sup>، فروايته عن أبيه عن حنان ممکن، ويكون الراوي عن علي بن إبراهيم هذا الصفواني لا صاحب الكتاب<sup>(١٠)</sup>؛ لأنّه ليس في مرتبته، وليس المراد بعلي هذا ابن هاشم؛ لأنّ الراوي عن صاحب الكتاب وحمله عليه يوجب عدم تمامية الكلام؛ والله أعلم"<sup>(١١)</sup> انتهى، وذكر في موضع آخر أنَّ الجواني من مشايخ أَحمد بن محمد بن عيسى<sup>(١٢)</sup>.

والصفواني صاحب النسخة المذكورة، هو أبو أَحمد عبد الله بن عبد الرحمن المعروف، الراوي لكرامات ومعاجز الرضا<sup>عليه السلام</sup>، أورد الشيخ الصدوقي خبراً عنه في العيون<sup>(١٣)</sup>، وذكره آخرون، ولم يعرف بهذا اللقب غيره في طبقته، كما لم يُعرف بهذا اللقب غير محمد بن أَحمد في طبقته، بل لم يشتهر بهذا اللقب غيرهما في الكتب والأخبار الحاضرة.

ولا يتوجه أنه إذا كان "قول أبي الحسن الجواني في أول السندي" قال: حدثنا أبي<sup>عليه السلام</sup> عن محمد بن أبي عمير عن حماد بن عيسى عن حريز" فإنَّ قول: "قال: وحدثني أبي عن النضر بن سويد.." هو للجواني أيضاً؛ إذ جاء بعد الأخيرة: "قال:

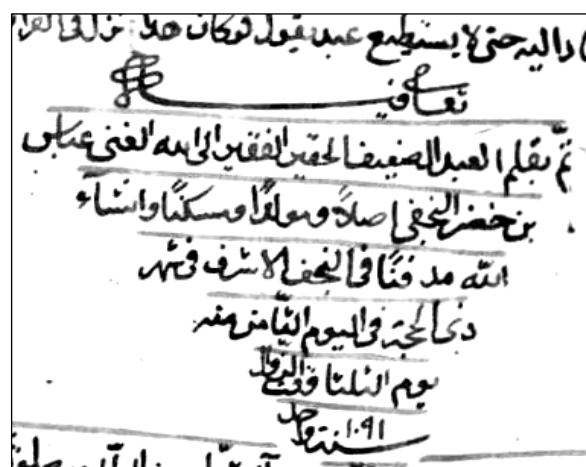
وحدثني أبي عن ابن أبي عمير عن حماد عن الحلببي وهشام بن سالم وعن كلثوم بن الهرم، ولو كان من كلام الجواني لما ناسب أن يذكر سندًا آخر منفصلاً عن أبيه عن أبي عمير عن حماد، بل يكفيه أن يعطف على حماد من روى عنه، فسائل: "حدثني أبي" بعدها هو القمي لا الجواني.

وأمّا الرواية عن القمي في الأسانيد المتعاقبة، فهو من احتملنا أنّه ملخص الكتاب ومضمونه تفسير أبي الجارود، وقد تقدم الكلام فيه.

وقد اتضح لنا أنّها نفس النسخة المتداولة اليوم، المضمنة لتفسير أبي الجارود، بتفاوت واضح في كثير من الموضع، وأنَّ هذا المخطوط أولى بالاعتماد من المتداول؛ فإنَّه أكثر إتقاناً وضبطاً وترتيباً.

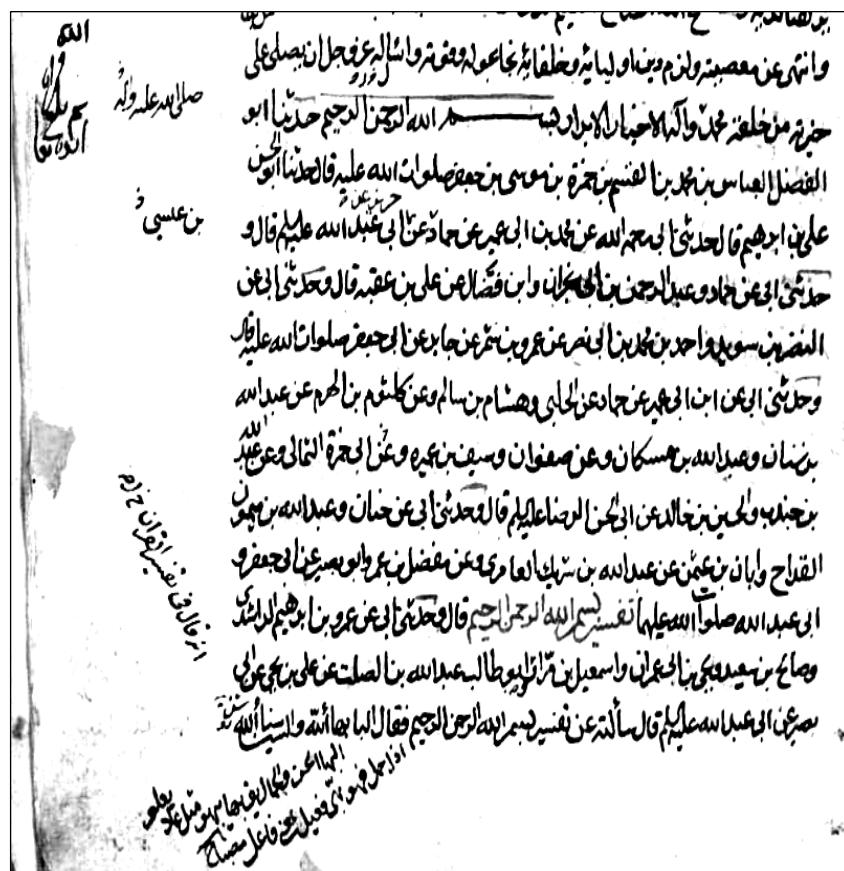
### نسخة أخرى للتفسير المتداول

وهي نسخة مكتبة المجلس كذلك، تحت رقم ١٤٣٩٥، محسنة ببيان المعاني ومقابلة بنسخ أخرى ومصححة، نسخها الشيخ عباس بن خضر النجفي سنة ١٠٩١هـ الذي ذكره الطهراني رحمه الله في الذريعة فيمن نسخوا كتاب التهذيب سنة ١٠٩٥هـ<sup>(١٤)</sup>، وصورة خاتمة ورقة الأخير:



وفي هذا المخطوط لم يأت على ذكر تلك الجملة التي صدرنا بها الكلام في النسخة السابقة وذكرت بتفاوت في النسخة المتداولة، أعني قوله: ”قال أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي مصنف هذا الكتاب“، كما أنَّ هذه النسخة أقل جودة وترتيباً من ساقتها.

وكذا حذف الموضع الثاني الذي ذكرناه في النسخة الأولى، فوافق المتداول، وهذه صورته:



وهذه النسخة قريبة جداً من النسخة المتداولة، مع بعض التفاوت والفوارة. والناظر في المخطوطتين يرجح لديه الأخذ بالأدق والأضبط قليلة الخطأ

والمؤيدة بالشواهد، وهي الأولى، وعليك بالنظر فيهما ليتبين لك ما اخترناه ورجحناه، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار ما قررناه وتلوناه عليك من أنَّ نسخ التفسير غير حاضرة، وما بين أيدينا هي نسخ مختصرة محورة ومزيدة على الأصل، وأنَّ الكلام هنا في أفضل نسخ المتداول لا في نسخ التفسير نفسه.

### نسخ مختصرات تفسير القمي

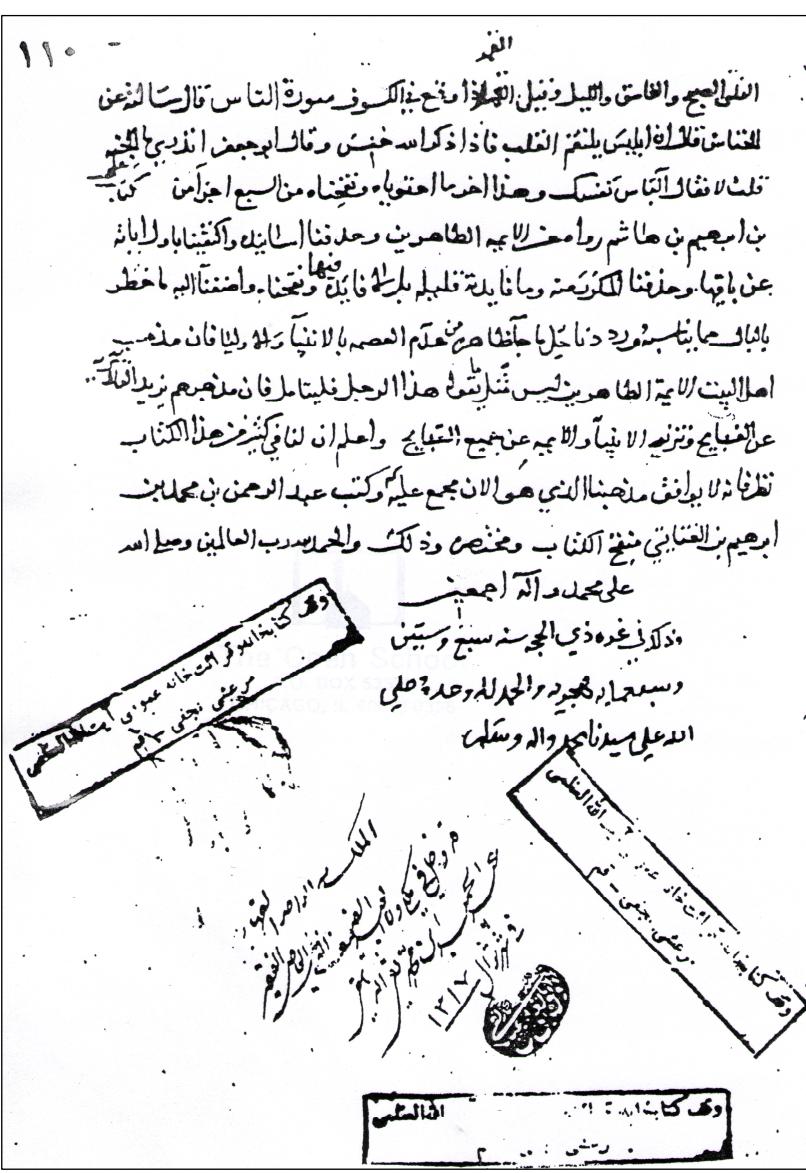
#### مختصر تفسير القمي للشيخ عبد الرحمن بن العتايقي

وهي كثيرة ذكرتها فهارس الكتب والمخطوطات، ولم ير النور منها إلا ما نشره السيد الجلايلي حَفَظَهُ اللَّهُ من مختصر التفسير للشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن العتايقي حَفَظَهُ اللَّهُ، مَنْ رأى العلامة وزامل أو تتلمذ تحت فخر الحققين -رحمهم الله-، أنهى مختصره في غرة ذي الحجة سنة ٧٦٧هـ، ونشره السيد مشكوراً كصورة للنسخة الخطية بقلم المؤلف، المودعة في خزانة مخطوطات السيد المرعشبي حَفَظَهُ اللَّهُ تحت رقم ٢٨٢، ضمن مجموعة من مختصرات ابن العتايقي، قدم السيد الجلايلي لها مقدمة نافعة، ولكونها ناقصة الأول ضم إليها صفحات من التفسير المتداول؛ وأظنه كان يحسب عندها أنَّ العتايقي قد اختصر هذا التفسير المتداول؛ وقد ذكرنا لك أنَّ نسخة التفسير المتداول ما هي إلا مختصر آخر من مختصرات التفسير الأصل مع إضافات وتغييرات عديدة.

ونسخة ابن العتايقي هذه أقدم المختصرات للتفسير المعروف، المقطوع كونها عن أصل تفسير علي بن إبراهيم القمي، وهي بهذا تناول رتبة من الأهمية تفوق المختصرات الأخرى.

ونحمد الله أنَّ وقفنا على نسخة كاملة توافق ما ذكره الشيخ الطهراني في ذريعته -عند تعريف مختصر ابن العتايقي<sup>(١٥)</sup>- المقوله عن نسخة صاحب الروضات حَفَظَهُ اللَّهُ، وهي نسخة مجلس الشورى في الجمهورية الإسلامية تحت

رقم ١٢٢١٦، ناسخها حسام بن ناصر الدين بن محمد العلوى - ولم أجد ترجمة له حتى هذا الوقت - أنهى نسخها في يوم الثلاثاء الثاني من شهر صفر لسنة ٩٨٤هـ .  
وهذه صورة ختامها من النسخة التي بخط المؤلف:



وهذه صورة ختامها من النسخة الكاملة لمجلس الشورى:

وجاء في أوها:

”بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَبَعْدَ؛ فَإِنِّي وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ الْأَسْتَاذِ الْفَاضِلِ عَلَيْ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَشَمِ الْقَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - فَوُجِدَتْ كِتَابًا ضَخِمًا قَابِلًا لِلاختِصارِ، فَأَحَبَبْتُ أَنْ أَخْتُصِرَهُ بِإِسْتَادِيَّةِ الْأَسَايِيدِ وَالْمَكْرَرَاتِ وَحْذِفَ بَعْضَ لُفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِشَهْرَتِهِ، إِلَّا مَا لَا بَدْ مِنْهُ وَبِحَذْفِ مَا [فَائِدَتِهِ] قَلِيلَةٌ، وَرَبِّمَا أُضِيفَ إِلَى الْكِتَابِ مَا يُلِيقُ بِهِ“<sup>(١٦)</sup>.

وَمَا ذُكِرَهُ بِحَلْلِهِ مِنْ كُونِهِ مُؤْلِفًا ضَخِمًا - مِنْ سَبْعَةِ أَجْزَاءٍ كَمَا فِي خَلْقَةِ هَذَا الْمُخْتَصِرِ - يَعْضُدُهَا مَا ذُكِرَهُ السَّيِّدُ ابْنُ طَاوُوسَ فِي سَعْدِ السَّعُودِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ ضَمْنَ مَجْلِدَيْنِ، وَصَلَهُ بِرَوَايَةِ حَفِيدِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَالَ أَنَّ الْكِتَابَ لَدِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ فِي مَجْلِدَيْنِ، وَهَذَا شَاهِدٌ عَلَى أَنَّ لِلتَّفْسِيرِ الْمُتَدَالِوْلِ

أصلاً أكبر منه.

وقال في آخره "هذا آخر ما احتويناه ونقتنه من سبعة أجزاء من كتاب علي بن إبراهيم بن هاشم القمي وأضفنا إليه ما خطر ببالنا مما يناسبه وردتنا ما جاء ظاهره في عدم العصمة بالأنبياء والأولياء فإن مذهب أهل البيت عليهم السلام ليس ما يقوله هذا الرجل فليتأمل، فإن مذهبهم تريره الأنبياء والأئمة عن جميع القبائح، واعلم أن لنا في كثير من هذا الكتاب نظراً فإنه لا يوافق مذهب الذي هو الآن مجمع عليه. وكتب عبد الرحمن ابن محمد بن إبراهيم بن العتايقي منقح الكتاب ومختصره. وذلك في غرة ذي الحجة ٧٦٧ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين".

وهذه صورته لمقدمته من النسخة الكاملة:



## ما يمتاز به مختصر ابن العتايقي

في هذا المختصر الكثير مما ليس في المداول، وأغلبه منقول بنصه إلا ما اختاره ابن العتايقي من الروايات واقتصر عليه دون أن يورد تمامه، وتعهد أول الكتاب أن يذكر أمام كل رواية رمزاً للإمام القائل، فرمز (ب) للباقر ورمز (ص) للصادق عليهما السلام، لكنه لم ينجز هذا الأسلوب دائماً، كما أنَّ هذا المختصر قد خلا تماماً من روايات أبي الجارود وتفسيره المعروف عن الباقر عليهما السلام، وزاد فيه مصنفه الشيخ عبد الرحمن ابن العتايقي بعض التعاليق مما لا يخل بالرواية ويوضح بأدنه تأمل، غالباً ما يسبقها بلفظ (أقول)، وقد لاحظنا بعض الاختلاف في ترتيب بعض السور وفي أسمائها التي صارت معروفة بغيرها اليوم.

كما أنه رمى القمي بالقول الشاذ والتقصير في معرفة مقامات المعصومين عليهما السلام، بين هذا في عدة مواضع، وختم الكتاب بالتأكيد عليها، ومضت صورة الخاتمة التي حوت ذلك، ومن ذلك قوله:

”قوله: (إنك لا تهدي من أحببت)، عن أبي عباس قال: قال الصادق عليهما السلام: نزلت في أبي طالب، وكان النبي عليهما السلام يحبه، ويقول له: يا عم، أشهد أن لا إله إلا الله أنت أنت بها يوم القيمة، فيقول: يا ابن أخي، أنا أعلم بنفسي، فلما مات شهد العباس عند النبي عليهما السلام أنه تكلم بها قبل الموت، فقال النبي عليهما السلام: أما أنا فلم أسمعها، وإني أرجو أن تتفعل يوم القيمة“<sup>(١٧)</sup>. أقول: الإجماع من الإمامية منعقد على أنَّ أبي طالب أسلم وكان من أولياء الله، وروي عن أهل البيت في ذلك، وما ذهب إليه المصطفى شأن لا يعمل عليه، فإنَّ المشهور خلافه، ومن يتبع سيرة أبي طالب وأقاويله وذوذه عن النبي عليهما السلام وأشعاره التي تدل على إيمانه..“<sup>(١٨)</sup>، إلى آخر ما قاله ابن العتايقي عليهما السلام، وهذه صورته:

امام قوله امك كلثمي من احبيت عن أبي العباس قال قال الصادق  
 عم نزلت في أبي طالب و كان النبي صرا الله عليه وسلم يحبه و حينما  
 ياعم اشتهر ذات لام الاراده ان تحملها يوم العيده فیقولوا  
 بن اخي انا لعلم بغضي بثبات شهد العباس عند النبي ما تعلم  
 بما ينزل الموت فقال أبايني اما أنا فلم اسمعها و اني ارجو ان افتحه  
 يوم العيده لاقيل اما الجائع من الامايمه من عقد على ان اطلب  
 اسلام وكلذ من اولئه الله و روى عن اهل البيت ذكر ما  
 ذهب اليه للصنف شاهد لا يعلم خارج المشرقي خلافه  
 ومن يشع سيره الى طالب و اقاميل دن وده عن ابيه و اسما  
 التي يدل على امامته عن ذلك قويه  
 اوصي من ينصر ابي الحسن شهادة عليا ابني و شهادة عباس  
 و حزن الامهه لخلي فرسنه و يحضر اأن يذعف دادونه  
 كوفوار عذر الالم ذاتي و مأولهه يضر احد دون الناس اتسا

### مخالفات التفسير المتداول لمختصر ابن العتايقي

ومخالفاته للمتداول بدأ من أول صفحة منه إلى أواخره، من ذلك:

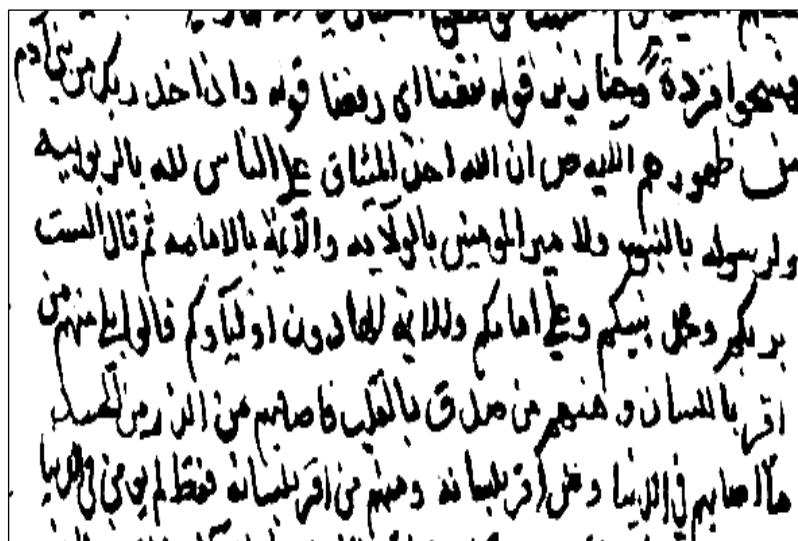
من أوله ما صورته:

والحقيقة تفسير ليس بسم الله الرحمن الرحيم آيات الله والآيات سبعة  
 و بالمقدمة الله والله الله كل بني و ماله الله والرحمن يحي خلقه والرحم بالوبين  
 خاصة د قال معنى الاف الله للا الله على خلقه وهي المفروضات  
 انت من خالق مخدا الله د قال البسم الله اود آية من فاتحة الكتاب اقوله قال  
 الشافعي وقال با في العقائد الها هيست بايه وقال بن عباس من يكع  
 نند ترك ما يابة و اربع عشرة من كتاب المدحى احق ما جرى بما في  
 الصلاة وهي لا يحيى قال الله و اد اذكرت و يذكر في القرآن و حدث ولها  
 على ادبائهم نوراً و ذكرها و فيها كانت تسمع لقراءة النبي صلى الله عليه

ولفظ الخبر الثاني – وهو قوله: "وقال: معنى الألف" – مروي في عددٍ مصادر معتبرة، منها التوحيد للشيخ الصدوق رواه بسنده عن صفوان عمن حدثه، وساقه بمثل ما رواه ابن العتايقي، واقتصر في المتداول على الحديث الأول ببعض التفاوت.

وهذا المختصر فيه موافقات كثيرة لما ذكره ورواه المتقدمون من ذكرناهم، وما رواه الشيخ حسن بن سليمان الحلبي في مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله، والسيد شرف الدين الحسيني في تأویل الآيات، كما مرّ عليك، ونذكره مفصلاً في مطوى هذا المقال إن شاء الله تعالى.

وما ذكره موافقاً للبصائر ومخالفاً للمتداول ووعدنا بذكره عن التكلم عن نسخ تفسير ما بعد القرن الثامن هو ما صورته<sup>(١٩)</sup>:



وما افترق مختصر تفسير ابن العتايقي بذكره عن التفسير ولا وجود له في المتداول:

قول العتائقي في مختصر التفسير:

" قوله: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَكِيلِهِ سُلْطَانًا ﴾، قال: نزلت في قاتل  
الحسين عليه السلام" <sup>(٢٠)</sup>.

وهذه صورتها:

**وَبَطَّلَ الْكِلَابُ فِيهَا، أَنْ يُبَطِّلَ طَوِيلَكَ نِيرَفَ رِتَاعَهُ مُحْسِنَاتُ الشَّيْبِ تُرَى  
وَمَنْ تَلَنْظَلَ مَنْ تَلَنْظَلَ مَا نَلَجَمْلَنَا لِرَبِّهِ سُلْطَانًا فَأَنَّالَ زَلْتَ فِي تَائِلَلِحَيْنِ عَلَيْهِ الْمُلْكُ تُولَّهُ**

ورواها السيد شرف الدين الحسيني مسندة عن جابر عن أبي جعفر عليهما السلام في  
تأويل الآيات بعينها <sup>(٢١)</sup>.

ورواها في البرهان عن التفسير <sup>(٢٢)</sup>، والذي سبق منا القول أنَّ السيد  
التوبلاني قد نسخته هي هذه النسخة المتداولة اليوم وينقل عنها في غير موضع،  
والتابع والنظر قاض بآنه لا نسخة لديه غيرها، وكل ما رواه مما ليس في المتداول  
تجده بعينه في كتاب تأويل الآيات للسيد شرف الدين الحسيني عليه السلام، وهذا متكرر  
منه في أكثر من رواية ونسبتها، وهو من سهو قلمه الشريف. ورواه العياشي  
في تفسيره عن جابر <sup>(٢٣)</sup> كذلك.

وممَّا ليس في المتداول أيضاً تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتُوِي الْمُحْسَنَةُ وَلَا  
السَّيْئَةُ ﴾ <sup>(٢٤)</sup>، ففي مختصر ابن العثايفي:

" قوله: ﴿ وَلَا تَسْتُوِي الْمُحْسَنَةُ وَلَا السَّيْئَةُ ﴾، قال: الحسنة التقية، والسيئة  
الإذاعة" <sup>(٢٥)</sup>.

وصورته من المخطوط:

**الَّتِي كُنْتُمْ تَعْلَمُنَ مِنْ أُولَئِكَمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَنِ الْمُرْتَدِ مِنِ الْيَمَامَةِ قُولَهُ  
وَفِي الْأُخْرِيِّ كَيْنَهَا  
وَلَا يَسْتُوِي لِلْمُحْسَنَةِ وَلَا السَّيْئَةِ ثَقَالُ الْحَيَاةِ التَّقِيَّةِ وَالسَّيْئَةِ لَا ذَاعَمُ قُولَهُ فَهَا إِنَّهُ  
فِي الْحَيَاةِ الْأَمَمَةِ الْمُرْتَدِ**

وفي تأويل الآيات عن التفسير موافقاً لابن العتايقي:

"وقال علي بن إبراهيم في تفسيره: قال أبو جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: «ولا تستوي الحسنة ولا السيئة» إن الحسنة التقبة، والسيئة الإذاعة"<sup>(٢٦)</sup>.

ورواها في الكافي -عبارة تظهر في النقل عن التفسير- عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حرizer، عن أخباره، عن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾، قال: «الحسنة التقبة، والسيئة الإذاعة»، وقوله عز وجل: ﴿إِذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾، قال: «التي هي أحسن التقبة، ﴿فَإِذَا ذَرَّ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاؤُ كَانَهُ وَكَيْ حَمِيمٌ﴾»<sup>(٢٧)</sup>.

وليس في المتداول إلا قوله: «شم أدب الله نبيه عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، قال: ادفع سيئة من أساء إليك بمحستك حتى يكون الذي بينك وبينه عداوة كانهولي حميم»<sup>(٢٨)</sup>.

إلى غيرها من الموارد التي يطول ذكرها، نرجئها إلى التحقيق المطول لهذا المقال الموجز.

### بعض النتائج والتوصيات

- ١- التفسير المتداول هو مختصر -مع زيادة- لإحدى نسخ تفسير علي بن إبراهيم القمي.
- ٢- ليس هناك من أثر لأصل تفسير القمي في مكتبات ومخازن المخطوطات.
- ٣- توصية: نتحمل قوياً وجوده ضمن الكتب المخطوطة في المكتبات الكبرى، فإن كثيراً مما قيل بضياعه قد عثر عليه وسط التراث المترافق غير المفهرس بدقة.
- ٤- الاختصار طال المقدمة ومتنا التفسير مع إضافة أخبار كثيرة من تفسير أبي البارود عن الباقر عليه السلام.
- ٥- المختصر من مؤلفات أحد علمائنا الحبيطين بأسانيد الأخبار التي هي مراسيل

في الكتب الأخرى مسندات في هذا التفسير المتداول، ونسخته من التفسير فيها مخالفات عديدة في الأسانيد مع ما هو موجود في غير مصدر ينقل عن تفسير القمي.

٦- مختصر هذا التفسير هو العالم الجليل محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني عليه السلام صاحب تفسير النعماني وكتاب الغيبة، من تلامذة الكليني وابن عقدة، على احتمال قوي.

٧- نسخة هذا التفسير المتداول لم تشتهر إلا بعد نهاية القرن الثامن، وبقيت نسخ من التفسير الكامل عند بعض علمائنا ونقلوا عنها.

٨- للتفسير المتداول عدة نسخ، أنفسها وأضبطها النسخة الموجودة في مكتبة مجلس الشورى في الجمهورية الإسلامية تحت مسمى تفسير القمي، برقم ٣٨٨٠، كاتبها ميرزا محمد الركاوندي الناسخ المعروف لكتب الحديث.

٩- في نسخة الركاوندي أثبت اسم علي بن إبراهيم صدر التفسير بعد المقدمة على أنه راوٍ عن أبي الفضل العباس العلوي عن علي بن إبراهيم العلوي الجوانبي، لا عن علي بن إبراهيم بن هاشم.

١٠- توصية: نسخة الركاوندي جديرة بالتحقيق والطباعة لتكون بديلاً عن النسخة المتداولة، بعد مقابلتها بالنسخ الأخرى.

١١- أقدم أثر كامل وقفنا عليه من مختصرات تفسير القمي، هو ما اختصره الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن العتايقي، عثينا على نسختين منه، أحدهما بخط المصنف في مكتبة السيد المرعشي عليه السلام، ناقصة من أوها، والأخرى نسخة كاملة منه، في مكتبة مجلس الشورى في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بخط حسام بن ناصر الدين بن محمد العلوي.

١٢- بين مختصر التفسير والتفسير المتداول فروق ومخالفات كثيرة، أثبت العتايقي

في تفسيره ما أسقط أو اختصر في التفسير المتداول.

١٣ - توصية: تحقيق وطباعة هذا الأثر الهام، مع مقابلته بنسخه الموجودة، وتقيييز كلام الرواية من كلام القمي والعتايقي، وهذا ما نعمل عليه الآن.

١٤ - أكثر الكتب المطبوعة الحاضرة نقلًا عن أصل تفسير القمي وبألفاظه هو كتاب تأويل الآيات للسيد شرف الدين الحسيني.

١٥ - توصية: جمع ما ينقله السيد شرف الدين الحسيني والشيخ حسن بن سليمان الحلبي في بصائر الدرجات والسيد بن طاووس في كتبه الكثيرة وما تفرق من مخطوطاته وكراساته في مكتبات العالم، وإضافتها لتفسير ابن العتايقي وما صح من تفسير القمي بعد المقابلة والمقارنة.

وهذا آخر هذا الموجز، نحمده تعالى على إقامته، وصلاة الله على سيد خلقه وأئمته، محمد وآل الأطهار المرتقبين للشرف أعلى سُنَّامَه.

### المواهش:

- (١) تفسير القمي ١ : ٥.
- (٢) المخطوط : ٢.
- (٣) تفسير القمي المتداول : ٢٧-٢٨.
- (٤) التفسير المخطوط : ١١.
- (٥) النجاشي : ٦٨٧ / ٢٦٢-٢٦٣.
- (٦) عيون أخبار الرضا ١: ١٨٧ / ح ١ ب ٤٣.
- (٧) انظر ترجمة الحسن بن سعيد بن حماد الأهوazi في النجاشي: ٥٩ / ر ٥٩.
- (٨) النجاشي: ٩٣٥ / ر ٣٩٣، وترجم له قبلها في رقم ١٠٥٠.
- (٩) في هامش النسخة المطبوعة من الكافي أنه ما في الكافي من عبارة (وفي نسخة الصفواني) هي لمن راجع الكافي وصححه كالشيخ المفید وغيرهم، والصفواني هو محمد بن أحمد من روی الكافي، فلا يمكن أن يروي الكليني عن نسخته، وقد عرفت آنفًا ما في هذه الدعوى وأنَّ الصفواني من مشايخ الكليني وليس هو محمد بن أحمد، وأظن أنَّ الشبهة دخلت من كلام

للمجلسي في البحار ٥٣: ٢٧١، قال: (قلت: والنعمنية بلد بين واسط وبغداد، والظاهر أنَّ منه الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب الشهير بالنعمني المعروف بابن أبي زينب تلميذ الكليني وهو صاحب الغيبة والتفسير، وهو والشيخ الصفواني المعاصر له، قد ضبط كل واحد منها نسخة الكافي ولذا ترى أنه قد يقع في الكافي كثيراً؛ وفي نسخة النعمني كذا، وفي نسخة الصفواني كذا)، لكن ليس في نسخ الكافي المطبوعة وما اطلعنا عليها وجود نقل عن نسخة النعمني، ولعله في نسخ عليها زيادات بعض العلماء النساخ، كنسخ النعمني والصفواني الآخر روای الكافی.

(١٠) يعني الشيخ الكليني.

(١١) الحاشية على الكافي: ٢٠٢، وكذا ذكر المازندراني في شرحه ١: ٣٠٤.

(١٢) الحاشية على الكافي: ١٩٦.

(١٣) عيون أخبار الرضا ع: ٢٢٨ / ح ١٦ ب ٤٧.

(١٤) الذريعة ٥: ٤٠.

(١٥) الذريعة ٢٥: ٤١.

(١٦) المخطوط: الورقة الأولى.

(١٧) تفسير القمي المتداول ٢: ١٤٢ من سورة القصص، بتفاوت.

(١٨) مخطوط ابن العتايقي (نسخة الشورى): ورقة ١٠٤.

(١٩) مخطوط تفسير ابن العتايقي (نسخة مجلس الشورى): ٤١.

(٢٠) مخطوط تفسير ابن العتايقي (المرعشى): ١٩٥.

(٢١) تأویل الآیات ١: ٢٧٩-٢٨٠.

(٢٢) تفسير البرهان ٣: ٥٢٨.

(٢٣) تفسير العياشي ٢: ٢٩٠ / ح ٦٥ سورة الإسراء.

(٢٤) فصلت (السجدة): ٣٤.

(٢٥) مخطوط مختصر ابن العتايقي (مرعشى): ١٤٣ س ٢٠-٢١.

(٢٦) تأویل الآیات ٢: ٥٤٠ / ح ١٥.

(٢٧) الكافي ٢: ٢١٨ / ح ٦.

(٢٨) التفسير المتداول ٢: ٢٦٦.



## وقوع الطلاق بالكتابية.. ورده

### علي فاضل الصدوي

بسم الله الرحمن الرحيم وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ  
وآلِهِ.

قال في المسالك: ”اتفق الأصحاب على عدم وقوع الطلاق بالكتابة للحاضر قادر على التلفظ، واختلفوا في وقوعه من الغائب، فذهب الأكثر - ومنهم الشيخ في المبسوط<sup>(١)</sup> والخلاف<sup>(٢)</sup> مدعياً فيه الإجماع - إلى العدم أيضاً - إلى أن قال - وذهب الشيخ في النهاية<sup>(٣)</sup> وأتباعه<sup>(٤)</sup> إلى وقوعه من الغائب..“<sup>(٥)</sup>، وهو الذي مال إليه في المسالك، واستقر به الفاضل السبزواري قتيل<sup>(٦)</sup>، والمحدث الكاشاني قتيل<sup>(٧)</sup>، وصار أحد المعاصرين<sup>عليهم السلام</sup> إلى وقوعه بالكتابة وإن كان الكاتب حاضراً قادرًا على التلفظ<sup>(٨)</sup>،

هذه جملة الأقوال عندنا، وأما العامة فجمهورهم على وقوع الطلاق بالكتابة مطلقاً، قال في المغني: "إذا كتب الطلاق فإن نواه طلقت زوجته، وبهذا قال الشعبي والنخعي والزهري والحكم وأبو حنيفة ومالك، وهو المنصوص عن الشافعي، وذكر

بعض أصحابه: أن له قوله آخر أنه لا يقع به طلاق وإن نواه<sup>(٩)</sup>، وعلى أي حال فالبحث في هذه المسألة يستدعي رسم أمور تمهّد لذلك، وهي كما يلي:

أولاً: في محل الكلام، وهو ما لو كتب بطلاق امرأته ناويأ له، كما لو كتب «فلانة طلاق»، لا ما إذا تلفظ به مع الشرائط ثم كتبه؛ إذ الكتابة حينئذ توثيق له، ولا ما إذا كتب به غير ناوٍ له أو إذا كتبه ناويأ و沐لاً إياه على بلوغ الكتاب؛ فإنه لا يقع وإن تلفظ به غير ناوٍ له أو ناويأ وكان معلقاً فضلاً عما إذا كتبه كذلك.

ثانياً: لا شبهة ولا خلاف في وقوع الطلاق بالكتابة من الآخرين، وقد دلت عليه صحيحة أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي نَصْرِ الْبَزَنْطِيِّ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عَنِ الرَّجُلِ تَكُونُ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ يَصْمُتُ وَلَا يَتَكَلَّمُ، قَالَ: «أَخْرَسُ هُوَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَيُعْلَمُ مِنْهُ بُغْضٌ لِامْرَأَتِهِ وَكَرَاهَةٌ لَهَا، أَيْجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَنْهُ وَلِيْهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يَكْتُبُ وَيُشَهِّدُ عَلَى ذَلِكِ..»<sup>(١٠)</sup>.

ثالثاً: دلت جملة من الروايات على اعتبار اللفظ في وقوع الطلاق، منها صحيحة مُحَمَّدٍ بْنِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَجُلٍ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ أَوْ بَائِتَةٌ أَوْ بَرَيَّةٌ أَوْ خَلِيلَةٌ. قَالَ: «هَذَا كُلُّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، إِنَّمَا الطَّلاقُ أَنْ يَقُولَ لَهَا فِي قَبْلِ الْعِدَةِ بَعْدَ مَا تَطَهَّرَ مِنْ مَحِيضِهَا قَبْلَ أَنْ يُجَامِعَهَا: أَنْتِ طَالِقٌ أَوْ اعْتَدَيْتِ يُرِيدُ بِذَلِكَ الطَّلاقَ، وَيُشَهِّدَ عَلَى ذَلِكَ رَجُلُّنِي عَدْلِيُّنِي»<sup>(١١)</sup>.

ومنها صحيحة الحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «الطَّلاقُ أَنْ يَقُولَ لَهَا اعْتَدَّيْ، أَوْ يَقُولَ لَهَا: أَنْتِ طَالِقٌ»<sup>(١٢)</sup>.

ومنها رواية الحسن بن زياد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الطلاقُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِامْرَأَتِهِ: اخْتَارَتْ نَفْسَهَا فَقَدْ بَانَتْ مِنْهُ، وَ إِنْ اخْتَارَتْ زَوْجَهَا فَلَيْسَ بِشَيْءٍ»، أو يَقُولُ: أَنْتِ طَالِقٌ، فَأَيْ ذَلِكَ فَعَلَ فَقَدْ حَرَمْتَ عَلَيْهِ..»<sup>(١٣)</sup>. وإنما عبرنا عنها بالرواية؛ لجهالتنا الحسن بن زياد، وهو الصيقل الذي يروي عنه ابن مiskan، وإن كان طريق الصدوق قد انتهى إلى ابن مiskan معتبراً.

ومنها ما في الكافي عن حميد بن زياد عن ابن سماعة عن علي بن الحسن الطاطري قال: الذي أجمع عليه في الطلاق أَنْ يَقُولَ: أَنْتِ طَالِقٌ أَوْ اعْتَدَى، وذَكَرَ اللَّهُ قَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ كَيْفَ يُشَهِّدُ عَلَى قَوْلِهِ: اعْتَدَى؟ قَالَ: يَقُولُ: اشْهُدُوا اعْتَدَى. قَالَ أَبْنُ سَمَاعَةَ: غَلَطَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ أَنْ يَقُولَ: اشْهُدُوا اعْتَدَى. قَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَمَاعَةَ: يَنْبَغِي أَنْ يَحْيِيَ الشَّهُودَ إِلَى حَجَلَتِهَا أَوْ يَذْهَبَ بِهَا إِلَى الشَّهُودِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَهَذَا الْمُحَالُ الَّذِي لَا يَكُونُ، وَلَمْ يُوجِبْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا عَلَى الْعِبَادِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: لَيْسَ الطَّلاقُ إِلَّا كَمَا رَوَى بُكَيْرُ بْنُ أَعْيَنَ أَنْ يَقُولَ لَهَا وَهِيَ طَاهِرَةٌ مِنْ غَيْرِ جِمَاعٍ: أَنْتِ طَالِقٌ، وَيُشَهِّدُ شَاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ، وَكُلُّ مَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ مُلْفِي»<sup>(١٤)</sup>.

وبعد رسم هذه الأمور نكون قد وطئنا لبحث مسألتنا بمقتضى القواعد من أصل عملي وإطلاقات، ثم نتناول روایات الباب والمسألة.

#### مقتضى القاعدة:

مقتضى الأصل العملي - كما قيل - بقاء العقد، واستصحاب حكم الزوجية إلى أن يثبت المزيل<sup>(١٥)</sup>. وهذا يصح بناءً على جريان الاستصحاب في الشبهات الحكيمية، وإلا فلا، بل قد يقال: إن استصحاب عدم سعة الإنشاء لعقد الزوجية بأكثر ما لو رجع وأبرز الفراق حاكِمٌ على استصحاب الزوجية.

وفي بعض الكلمات أن مقتضى القاعدة بقطع النظر عن الروايات شمول الإطلاقات لكل أسلوب إنشائي يدل على إرادة الطلاق بشكل صريح أو على

نحو الكنية في الجملة، وأن الكتابة فرد متعارف للعقلاء قديماً وحديثاً في الجاهلية والإسلام<sup>(١)</sup>.

وهذا الكلام مؤلفٌ من مقدمتين صغرى وكبرى، ولعل ما في الجواهر في بيان الأصل يؤشر إلى الكبرى المذكورة؛ إذ قال: "لا ريب في مشروعية الطلاق لرفعه [يعنى النكاح]، فكان المتجه زواله بتحقق مسمى الحاصل بإنشائه بكل لفظ دلّ عليه، لولا ما تعرفه من الأدلة على اعتبار خصوص صيغة خاصة"<sup>(١٧)</sup>.

ويلاحظ على الصغرى منها -لو سلمنا تمامية الكبرى-: أنه لا شاهد على تعارف الكتابة كفرد للإنسان في الأزمنة المعاصرة للمعصوم، وأن الغاية من عناية العقلاء بأمر كتابة العقود والإيقاعات والمعاهدات هي توثيق إنشاءاتها اللغظية، من قبيل ما تضمنته آية كتابة الدين<sup>(١٨)</sup> المستفاد منها الإرشاد إلى رجحان توثيق الدين<sup>(١٩)</sup>.

ويلاحظ على الكبرى بأن الشأن كلّه في إثبات وجود إطلاقات يحرز نظرها إلى جهة البحث، فمثل الآيتين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾<sup>(٢٠)</sup>، و﴿الْطَّلاقُ مَرْتَانٌ...﴾<sup>(٢١)</sup> -لا نظر فيه إلى ذلك، نعم لو وجدت إطلاقات فمقتضها وقوع الطلاق بكل مبرز عرفاً له، والكتابة مبرز كذلك، وإن لم تكن فرداً متعارفاً في زمان النصوص، ودعوى انصراف المطلقات للأسباب المتعارفة مما لا شاهد عليها.

والقول بشمول قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ الْطَّلاقَ أَنْ يَقُولَ: أَنْتِ طَالِقٌ» لشل الكتابة عرفاً<sup>(٢٢)</sup> خلاف الظاهر؛ فإن مفردة (القول) وإن استعملت في التعبير عن المعنى وإن كان بالكتابة، إلا أن المعنى الذي وضعت له هذه المفردة، وهو ما يستبطن دلالةً على التلفظ هو المنصرف إليه عرفاً، بحيث يحتاج غيره من المعاني التي استعملت فيه المفردة إلى عناية.

هذا كله بقطع النظر عن روایات المسألة.

### روایات المسألة:

**الرواية الأولى:** صحیحة زرارة قال: سأله عن رجل كتب إلى امرأته بطلاقها أو كتب بعثق مملوكه ولم ينطق به لسانه. قال: «ليس بشيء حتى ينطق به»<sup>(٢٣)</sup>. وإضمارها لا يعيها بعد أن كان مضمراً مثل زرارة الذي جل روایاته عن الإمام عاشير وإن اتفقت منه الرواية ندوراً عن غير الإمام، فيكون منصرف المسؤول منه هو الإمام عاشير، وهذه هي الضابطة بنظرنا في قبول المضمرات وعدمه بلا دخلة لجلالة الرواية وعدمها في القبول وعدمها.

**الرواية الثانية:** صحیحة زرارة قال: قلت لأبي جعفر عاشير رجل كتب بطلاق امرأته أو بعثق غلامه، ثم بدأ له فمهاه. قال: «ليس ذلك بطلاق ولا علاق حتى يتكلم به»<sup>(٢٤)</sup>.

وهاتان الصحيحتان مما استدل به لمذهب المشهور من عدم وقوع الطلاق بالكتابة مطلقاً. وهناك محاولة للخدشة في ظهور الصيحة الثانية في مطلوب المشهور، وذلك لوجهين:

**الأول:** دعوى أن السائل ليس ناوياً وعازماً على الطلاق؛ بدليل أنه كتب به ثم ماه.

**الثاني:** أن الكتابة لا تكون فعلية إلا إذا صارت خطاباً، ووجهت إلى الطرف الثاني، وأن مجرد الكتابة لا يكون من مصاديق إنشاء الطلاق ما لم يبلغ ذلك إلى الزوجة؛ فإن العقلاء لا يرتبون الأثر على الكتابة التي لم تصل إلى مرحلة الفعلية<sup>(٢٥)</sup>.

ويلاحظ على الوجه الأول أنه إن كان المراد كون حشو الطلاق مؤشراً على عدم إرادة الطلاق جداً - فيرد عليه أن حشو الطلاق المكتوب لا يساو عد نيته

له، بل قول السائل: (أُمَّ بَدَأَهُ شاهد على إرادته الطلاق وعزمها عليه بكتابته). وإن كان المراد أن قوله عَلَيْهِ الْحُكْمُ: «ليس ذلك بطلاق» ناظر لقول السائل: (ثم بداره فمحاه)، أي أن السر في عدم كونه طلاقاً أنه محاه، لا أن السر كونه كتابة لا لفظاً - فيرد عليه أن قوله عَلَيْهِ الْحُكْمُ: «حتى يتكلّم به» ظاهر في أن المدار على التلفظ، وحمل (حتى يتكلّم) على الاعتراف، أي حتى يقر ويعرف به خلاف الظاهر.

ويلاحظ على الوجه الثاني أنه لا دخلة لوصول الطلاق للزوجة في صحته جزماً؛ إذ أنه بنفس الكتابة يحصل الإنماء، ويعود الخطاب بعدها وثيقة عليه.

**الرواية الثالثة:** ما رواه الحمدون الثلاثة قد يُؤيد بأسانيد صحيفة عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الشمالي قال: سألتُ أبا جعفر عَلَيْهِ الْحُكْمُ عن رجل قال لرجل: اكتب يا فلان إلى امرأتي بطلاقها، أو اكتب إلى عبدي بعثقه، يكون ذلك طلاقاً أو عثقاً؟ قال: «لا يكون طلاقاً ولا عثقاً (طلاق ولا عتق) حتى ينطيق به لسانه أو يخطئه بيده، وهو يريد الطلاق أو العتق، ويكون ذلك منه بالأهلة والشهود (والشهر)، ويكون غائباً عن أمره» <sup>(٢٦)</sup>.

وهذه الرواية هي مستند قول الشيخ تَشَّبَّه بوقوعه بالكتابة من الغائب في النهاية ومن تبعه، فتكون مخصوصة للصحيحتين الأولتين، وهذا أحد أوجه الجمع بينهما وبين الثالثة، بل تعدى العلامة قد يُؤيد في المخالف قائلاً: «لا يقال: هذه الرواية مخصصة بالغائب، والرواية الأولى مطلقة، والمقيّد مقدم». لأنّا نقول: الفيّبة والحضور لا تأثير لهما في السببية، فإذا نعلم أنّ اللفظ لما كان سبباً في البنيونة استوى إيقاعه من الغائب والحاضر، وكذا الكتابة لو كانت سبباً لتساوي الحال فيها» <sup>(٢٧)</sup>، وتابعه فيه أحد المعاصرين بن حبيب <sup>(٢٨)</sup>.

ويلاحظ عليه ما أفاده في المسالك من أن ذلك "مصادرة محضة؛ لأن الخصم يدعى الفرق، ويحتاج عليه بالخبر الصحيح، وهو الفارق بين الكتابة واللفظ المشترك في

السببية بين الفائب والحااضر، فكيف يدّعى عدم تأثير الغيبة والحضور؟!»<sup>(٢٩)</sup>. وبعبارة أخرى: إن حمل قوله عليه السلام: «وَيَكُونُ غَايَاً عَنْ أَهْلِهِ» على الفرض العرفي، يعني أن الإنسان إنما يقدم على الطلاق بالكتابة عادةً إذا كان غائباً عن أهله - مناف لأصله الاحتراز، ومقتضاه أنه قيد شرعي.

ويؤيد ذلك أن مسألة عدم وقوع الطلاق بالكتابة من الحاضر قد أرسلت في كلمات الشيخ عليه السلام ومن بعده إرسال المسلمين، قال الشيخ عليه السلام في الخلاف: «إذا كتب بطلاق زوجته ولم يقصد بذلك الطلاق لا يقع بلا خلاف، وإن قصد به الطلاق فعندها أنه لا يقع به شيء - إلى أن قال - دليلنا: إجماع الفرق، وأيضاً الأصل بقاء العقد»<sup>(٣٠)</sup>، وقال في المبسوط: «إذا تلفظ به وكتبه وقع باللفظ، فإذا كتب ونوى ولم يتلفظ به فعندها لا يقع به شيء إذا كان قادراً على اللفظ..»<sup>(٣١)</sup>، وقد نقل الاتفاق غير واحد، منهم الشهيد الثاني نقلاً في المسالك<sup>(٣٢)</sup>، والفضل السبزواري نقلاً<sup>(٣٣)</sup>.

فالمحصل عدم نهوض دليل على وقوع الطلاق بالكتابة من الحاضر.

### جمع ثان:

وثمة من جمع بين الصحيحتين الأولتين وبين الثالثة بحمل الصحيحتين على فرض ما إذا لم يقصد الطلاق، بينما فرض الثالثة ما إذا أراد الطلاق وقدره<sup>(٣٤)</sup>، بتقرير: أن قول السائل في الصحيحه الأولى: «كَتَبَ إِلَى امْرَأَهُ بِطَلَاقِهَا وَلَمْ يَنْطِقْ بِهِ لِسَانُهُ»، وقوله في الصحيحه الثانية: «كَتَبَ بِطَلَاقِ امْرَأَهُ، ثُمَّ بَدَأَهُ فَمَحَاهُ» يعمان صوري قصد الطلاق وعدمه، فيقيدان بما استملت عليه الثالثة، وهو قوله عليه السلام: «لَا يَكُونُ طَلَاقاً(طلاق) حَتَّى يَخْطُهُ بِيَدِهِ، وَهُوَ يُرِيدُ الطَّلَاقَ».

ويلاحظ عليه:

أولاً: إنَّ هذا الحمل يستلزم إخراج الفرد الأجلى من تحت الإطلاق، وهو فرض ما إذا أراد بالكتابة الطلاق، والإبقاء على الفرد الأخفى تحته، وهو أمر مستهجن عرفاً.

وثانياً: إنَّ قوله عليه في الصحيحة الأولى: «لَيْسَ بِشَيْءٍ حَتَّى يَنْطَقَ بِهِ»، وفي الصحيحة الثانية: «لَيْسَ ذَلِكَ بِطَلاقٍ حَتَّى يَتَكَلَّمَ بِهِ» ظاهر في أن عدم صحة الطلاق مستند إلى عدم النطق والتكلُّم، بلا فرق بين كونه قد نوى أو لم يننو، وحاضرأً كان أو غائباً، وقد لفت إليه في المدائِق<sup>(٣٥)</sup>. وبعبارة أخرى إن تعليل انتفاء الأثر بانتفاء الشرط إنما يصح عرفاً في فرض وجود المقتضي، فلو كان المقتضي مفقوداً لما صح عرفاً التعليل بانتفاء الشرط، فلو لم يكن قصد الطلاق موجوداً لكان الطلاق منفياً بانتفاء مقتضيه، فلا وجه لتعليق البطلان بانتفاء الشرط، وهو الكتابة.

فالمناسب هو الجمع الأول، ولكن قد يمنع من المصير إليه أمور أو بعضها:

الأول: إن المقيد للصحيحتين - وهو ما رواه الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الشمالي - ضعيف بالإرسال؛ فإن ابن محبوب لا يمكن أن يروي عن أبي حمزة الشمالي؛ وذلك لأن وفاة الشمالي كانت سنة خمسين ومائة بنص الشيختين النجاشي والطوسي فيهمَا<sup>(٣٦)</sup>، وكانت هذه السنة أو قريباً منها هي سنة ولادة ابن محبوب؛ فإن وفاة ابن محبوب كانت في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين، وكان من أبناء خمس وسبعين سنة بنص الشيخت الكشي عليهِ<sup>(٣٧)</sup>، وعليه فكيف يعقل أن يروي هو عن الشمالي بلا واسطة. نعم لو كان ما نقله الكشي بقوله: "ومات الحسن بن محبوب في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين، وكان من أبناء خمس وسبعين سنة.." - جزءاً من الرواية السابقة على هذا النقل لرفضناه؛ لأن الكشي يرويها عن علي

بن محمد القبيسي عن جعفر بن محمد بن الحسن بن محبوب، وجعفر هذا مجاهول. ولكن الظاهر أنه كلام الكشي، فشبّهه الإرسال قائمة.

**الأمر الثاني:** إن صحيحة أبي حمزة الشمالي وإن كان قد رواها الحمدون الثلاثة، إلا أنها مما أعرض عنها المشهور، ولم يعلموا بضمونها، ومثل هذا الإعراض موجب للظن النوعي على خلافها، فلا يتناول هذه الصديحة أدلة حجية خبر الواحد؛ فإن المختار كون الحجّة من خبر الواحد هو خبر الثقة الذي لم يقم ظن نوعي على خلافه.

ويلاحظ عليه: إنه لما كان من المحتمل قريباً في إعراض المشهور عن العمل بالصديحة توهم كونها معارضة للصحيحتين الأولتين، ولو بعد ضمّ ما دلّ على حصر محقّ الطلاق في الصيغة اللفظية (أنت طلاق)، وهو صحيحة ابن مسلم المتقدّمة - فلا يكشف الإعراض والحال هذه عن كونه لمنشأ يرجع إلى ناحية صدور الصديحة، بل المنشأ أمر اجتهادي صناعي، فلا يعيّب مثل هذا الإعراض بالتصور، فتتناول الصديحة أدلة حجية خبر الواحد. نعم لو قلنا بأن موضوع الحجّية هو الوثيق ف مجرد احتمال الإعراض مانع من الوثيق.

أوقعوا الطلاق بالكتابة كالكتابية؛ لأنها أحد الخطابين، وأحد الساترين العربين بما في الضمير، ونحو ذلك من الاعتبارات التي لا تتوافق أصول الإمامية<sup>(٣٨)</sup>.

ويلاحظ عليه - مضافاً إلى اشتتمالها على ما يخالف العادة من أمر اشتراط الشهود في صحة الطلاق<sup>(٣٩)</sup> - أن الموافقة للعادة إنما تؤذن بتقديم المخالف لهم على تقدير استقرار المعارضة، والحال أن ما نحن فيه من موارد الجموع العرفية.

**الأمر الرابع:** ما في الجواهر أيضاً من شذوذ صحيحة الشمالي حتى من القائل بوقوع الطلاق بالكتابة؛ لعدم اعتباره الكتابة بيد المطلق على وجه لا يجوز له التوكيل<sup>(٤٠)</sup>.

ويلاحظ عليه أن القائل بوقوع الطلاق بالكتابة إما مصريّ باعتبار الكتابة بيد المطلق بنحو لا يجوز فيها التوكيل كالشيخ في النهاية<sup>(٤١)</sup>، وإما غير متعرّض إلى شرطية المباشرة وعدتها كابن حمزة في الوسيلة<sup>(٤٢)</sup>، والفضل السبزواري في كفایته<sup>(٤٣)</sup> فلاحظ، فلا يعود مضمون الصحيفة شاداً.

**الأمر الخامس:** ما في الحدائق من أن الذي عهد من الشارع في أبواب العقود والإيقاعات والإقرارات ونحوها إنما هو الألفاظ والأقوال الدالة على هذه المعانى دون مجرد الكتابة، وهذا لم يجوزها أحد بالكتابة، ويبعد اختصاص الطلاق بهذا الحكم؛ لعدم ظهور خصوصيّة له بذلك<sup>(٤٤)</sup>.

ويرد عليه حلاً: أنه لا محل للاستبعاد المذكور بعد ورود النص الصحيح في الطلاق بالخصوص دون غيره، بل إن هذا منه على خلاف ذاته المعروفة.

وقد أورد عليه نقضاً: بأن المشهور اعتبار الماضوية في صيغ العقود، بينما اختص الطلاق بلزوم كونه بالجملة الاسمية بالاتفاق<sup>(٤٥)</sup>.

ويلاحظ على هذا النقض -مضافاً إلى أنه لا اتفاق على لزوم كون الطلاق بالجملة الاسمية، فقد قيل بوقوعه بمادة الطلاق وإن كانت في ضمن جملة فعلية، كما سيأتي - أن اعتبار الماضوية فيسائر العقود والإيقاعات دون الطلاق ليست ميزة لها عليه، بخلاف عدم كفاية الكتابة فيها دونه؛ فإنها ميزة لها عليه، فيحقق آئذ لصاحب الحدائق بأن يستبعد اختصاص الطلاق بهذا الحكم.

**الأمر السادس:** ما في بعض الكلمات من أمر الأولوية؛ فإنه لا يصح الطلاق بما هو أقوى من الكتابة كقول الزوج: (أنت مطلقة) أو (أنت طلاق) أو غيرهما من الألفاظ، فلا يجوز الاكتفاء بالكتابة مع القدرة<sup>(٤٦)</sup>.

ويلاحظ عليه بأن المقياس عليه - وهو عدم صحة الطلاق بمثل (أنت مطلقة) أو (أنت طلاق) - غير مسلم؛ نعم هو رأي المشهور، وإن قد ذهب أحد

الأعظم قد يشتمل إلى صحة إيقاعه بما ذكر، بل بما كان بنحو الجملة الفعلية كـ(طلقت فلانة) أو (طلقتك)<sup>(٤)</sup>، ولعله لأجل أن ما دل على الحصر إنما هو في مقابل ما لا يشتمل على مادة الطلاق.

ولكن يمكن تقرير الأولوية بنحو لا يرد عليه ما ذكر فنقول: إذا لم يصح بما هو أقوى من الكتابة كقول الزوج: (أنت مسرحة) أو (سرحتك) أو (أنت مفارقة) أو (فارقتك) فلا يصح بالكتابه من القادر.

ويلاحظ على هذه الأولوية المدعاة أولاً: إنه بعد ورود النص الصحيح بوجوه الطلاق بالكتابه من الغائب فلا بد من تقيد ما ظاهره حصر محقق الطلاق في قول: (أنت طالق).

وثانياً بالنقض: فإنه قد دلت صحيحتنا محمد بن مسلم والحلبي على وقوع الطلاق بالكتابه، وهو أن يخاطبها بـ(اعتدى)، بينما كتابة (أنت طالق) أصرح منها، نعم الصحيحتان محل إعراض المشهور في جزئية (اعتدى).

فالتحصل أنه وإن اندفع أغلب المناقشات عمّا رواه التمالي إلا أن شبهة إرسال ابن محبوب عنه ظلت قائمة، فلا مقيد لإطلاق صحيحتي زراره في منع إيقاع الطلاق بالكتابه وإن كان المطلق غائباً.

والحمد لله أولاً وآخرأ، وصلى الله على محمد وآلـه.

### المواهش:

(١) المبسوط في فقه الإمامية ٥: ٢٨.

(٢) الخلاف ٤: ٤٦٩.

(٣) النهاية في مجرد الفتوى: ٥١١.

(٤) وهو ابن حمزة في الوسيلة: ٣٢٣، وابن البراج في الكامل على ما حكاه عنه في المختلف ٧: ٣٤٦، ولكنه وافق الأكثـر في المذهب ٢: ٢٧٧ قائلاً: "إذا كتب بطلاقها ولم يتلفظ به

- ولم ينوه لم يقع طلاق، فان تلفظ به وكتبه، وقع باللفظ إذا كان معه النية للفرقة، فإن كتب ونوى ولم يتلفظ بذلك لم يقع به طلاق، هذا إذا كان قادراً على اللفظ..”.
- (٥) مسالك الأفهام: ٩: ٧٠ - ٧١.
- (٦) كفاية الأحكام: ٢: ٣٢٨.
- (٧) مفاتيح الشرائع: ٢: ٣١٦.
- (٨) لاحظ فقه الشريعة: ٣: ٥٧٩ م ٨٨٩ م ٥٠٢ م ١٤٦٢، أحكام الشريعة: ٢، فقه الطلاق وتوابعه: ١٦١ للسيد محمد حسين فضل الله رحمه الله.
- (٩) المغني لابن قدامة: ٨: ٤١٢، ومثله في الشرح الكبير لابن قدامة الآخر: ٨: ٢٨١ - ٢٨٢.
- (١٠) وسائل الشيعة: ٢٢: ٤٧ ب ١٩ من أبواب مقدمات الطلاق ح ١.
- (١١) وسائل الشيعة: ٢٢: ٤٢ ب ١٦ من أبواب مقدمات الطلاق ح ٣.
- (١٢) وسائل الشيعة: ٢٢: ٤٢ ب ١٦ من أبواب مقدمات الطلاق ح ٤.
- (١٣) وسائل الشيعة: ٢٢: ٤٣ ب ١٦ من أبواب مقدمات الطلاق ح ٧.
- (١٤) الكافي: ٦: ٧٠ (ك الطلاق - باب ما يجب أن يقول من أراد ان يطلق ح ٤).
- (١٥) مسالك الأفهام: ٩: ٧٠.
- (١٦) فقه الطلاق وتوابعه: ١٥٧، تقرير بحث السيد محمد حسين فضل الله رحمه الله، بقلم الشيخ محمد أديب قبيسي.
- (١٧) جواهر الكلام: ٣٢: ٥٦.
- (١٨) سورة البقرة: ٢٨٢.
- (١٩) لاحظ للمزيد كتاب (محوث فقهية هامة) للشيخ ناصر مكارم الشيرازي دام ظله، وفيه رسالة في جواز الإنشاء بالكتابة في العقود والإيقاعات: ٩٥ - ١٢٥ من الكتاب، وبالخصوص ص ١٠٧ - ١٠٨.
- (٢٠) سورة الطلاق: ١.
- (٢١) سورة البقرة: ٣٢٩.
- (٢٢) فقه الطلاق وتوابعه: ١٥٧.
- (٢٣) وسائل الشيعة: ٢٢: ٣٦ ب ١٤ من أبواب مقدمات الطلاق ح ١.
- (٢٤) وسائل الشيعة: ٢٢: ٣٦ ب ١٤ من أبواب مقدمات الطلاق ح ٢.

- (٢٥) فقه الطلاق وتوابعه: ١٥٨ - ١٥٩.
- (٢٦) وسائل الشيعة: ٣٧ ب ١٤ من أبواب مقدمات الطلاق ح ٣.
- (٢٧) مختلف الشيعة: ٧: ٣٤٨.
- (٢٨) فقه الطلاق وتوابعه: ١: ١٦٠.
- (٢٩) مسالك الأفهام: ٩: ٧٣.
- (٣٠) الخلاف: ٤: ٤٦٩ م ٢٩.
- (٣١) المبسوط: ٥: ٢٨.
- (٣٢) مسالك الأفهام: ٩: ٧٠.
- (٣٣) كفاية الأحكام: ٢: ٣٢٧.
- (٣٤) فقه الطلاق وتوابعه: ١: ١٦٠.
- (٣٥) الحدائق الناضرة: ٢٥: ٢١٤ - ٢١٥.
- (٣٦) رجال التجاشي: ١١٥ (٢٩٦)، رجال الطوسي: ١١٠ (١٠٨٣)، ١٧٤ (٢٠٤٧).
- (٣٧) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ٢: ٨٥١. واحتمال تصحيفها عن (خمس وتسعين) لتقارب (سبعين) و(تسعين) خطأً. يدفعه اتفاق نسخ كتاب الكشي على (وسبعين)، وكذا تطبق ما نقل عنه معه كخلاصة العلامة تَشَّتَّت (٣٧)، ورجال ابن داود: ١١٦ (٤٥٩).
- (٣٨) جواهر الكلام: ٣٢: ٦٣.
- (٣٩) قال في فقه السنة: ٢: ٢٥٧ - ٢٥٨ تحت عنوان: (الإشهاد على الطلاق) "ذهب جمهور الفقهاء من السلف والخلف إلى أن الطلاق يقع بدون إشهاد إلى أن قال - وخالف في ذلك فقهاء الشيعة الإمامية فقالوا: إن الإشهاد شرط في صحة الطلاق، واستدلوا بقول الله سبحانه في سورة الطلاق: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾. فذكر الطبرسي: أن الظاهر أنه أمر بالإشهاد على الطلاق، وأنه مروي عن أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، وأنه للوجوب وشرط في صحة الطلاق. وقال تحت عنوان: (من ذهب إلى وجوب الإشهاد على الطلاق وعدم وقوعه بدون بُيُّنة) ومن ذهب إلى وجوب الإشهاد واشتراطه لصحته من الصحابة - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعمران بن حصين رضي الله عنهما، ومن التابعين: الإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق وبنوهما أئمة آل البيت رضوان الله عليهم، وكذلك عطاء وابن جريج وابن سيرين رحمهم الله. ولاحظ بقية كلامه؛ فإنه لا يخلو من عائدة.



علي فاضل الصدقي

وقوع الطلاق بالكتابية، ورده

- (٤٠) جواهر الكلام :٣٢ .٦٣

(٤١) النهاية في مجرد الفتوى :٥١١.

(٤٢) الوسيلة إلى نيل الفضيلة :٣٢٣.

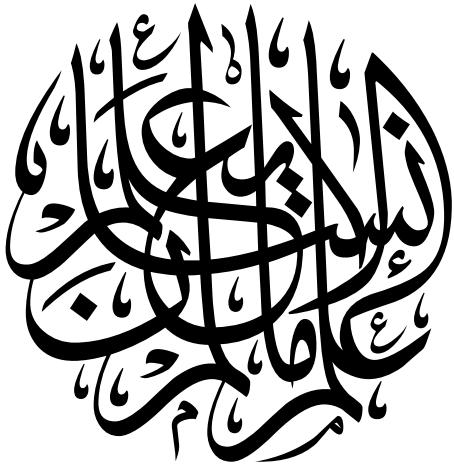
(٤٣) كفاية الأحكام :٢٧ - ٣٢٨ .٣٢٧

(٤٤) الحدائق الناضرة :٢٥٥ .٢١٤

(٤٥) فقه الصادق :٢٢ .٤١٧

(٤٦) تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة (ك الطلاق) :٤٥

(٤٧) منهاج الصالحين للإمام الحكيم :٢١٢ (الفصل الأول م ٧)، ووافقه السيد الهاشمي دام ظله في  
منهاجه :٢ م ٤١٠ .١٤٢٩





# Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

- General Supervisor &  
Executive Manager:  
Abdulla Ali Al daqaq
  - Editor in Chief:  
Aziz Hassan Salman
  - Editor in Director:  
Abdulraoof Hassan Alrabia
  - Chairman of the Editorial Board:  
Ghazi Abdulhassan
- Editorial Board:
- husain ali abu rwais  
husain fuad Almarzooq  
mohammed ali khatam  
m.bager khalil Alshaikh



A Periodical Magazine Issued by the  
Bahraini Students  
of the Educational Hawza the  
Holy City of Qom

